المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(032)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

(مسائي)



المسائل العقدية المتعلقة بصفة الشكر لله تعالى وشكر العباد لربهم والرد على المخالفين

رسالة علمية مقدم للحصول على درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

إعداد الطالب

فيصل بن عطاالله بن مفلح الصاعدي

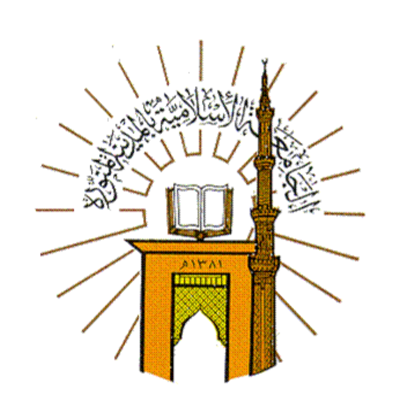
إشراف (الدكتور)

أحمد بن عبدالله الغنيمان

العام الجامعي 1437ـ 1438هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (032)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة (مسائي)

إفادة

[ ] ماجستير [ ] دكتوراة

عنوان الرسالة/ البحث: المسائل العقدية المتعلقة بصفة الشكر لله تعالى وشكر العباد لربهم والرد على المخالفين.

إعداد الطالب: فيصل بن عطالله بن مفلح الصاعدي **الجنسية:** سعودي.

لقد تمت مناقشة الرسالة/ البحث بتأريخ: / / 1437هـ، وقد قام الطالب بتعديل ملحوظات لجنة المناقشة.

أعضاء اللجنة

الاسم	الصفة	التوقيع والتأريخ
د. أحمد بن عبدالله الغنيمان	مقررا	
أ.د عبدالله بن سليمان الغفيلي	عضوا	
د. أحمد بن جزاع الرضيمان	عضوا	
	عضوا	

مستخلص الرسالة

هذه الدراسة بعنوان(المسائل العقدية المتعلقة بصفة الشكر لله تعالى وشكر العباد لربهم والرد على المخالفين)، ومقصودها دراسة صفة الشكر من ناحية كونها صفة لله تعالى، وما يتعلق بها من مسائل كإثباتها، وإثبات الأسماء الدالة عليها (الشكور والشاكر) ومسائلهما، وبيان الآثار الإيمانية المتعلقة بصفة الشكر، والرد على المخالفين لأهل السنة في جميع المسائل المتعلقة بها.

كما تمت دراسة صفة الشكر من ناحية اتصاف العبد بها وهي عبادة الشكر وما يتبعها من مسائل: كبيان معنى الشكر وحقيقته، وحكمه، وأركانه وأنواعه، وثمار الشكر وفوائده على الشاكرين في الدنيا والآخرة، وبيان منزلة الشكر من العقيدة، ودلالته على أنواع التوحيد الثلاثة، ومسألة زيادة الإيمان ، ودخول العمل في مسمى الإيمان، وتعرضت الدراسة لبعض المخالفات العقدية المتعلقة بشكر العباد لربهم، وبيان الحق فيها كمسألة نسبة النعم لغير الله وأثره على توحيد العبد، وبيان الحق في عبارة: لك خالص شكري وتقديري، وعبارة لا شكر على واجب، والرد على من زعم أن مذهب أهل السنة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد، والرد على الفرقة المارقة (الرافضة) في موقفهم من اليوم الذي قتل فيه الصحابي الجليل (عمر الفاروق) رضي الله عنه، وفرحهم في ذلك اليوم وجعله من أيام الشكر والفرح عليهم من الله ما يستحقون.

ولا يخفى على كل عاقل موفق أهمية دراسة صفات الباري جل وعلا لشمولها على أغلب أبواب العقيدة ولشدة حاجة العباد اليوم لأمثال هذه الدراسات التي تعرفهم بربهم وخالقهم وتقربهم منه، ليعبدوه حق عبادته وحده لا شريك له.

وإن من أعظم ما يحقق هذه الغاية هو الإيمان بأسماء الله وصفاته، ومعرفتها، وتعلق القلب بها، وكلما ازداد العبد معرفة بها، كان إيمانه أتم وأكمل والله أعلم.

المقدمة

وفيها:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.
- شكر وتقدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصف نفسه ب صفات الكمال وأحب الشاكرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه و اقتفى أثره وسلم تسليما كثيرا .

أمابعد

فإن شرف العلم تابع لشرف المعلوم ، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه ، وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو الملك الخلاق العليم ، الموصــوف بصفات الكمال ، والمنزه عن كل نقص وعيب أو أن يمثل بمثال سبحانه الكبير المتعال.

ولا ريب أن العلم بأسمـاء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المـعلومات .

وكما أنه أجل العلوم وأشرفها وأعظمها ، فهو أصلها كلها ، فكل علم هو تابع للعلم به ، فمن عرف الله عرف ما سواه ، ومن جهل به فهو لما سواه أجهل ، فعلى أساس العلم الصحيح بالله وأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص ، وتنبني مطالب الرسالة جميعها ، فلا حياة للقلوب ، ولا نعيم ، ولا سرور ، ولا أمان ، ولا طمأنينة للقلوب إلا بأن تعرف ربها و معبودها وفاطرها ، وأن يكون أحب إليها مما سواه ، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية ، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيا معذبا ، كما هو حال الكافرين[١] .

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 311).

ولما كان هذا الباب بهذه الأهمية فقد اخترت أن يكون موضوع دراستي لنيل درجة الدكتوراه هو "**المسائل العقدية المتعلقة بصفة الشكر لله تعالى وشكر العباد لربهم والرد على المخالفين**" مقدم لقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين .

أسباب اختيار الموضوع :

أولا: أهمية البحث في صفات الله تعالى، وتخصيصها بالدراسات المفصلة، حيث أن كثيرا منها لم تدرس دراسة عقدية على وجه التفصيل ومنها صفة الشكر لله تعالى.

ثانيا : كثرة مباحث العقيدة المتعلقة بصفة الشكر لله تعالى، وشكر العباد لربهم مما يرغب طالب العلم في تخصيص هذه الصفة بدراسة علمية تجمع مسائلها على منهج أهل السنة والجماعة، لا سيما أنه لم يسبق أن بحث هذا الموضوع بدراسة أكاديمية من قبل .

ثالثا: وجود المخالفين لأهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وتفاصيله يوجب على الدارسين الاعتناء بهذا الباب لبيان مذهب أهل السنة والجماعة ورد كل ما خالفه من الباطل.

رابعا : صفة الشكر من الصفات التي يتعبد بها المؤمنون كل حين، فتحتاج إلى مزيد عناية بتوضيح معانيها، وسبر دلائلها، وكيفية التعبد بها مما دفعني لاختيار دراستها دراسة مفصلة .

الدراسات السابقة : لم أجد بعد البحث والتحري ، وسؤال المختصين في قسم العقيدة والاتصال بالمراكز المعلوماتية والرجوع لدلائل الرسائل العلمية أي دراسة علمية سابقة في موضوع: (المباحث العقدية المتعلقة بصفة الشكر لله تعالى وشكر العباد لربهم والرد على المخالفين).

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس فنية كالتالي :

المقدمة: اشتملت على الافتتاحية ، وأهمية الموضوع ، وأسباب الاختيار ، والدراسات السابقة و خطة البحث والمنهج الذي سرت عليه .

التمهيد :أهمية معرفة أسماء الله وصفاته، ومذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان أهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى .

المطلب الثاني : بيان مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات .

الباب الأول :تقرير صفة الشكر لله تعالى وما يتضمنه من مسائل عقدية وفيه فصلان :

الفصل الأول : الأسماء الحسنى الدالة على صفة الشكر والمسائل العقدية المتعلقة بها وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : إثبات اسم الله تعالى (الشكور) وبيان معناه وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأولى : معنى اسم الله (الشكور) في اللغة.

المطلب الثاني: معنى اسم الله (الشكور) المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: ذكر الأدلة على ثبوت اسم الله (الشكور).

المطلب الرابع: ذكر أقوال أهل السنة في إثبات اسم الله (الشكور)

المبحث الثاني : إثبات اسم الله تعالى(الشاكر) وبيان معناه وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأولى : معنى اسم الله (الشاكر) في اللغة.

المطلب الثاني: معنى اسم الله (الشاكر) المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: ذكر الأدلة على ثبوت اسم الله (الشاكر).

المطلب الرابع: ذكر أقوال أهل السنة في إثبات اسم الله (الشاكر)

المبحث الثالث : مسائل متعلقة باسمي الله(الشكور والشاكر) وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : الفرق بين اسمي الله الشكور والشاكر

المطلب الثاني: بيان مقتضاهما وأثرهما .

المطلب الثالث : دلالات اسمي الله (الشكور والشاكر) وفيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : دلالتهما على إثبات صفات الأفعال لله تعالى .

المسألة الثانية : دلالتهما على صفات الكمال .

المسألة الثالثة: دلالتهما على قاعدة الكمال.

المسألة الرابعة: دلالتهما على بعض أسماء الله الحسنى .

المطلب الرابع : دعاء الله عز وجل باسميه (الشكور والشاكر) وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : دعاء الله بهما دعاء عبادة.

المسألة الثانية : دعاء الله بهما دعاء مسألة .

المطلب الخامس : حكم تسمية ووصف غير الله بالشكور أو الشاكر.

المطلب السادس : حكم تعبيد الاسم للاسمين الشكور والشاكر.

المطلب السابع : دلالات اقتران الاسمين (الشكور والشاكر) بغيرهما من الأسماء الحسنى، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى : اقتران اسم الله تعالى (الشكور) باسمه تعالى (الحليم).

المسألة الثانية : اقتران اسم الله تعالى (الشكور) باسمه تعالى (الغفور).

المسألة الثالثة : اقتران اسم الله تعالى (الشاكر) باسمه تعالى (العليم).

الفصل الثاني : صفة الشكر لله تعالى، والمسائل العقدية المتعلقة بها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : إثبات صفة الشكر لله تعالى، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان معنى صفة الشكر المضافة لله تعالى.

المطلب الثاني :ذكر الأدلة على ثبوت صفة الشكر لله تعالى وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: الأدلة على ثبوت صفة الشكر لله تعالى من كتاب الله .

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت صفة الشكر لله تعالى من السنة.

المسألة الثالثة: أقوال أهل السنة في ثبوت صفة الشكر لله تعالى .

المبحث الثاني: مسائل متعلقة بصفة الشكر لله تعالى وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان نوع صفة الشكر المضافة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني : التوسل إلى الله بصفة الشكر.

المطلب الثالث : القسم بصفة الشكر.

المطلب الرابع: حكم دعاء صفة الشكر.

المطلب الخامس: حكم تعبيد الاسم لصفة الشكر.

المطلب السادس: نفي المماثلة عن الخالق جل وعلا في صفة الشكر.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بصفة الشكر الثابتة لله تعالى.

الباب الثاني: الرد على المخالفين في صفة الشكر، وفيه فصلان:

الفصل الأول: الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في اسمي الله تعالى (الشكور والشاكر) وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: ذكر مذهب من يعطل اسمي الله تعالى(الشكور والشاكر والرد عليه.

المبحث الثاني: ذكر مذهب من يؤول الاسمين (الشكور والشاكر) والرد عليه.

المبحث الثالث: ذكر مذهب من يشبه الله بخلقه في الاسمين (الشكور والشاكر) والرد عليه.

الفصل الثاني : الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الشكر وفيه مبحثان:

المبحث الأول :مذاهب المخالفين المثبتين لصفة الشكر، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: مذهب من يثبت صفة الشكر ويجعلها لازمة، وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : ذكر قولهم في صفة الشكر .

المسألة الثانية :بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة : الرد عليهم .

المطلب الثاني : مذهب من يثبت صفة الشكر ويجعلها حادثة بعد أن لم تكن وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : ذكر قولهم في صفة الشكر .

المسألة الثانية :بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة : الرد عليهم .

المطلب الثالث: مذهب من يمثل صفة الشكر بصفات المخلوقين وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : ذكر قولهم في صفة الشكر .

المسألة الثانية :بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة : الرد عليهم.

المبحث الثاني : مذهب النفاة لصفة الشكر، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مذهب الفلاسفة في صفة الشكر وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : ذكر قولهم في صفة الشكر .

المسألة الثانية :بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

المسألة الثالثة : الرد عليهم.

المطلب الثاني : مذهب أهل الكلام في صفة الشكر وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى:مذهب الجهمية في صفة الشكر وذكر شبهتهم والرد عليهم.

المسألة الثانية:مذهب المعتزلة في صفة الشكر وذكر شبهتهم والرد عليهم.

المسألة الثالثة:مذهب الأشاعرة في صفة الشكر وذكر شبهتهم والرد عليهم.

الباب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بشكر العباد لربهم ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : معنى الشكر، وحكمه، وأنواعه، ومسائله وفوائده وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : معنى الشكر، وحقيقته، وأركانه.

المبحث الثاني : الفرق بين الشكر والحمد.

المبحث الثالث : حكم عبادة الشكر.

المبحث الرابع : أنواع الشكر، وبيان أقسام أهله.

المبحث الخامس: نماذج من شكر الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث السادس: الشكر والابتلاء بالخيرات.

المبحث السابع: العلاقة بين الشكر والصبر، وأيهما أفضل.

المبحث الثامن: قلة الشكر في العباد، وأسبابه.

المبحث التاسع: شكر العباد والعلاقة بينه وبين شكر الله.

المبحث العاشر: فوائد الشكر وثماره على الفرد والمجتمع، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: فوائده وثماره الدنيوية.

المطلب الثاني: فوائده وثماره الأخروية.

الفصل الثاني : منزلة الشكر من العقيدة، ودلالته على أقسام التوحيد الثلاثة و زيادة الإيمان بالله وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : بيان منزلة الشكر من الإيمان.

المبحث الثاني: دلالة الشكر على وجود الله، وإفراده بالربوبية.

المبحث الثالث: دلالة الشكر على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الرابع: دلالة الشكر على توحيد الألوهية.

المبحث الخامس: دلالة الشكر على مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان .

المبحث السادس: بيان أن الشكر يزيد في إيمان العبد.

الفصل الثالث : ذكر بعض المخالفات العقدية المتعلقة بشكر الله تعالى وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترك الشكر ونسبة النعم لغير الله، حكمه، وآثاره.

المبحث الثاني: عبارات خاطئة متداولة بين الناس في الشكر.

المبحث الثالث: الرد على من زعم أن مذهب أهل السنة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد.

المبحث الرابع: بطلان عقيدة الرافضة في تأدية صلاة الشكر في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الخاتمة : وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات

الفهارس :

1 . فهرس الآيات .

2. فهرس الأحاديث والآثار .

3. فهرس الأعلام .

4. فهرس الفرق والطوائف .

5. فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة

6. فهرس المصادر والمراجع

7. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

1. جمع المادة العلمية من مظانها المعتبرة ،مستدلا بالآيات و الأحاديث مدعما ما أجمعه من مسائل بأقوال أئمة السلف وأقوال أهل العلم .

2 . ذكر أقوال المخالفين وما اعتمدوا عليه من شبه في ردهم لصفة الشكر ثم تفنيدها وردها بأدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة .

3. عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

4. عزو الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك ، وما كان في غيرهما أعزوه إلى مصادره مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته .

5. عزو الآثار إلى مظانها.

6. الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين .

7. التعريف الموجز بالفرق والطوائف.

8. توضيح المصطلحات العلمية والألفاظ الغريبة الواردة في البحث

9. الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

10. عمل الفهارس الفنية للرسالة على النحو المبين في الخطة.


شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين، وصلواته وسلامه على سيد الشاكرين، محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: ثم إنه بعد أن يسر الله لي إتمام هذه الرسالة أشكره ـ عز وجل ـ أولا على كل نعمة أنعم بها علينا عامة أو خاصة في قديم أو حديث فيما نعلم وفيما لا نعلم فله الحمد والشكر على هدايته وتوفيقه وإعانته، ثم أتوجه بخالص الدعاء لله ـ سبحانه ـ سائلا إياه أن يجزي والدي عني خير الجزاء، وأن يرزقني بر من مات منهما ومن كان منهما على قيد الحياة شكرا لهما على صنيعهما وعملا بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من لا يشكر الناس لا يشكر الله».

ثم أتوجه بالشكر لجميع المشايخ والعلماء الذين تلقيت منهم العلم في هذه الجامعة الطيبة المباركة منذ أن كنت طالبا في المعهد المتوسط، والمهد الثانوي، ثم كلية الشريعة، وأخيرا كلية الدعوة وأصول الدين، وأخص بالشكر جميع أعضاء قسم العقيدة فجزاهم الله عنا خير الجزاء، كما أتوجه بجزيل الشكر، وجليل التقدير والاحترام لشيخي فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد بن عبدالله الغنيمان ـ حفظه الله ـالمشرف على هذه الرسالة؛ فأشكره شكرا خاصا على كل ما منحني من وقت ونصح وتوجيه وإرشاد، فكان بعد الله خير معين لي أثناء كتابة هذه الرسالة، وإخراجها بهذه الصورة فجزاه الله عني خير الجزاء وبارك الله له في عمله وعمره وجعله مباركا أينما كان.

كما لا يفوتني أن أشكر لجنة المناقشة على قبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما يبديانه من توجيه وتقويم فجزاهما الله خيرا، كما لا يفوتني أن أشكر كل من أعانني بإعارة كتاب، أو تنبيه على مسألة، أو دعوة صادقة فللجميع مني أجمل الشكر، وأخلص الدعاء وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

التـــمـــهيــــد

أهمية معرفة أسماء الله وصفاته، ومذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وفيه مطلبان :

المطلب الأول: بيان أهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى .

المطلب الثاني: بيان مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات .

المطلب الأول: بيان أهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى

إن مما يبين أهمية معرفة أسمائه وصفاته ـ عز وجل ـ للمؤمن ما جاء من كثرة ذكرها في كتاب الله ـ عز وجل ـ فلا تكاد تمر به صفحة من كتاب الله إلا وفيها ذكر لاسم من أسمائه ـ جل جلاله ـ وكل اسم يتضمن صفة من صفات الله.

ومما يزيد هذه القضية بيانا وأهمية أنه جاء الأمر من الله لعباده بأن يدعوه بأسمائه ـ جل جلاله ـ الدالة على صفات كماله، ولا يتسنى للعباد امتثال ذلك إلا بمعرفة أسمائه وصفاته الواردة في كتابه و في سنة نبيه ﷺ ـ

يقول الله تعالى: ﴿ وَلله ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وهكذا السنة المطهرة فقد ورد فيها بيان ما لهذا الباب من الأهمية والمكانة العالية، والمنزلة الرفيعة؛ فقد جعل النبي ﷺ ـ حفظ جملة من أسماء الله عز وجل ـ سببا لدخول الجنة فعن أبي هريرة، قال: «لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»(٢)

والنصوص الدالة على هذا المعنى كثيرة والمقصود بيان أهمية معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهو ما سيظهر بمشيئة الله عز وجل ـ في النقاط التالية:

---

(١) سورة الأعراف، آية (180)

(٢) أخرجه الإمام البخاري،كتاب الدعوات، باب:لله مائة اسم غير واحد، حديث رقم(6410) (ص 1113)، والإمام مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أسماء الله وفضل من أحصاها، حديث رقم (2677)، (17/ 177) مسلم بشرح النووي.

أولا/ أن العلم بالله وبأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم وأجلها وأفضلها.

وذلك أن شرف العلم تابع لشرف معلومه، وشدة الحاجة إلى معرفته، والافتقار إليه، والمعلوم في هذا العلم هو الله ـ جل جلاله ـ وأسماؤه وصفاته وأفعاله؛ والوصول إلى أشرف العلوم وأفضلها؛ بل وإلى أصلها كلها لا تخفى أهميته، وفضله، وعظيم الحاجة إليه[1].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: « ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها ...وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقق ذاته إليه فالعلم به أصل كل علم كما أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه وموجده» [2]

وقال السفاريني[3]:

(وبعد فاعلم أن كل العلم كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي) [4]

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي المالكي(2/ 338).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة لابن القيم (311/1).

(٣) السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، النابلسي، الحنبلي، أبو العون، ولد بقرية سفارين من قرى نابلس، سنة 1114هـ، من كتبه: البحور الزاخرة في علوم الآخرة، ولواقح الأفكار السنية في شرح الحائية، توفي في نابلس سنة 1188هـ. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر(4/ 31)، الأعلام للزركلي (14/6).

(٤) بيت من منظومة الدرة المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية، للسفاريني رحمه الله، انظر شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين رحمه الله (ص66).

وإن مما يؤكد لك أيها القارئ الكريم شرف العلم بالله ـ جل جلاله ـ وبأسمائه وصفاته وجلالة قدره أن العلم به يستلزم العلم بما سواه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل .[1]

فحري بالعاقل أن يبذل جهده في الظفر بأصل العلوم كلها، وأشرفها على الإطلاق، وأفضلها، وأعظمها نفعا له في دنياه وأخراه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول»[2]

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:« فإنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا لذة ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ويكون أحب إليها مما سواه ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته»[3]

ثانيا/ ومما يبين أهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى:

أن القرآن العظيم وما تقدمه من الكتب السماوية ما أنزلت إلا لتعريف العباد بربهم وما يجب له عليهم من حقوق وواجبات.

ففي القرآن العظيم تسمى الله ـ عز وجل ـ بأسماء حسنى ، ووصف نفسه بصفات علا، وعرفها لعباده، وأظهرها لهم في كتابه، حتى تجلت معرفته في قلوبهم، ولهجت بذكره ودعائه ألسنتهم[4] .

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، لا بن القيم (1/ 311ـ312).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (5 / 8).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (1/ 150).

(٤) انظر: كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته لابن منده (14/2).

ولهذا جاء ذكر أسماء الله وصفاته في القرآن أكثر من ذكر غيرها، وكانت الآيات التي تتضمن أسماء الله وصفاته ﷻ - هي أعظم النصوص قدرا وفضلا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدرا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك» (١).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما جاءت آيات عدة تأمر بتعلم هذا الباب ومعرفته فمن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤) وهذا كثير في كتاب الله تعالى، ودلالتها لا تخفى على أهمية معرفة أسماء الله ومعرفة صفاته، وعظم نفعها، وكثرة خيراتها في الدنيا والآخرة

يقول الإمام الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: « فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه ودل عليه حتى عرف ربه ووحده وأنس به واستحيا من قربه، وعبده كأنه يراه» (١).

---

(١)درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (5/ 310)

(٢) سورة محمد آية (19).

(٣) سورة البقرة آية(209).

(٤) سورة البقرة أية(231).

(٥) زين الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ولد سنة 736، له مؤلفات مفيدة كشرح جامع الترمذي، وله شرح من أول صحيح البخاري إلى كتاب

ثالثا/ أن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي مفتاح دعوة الرسل ، وزبدة رسالتهم ـ صلوات الله وسلمه عليهم ـ .

وذلك أن حاجة العباد لدعوة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تفوق كل الحاجات، وضرورتهم إليهم فوق كل ضرورة! إذ العباد بعقولهم القاصرة يمتنع عليهم معرفة معبودهم على وجه التفصيل؛ لذا اقتضت رحمة الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ أن يرسل إليهم رسله، داعين إليه ، ومعرفين به، ومعرفته إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى هذه المعرفة تنبني جميع مطالب الرسالة، والعبودية بجميع أنواعها تابعة لمعرفة المعبود ـ جل وعلا ـ؛ فصح بذلك كون معرفة الأسماء والصفات هي أساس دعوتهم عليهم الصلاة والسلام (٢).

ولما كانت معرفة الرب جَلَّ جَلَالُهُ ـ بأسمائه وصفاته بهذه المكانة فقد قام أفضل الداعين إليه ـ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بهذا الواجب العظيم؛ فعرف الناس بربهم و معبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: « فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة وأبدا وأعاد واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره ولم يدع لأمته حاجة في هذا

الجنائز، وطبقات الحنابلة، توفي في رجب سنة 795هـ. انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين(106)، طبقات الحفاظ للسيوطي (450).

(١)بيان فضل علم السلف على علم الخلف، ضمن مجموع رسائل ابن رجب (3/ 28).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لا بن القيم (150/1).

التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب ...» [(١)]

رابعا/ أن أسماء الله وصفاته طريق إلى معرفة الله ﷻ ـ والوصول إليه.

من حكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ أن قضى أن لا يراه العباد في الحياة الدنيا، ولكن الله بلطفه ورحمته جعل لعباده طرقا وسبلا تعرفهم به؛ ليعبدوه كأنهم يرونه ومن ذلك معرفته عن طريق أسمائه وصفاته التي هي من أعظم الطرق الموصلة إليه ، ومن عرف الله سبحانه من هذه الطريق كان من أعرف الناس بربه [(٢)].

يقول الإمام الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ:(من تعلق بصفة من صفاته أخذته بيده حتى تدخله عليه ومن سار اليه بأسمائه الحسنى وصل اليه ومن أحبه أحب أسماءهوصفاته وكانت آثر شئ لديه حياة القلوب فى معرفته ومحبته وكمال الجوارح فى التقرب إليه بطاعته والقيام بخدمته والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته)[(٣)]

ومن هنا ندرك عظم خسارة وحرمان من أنكر أسماء الله أو عطل [(٤)] صفاته أو شيئا منها، فقد انحرف عن طريق معرفة الله، وتاه في سبل شتى فتقاذفت به

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم (130).

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم (72، 172).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (286).

(٤) التعطيل: التعطيل في اللغة: مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك
وفي الاصطلاح: هو إنكار ما يجب لله ــ تعالى ــ من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه،
وهو نوعان:أ_تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء.
ب_تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض، وأول من

الأهواء وظن بربه الظنون، ولم يظفر بغير الشكوك والأوهام لفقده أعظم باب يدخل منه لمعرفة الله عز وجل، والتقرب إليه بما يحبه بالمدح والثناء بأسمائه وصفاته.

خامسا/ أن الوصول لهذا العلم والعمل به هو وصول للغاية التي أرادها الله من العبد.

الله ـ سبحانه ـ أراد من العبد أن يعبده وحده لا شريك له ولن يحقق مراد الله حتى يعرفه ـ عز وجل ـ بأسمائه وصفاته ، واشتغاله بهذه الغاية اشتغال بأعلى المطالب، وتحقيقه للعبد يعد من أشرف المواهب، كيف لا؟ وهو اشتغال بمعرفة الله ـ سبحانه وتعالى ـ والاشتغال بذلك هو انقياد لما خلق له العباد [١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « إن نفس معرفة الله ـ تعالى ـ ومحبته مقصودة لذاتها » [٢]

سادسا/ أنه لا يصح لأحد توحيد، ولا إيمان صحيح ويقين حتى يكون على علم بأسماء الله وصفاته.

وتقرير هذا جاء عن غير واحد من أهل العلم، وهذا لإدراكهم لما لهذا العلم من أهمية ومكانة، وأن صحة التوحيد والإيمان متوقفة على العلم بهذا الباب.

عرف بالتعطيل من هذه الأمة الجعد بن درهم.انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين (4/21ـ 22)، ومعجم ألفاظ العقيدة للفالح(95).

(١) انظر: بدائع الفوائد 540، الصواعق المرسلة (1/ 150ـ 151).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (6/ 41).

قال محمد بن إسماعيل الترمذي رحمه الله ـ :(سمعت المزني[٢] يقول: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على العرش بصفاته. قلت: مثل أي شيء؟ قال: سميع، بصير عليم، قدير) [٣]

ولا غرو أن تكون معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها بهذه المنزلة من الدين، وأن تكون لها هذه المكانة، وذلك أن العلم بها هو علم بأحد نوعي التوحيد اللذين عليهما مدار كتب الله ـ تعالى ـ، ولأجل تحقيقهما أرسل الله رسله كلهم ـ عليهم الصلاة والسلام:

(**أحدهما التوحيد** العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه[٤] والتمثيل[٥] وتنزيهه عن صفات النقص.

---

(١) محمد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل السلمي الترمذي ثم البغدادي، ولد بعد التسعين ومئة، قال عنه الذهبي: إنبرم الحال على توثيقه وإمامته، وكان فهما متقنا مشهورا بمذهب السنة، توفي في رمضان سنة 280 هـ ودفن عند قبر أحمد بن حنبل. انظر: وتاريخ بغداد (42/2)،سير أعلام النبلاء (13/ 242).

(٢) الإمام العلامة فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم: إسماعيل بن يحي بن إسماعيل المزني، المصري، تلميذ الشافعي، ولد سنة 175هـ وتوفي في مصر سنة 264هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(492/12).

(٣) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (6/ 299)، وفي سير أعلام النبلاء(494/12).

(٤)التشبيه: إثبات مشابه للشيء، وفي الاصطلاح: اعتقاد أن صفات الله أو ذاته تشبه صفات المخلوقين أو ذواتهم.انظر: فتح رب البرية، ضمن فتاوى العقيدة لابن عثيمين(22/4)، ومصطلحات في العقيدة للحمد(9) .

(٥) التمثيل: إثبات مثيل للشيء، والمراد: تمثيل صفات الله بصفات خلقه، أو تمثيل ذاته بذوات خلقه ، والفرق بينه وبين التشبيه: أن التشبيه مساواة في بعض الصفات، وأما التمثيل مساواة من كل الوجوه. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(20/5) شرح الواسطية لابن عثيمين (97/1)

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه، والرضى به ربا وإلها ووليا وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء).[1]

ويقول السعدي[2] ـ رحمه الله ـ عن توحيد الأسماء والصفات: « ...هو الذي لا يحصل للقلوب زكاة، ولا سرور، ولا طمأنينة، ولا إيمان صحيح ولا يقين إلا به)[3]

وهذا يبرهن أن منزلة هذا العلم من الدين عالية، وأهميته عظيمة، وأنه لا يستقيم لأحد إيمان، وأنه لا يمكن أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله وصفاته ليعبد ربه على بصيرة [4]

سابعا/ أن معرفة أسماء الله وصفاته والإيمان بها أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجر الإحسان.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب ـ عز وجل ـ ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه؛ فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان...)) [5]

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (93).

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، النجدي، علامة، مفسر، محدث، فقيه أصولي، ولد بعنيزة القصيم بنجد سنة 1307هـ، وتوفي عام 1376هـ رحمه الله. انظر: معجم المؤلفين 13/ 396، وعلماء نجد للبسام (218/3).

(٣) الحق الواضح المبين ضمن المجموعة الكاملة للسعدي (3/ 211).

(٤) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (5).

(٥) مدارج السالكين(363/3).

وكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانا ويقينا وثباتا على الحق؛ فأعظم ما يقوي الإيمان في قلوبنا هو أن نعرف ربنا ومولانا عن طريق معرفة أسمائه وصفاته.

يقول السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: « ...فَعُلِمَ أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها.

ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأنواع هي روح الإيمان وروحه، وأصله وغايته. فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه. فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل اللذين أبتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه، وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله. »(١)

ثامنا/ أن معرفة الله ـ جل وعلا ـ تثمر للعبد عبادات جليلة؛ كمحبة الله ﷻ وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص الأعمال له وحده، وكلما كان العبد أعرف بالله ﷻ ـ وعلى علم بأسمائه وصفاته؛ كان له أحب، وله أخشى، وأرجى، وأطمع في فضله؛ وهذا أصل سعادة العبد، ونجاته في الدنيا والآخرة.

ويشهد لذلك خبر ذلك الصحابي ـ رضي الله عنه ـ الذي عرف سورة الإخلاص وأحب ما فيها من وصف الرحمن ـ جل وعلا ـ فأثمرت له محبة لله ولكلامه فكان

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (3/ 107ـ 108).

ذلك سببا في حب الله له ودخوله الجنة؛ فعن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أخبروه أن الله يحبه»[1]

لذا فإنه(..متى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها إلا نعيم الآخرة، فإنه لا يزال راضيا عن ربه والرضا جنة الدنيا ومستراح العارفين؛ فإنه طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية وهذا هو الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وما ذاق طعم الإيمان من لم يحصل له ذلك وهذا الرضا هو بحسب معرفته بعدل الله وحكمته ورحمته وحسن اختياره فكلما كان بذلك أعرف كان به أرضى...)[2]

ومن رزقه المولى ـ جل وعلا ـ هذه المعرفة، وهذا العلم ورسخ في قلبه أوجب له خشية الله وأحبه من كل قلبه لا محالة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ وهو يبين أقسام العلم بالله وما يترتب عليها من آثار نافعة : «وأما العلم فيراد به في الأصل نوعان: أحدهما: العلم به نفسه؛ وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى. وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة فإنه لا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ـ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، برقم (7375) ص(1269)، ومسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الإخلاص،رقم(813) مسلم بشرح النووي(6/ 419).

(٢) الفوائد، لابن القيم(95)

بد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته؛ ويعاقب على معصيته؛ كما شهد به القرآن والعيان وهذا معنى قول أبي حيان التيمي – أحد أتباع التابعين [١]– العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، وعالم بالله وبأمر الله. فالعالم بالله الذي يخشى الله والعالم بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام. وقال رجل للشعبي[٢]: أيها العالم فقال: إنما العالم من يخشى الله. وقال – عبد الله بن مسعود: كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا. والنوع الثاني يراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية...)) [٣]

ويقول ابن القيم رحمه الله :(من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة)[٤]

ومن هنا ندرك أهمية هذا الباب، لما يترتب عليه من الفضائل العظيمة، والآثار الحميدة التي ما حظيت بها النفوس، وما تنعمت بها القلوب إلا بسبب معرفة الله بأسمائه وصفاته وتعبد العبد بها لله .

يقول السعدي ـ يرحمه الله تعالى ـ: « فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا

---

(١) أبو حيان: اسمه يحي بن سعيد بن حيان التيمي الكوفي، كان خيارا صالحا صاحب سنة، ثقة، وله أحاديث صالحة، سمع الشعبي، وأباه، ورى عنه الثوري والأعمش، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: أنه من خيار عباد الله، انظر: الطبقات الكبرى، (6/ 338)، و التاريخ الكبير للبخاري،(8/ 276).

(٢) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبدالله بن ذي كِبَار، وذو كبار قيل: من أقيال اليمن، الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، ثم الشعبي، ولد في إمرة عمر بن الخطاب، ورأى عليا وصلى خلفه، وسمع من كبر الصحابة، مات سنة (104هـ). انظر: سيرأعلام النبلاء للذهبي (294/4).

(٣) مجموع الفتاوى (3/ 333).

(٤) الجواب الكافي لابن القيم (99).

أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه.

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكمل من الموحدين.» (١)

تاسعا/ وتظهر أهمية معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها على منهج سلف الأمة حينما ينظر العبد لأحوال من انحرف في هذا الباب ومدى ما وصل إليه من الضلال والانحراف.

وذلك أنه لا سعادة للعباد، ولا صلاح لهم، ولا نعيم؛ إلا بأن يعرفوا ربهم معرفة سالمة من كل شائبة، وأن يكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتعرف إليه هو قرة عيونهم، ومتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل(٢).

بل إن آثار الانحراف في باب الأسماء والصفات لا تقتصر على الأفراد بل تصل بشؤمها وقبحها الجماعات والدول؛ حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمـ رحمه الله ـ ربط سقوط الدولة الأموية بنوع من أنواع الانحراف في هذا الباب وهو التعطيل حيث قال ـ رحمه الله ـ:« و المقصود هنا " أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد (٣)المعطل وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها»(١)

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد لعيسى السعدي(46).

(٢) انظر: مختصر الصواعق للموصلي (121/1).

(٣) الجعد بن درهم، قال عنه الذهبي: هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية، قتل الجعد لزندقته؛ ضحى به خالد بن عبدالله القسري على عهد علماء التابعين؛ الذين حمدوه على فعله وشكروه على ذلك، وكانت سنة قتله ما بين 106هـ و110هـ انظر: سير أعلام النبلاء(5/ 433)، ومجموع الفتاوى(12/ 350) ، الوافي

ويقول أيضا: « وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية[٢] وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة؛ فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم » [٣]

ويؤكد ابن القيم رحمه الله ـ على أن منشأ الكفر هو عدم العلم بالحق، وعدم إرادته[٤] وهذا مما يوضح أهمية معرفة باب الأسماء والصفات فهو من الحق الذي يجب العلم به لكثرة ما وقع فيه من اللبس، ولطالما احتدم حوله الجدل، وثار النزاع بين الطوائف المختلفة؛ فزلت الأقدام، وضلت الأفهام؛ فأخذوا يلهثون وراء السراب، ووقعوا في كثير من الانحرافات لما جهلوا الحق، وما يجب اعتقاده في أسماء الله وصفاته؛ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ولما كان الأمر كذلك؛ فإن من كان في قلبه أدنى حياة، أو محبة لربه، وإرادة لوجهه، وشوق إلى لقائه، فينبغي أن يكون طلبه لهذا الباب، وحرصه على معرفته هو أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، وأجل غاياته.

بالوفيات (67/11).

(١) مجموع الفتاوى (13/ 99).

(٢) مروان بن محمد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، وكان بطلا شجاعا داهية، بليغا أديبا ذا بأس وشدة، قاتل الخوارج في زمانه ودوخهم في الجزيرة ، ويقال عنه : أصبر من حمار في الحرب، ويعرف أيضا بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه جعد بن درهم، قتل سنة 132هـ انظر: سير أعلام النبلاء(6/ 74)، الأعلام للزركلي(208/7).

(٣) مجموع الفتاوى(13/ 96).

(٤) بدائع الفوائد (271/1).

ونسأل الله الكريم الوهاب أن يملأ قلوبنا من معرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته على الوجه الذي يرضيه عنا بمنه وفضله وكرمه والله أعلم [1]

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (161/1)، والكافية الشافية ضمن المجموعة الكاملة للسعدي (393/3).

المطلب الثاني: بيان مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات

من لطف الله بأهل السنة والجماعة أنهم اعتصموا بالكتاب والسنة؛ فجعلوا كل لفظ فيهما من الحق الذي يجب الإيمان به تعظيما لقول الله، وقول رسوله - ﷺ -، ومن ذلك نصوص الأسماء والصفات التي سلكوا بها طريق السلامة، وركبوا سفينة النجاة؛ لذا جاء مذهبهم فيها واضحا بينا لا غموض فيه ولا التباس؛ فهو يتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات؛ إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [١] [٢]

فإذاً مذهبهم يجمع بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، كما يقول ابن القيم - رحمه الله -(فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدى بين ضلالتين)[٣] فصانوا بذلك أسماء الله وصفاته عن التأويل المفضي إلى التعطيل، وعن التكييف[٤] المفضي إلى التمثيل، والذي حملهم على ذلك بلا شك أنهم رأوا أن الطريقة التي جاء بها القرآن هي الطريقة الموافقة لصريح المعقول، وصحيح المنقول، وهي طريقة الأنبياء والمرسلين، ومن أنعم الله عليهم في إتباع طريقهم.

---

(١) سورة الشورى آية (11)

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(4/3)، (25/6)

(٣) مدارج السالكين (3/ 275)

(٤) التكييف: هو اعتقاد المثبت أن كيفية صفات الله كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى(36)

وأما طريق غيرهم من أعداء المرسلين فهو طريق المغضوب عليهم والضالين[1] وفي أقوالهم التالية مزيد إيضاح لمذهبهم في هذا الباب.

من أقوال أهل السنة والجماعة في تقرير مذهبهم في باب الأسماء والصفات:

أقوال علماء أهل السنة في تقرير مذهبهم في أسماء الله وصفاته كثيرة معلومة، وفي دواوينهم مسطورة مشهورة؛ فمن ذلك:

قال الأوزاعي[2] رحمه الله -: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»[3]

وقال الإمام الشافعي[4] رحمه الله - في أول خطبة (الرسالة) : « الحمد لله ...الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه»[5]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(25/6)، ومدارج السالكين لابن القيم(276/3).

(٢) الأوزاعي: عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمَد ، شيخ الإسلام، وإمام أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي، ولد في حياة الصحابة، وكان أفضل أهل زمانه، توفي سنة 157هـ. انظر: سير أعلاء النبلاء،(7/ 107)

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات(408)، والذهبي في العلو (102)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: روى ـ أي أثر الأوزاعي ـ أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي. انظر: مجموع الفتاوى(27/5).

(٤) الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي بن العباس بن عثمان بن شافع، الإمام، عالم العصر، وناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبدالله القرشي المطلبي الشافعي صاحب المذهب، ولد بغزة سنة (150)، وتوفي سنة (204هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، (5/10).

(٥) الرسالة (8)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لقول الشافعي:(فبين رحمه الله ـ أن الله موصوف بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم) انظر: مجموع الفتاوى(5/ 158).

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يتجاوز القرآن والحديث» [1]

وقال الإمام أبو بكر بن خزيمة [2] ـ رحمه الله ـ:« ... والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق ـ جل وعلا ـ مما وصف به نفسه في محكم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه؛ تنزيل من حكيم حميد، وبما صح وثبت عن نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولا إليه صلى الله عليه وسلم »[3]

هذه بعض أقوال سلف الأمة في بيان مذهبهم في باب الأسماء والصفات ذكروها وبينوها للناس؛ خصوصا بعد ظهور الجهمية المنكرين لكون الله فوق العرش، النافين لصفات الله؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف قول الجهم وأتباعه[4]

ومما ينبغي ذكره هنا أن مذهبهم هذا في أسماء الله وصفاته تناقله الثقات من علماء أهل السنة والجماعة وحكوه لمن بعدهم بل منهم من حكى إجماع أهل السنة عليه فمن من نقل مذهبهم:

الإمام أبو بكر بن خزيم ـ رحمه الله ـ فقد قال:« فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية (255).

(٢) ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، بن المغيرة الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام إمام الأئمة، أبو بكر النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، ولد سنة(223هـ)، ومات في (311هـ) انظر: سير أعلام النبلاء(14/ 365).

(٣) كتاب التوحيد (1/ 10ـ 11).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(5/ 28)

بوجه أحد من المخلوقين .؛ عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم؛ تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محـ ﷺ ـ»(١)

ومنهم: الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله ـ قال في اعتقاد أهل السنة:« ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه، ووصفه بها نـ ﷺ » (٣)

ومنهم: أبو بكر الخطيب رحمه الله ـ في جوابه عن سؤال بعض أهل دمشق في الصفات حيث جاء فيه: « أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح: مذهب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ: إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية و التشبيه عنها» (٥)

ومنهم الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله ـ **قال**: « قلت وبالله التوفيق: أصحاب الحديث ـ حفظ الله تعالى أحياءهم ورحم أمواتهم ـ يشهدون لله ـ تعالى ـ

---

(١) كتاب التوحيد (1/ 26ـ 27)

(٢) الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: هو الإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي، الشافعي، صاحب الصحيح المستخرج على صحيح البخاري، ولد سنة (277هـ)، وتوفي سنة(371هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(292/16).

(٣) كتاب اعتقاد أهل السنة (36).

(٤) أبو بكر الخطيب: قال عنه الذهبي: الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ الناقد محدث الوقت، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي توفي سنة (463هـ)، اتظر: سير أعلام النبلاء (270/18).

(٥) رواه الذهبي في السير (284/18)

(٦) الصابوني: هو الإمام العلامة، القدوة المفسر، المحدث، شيخ الإسلام، أبو عثمان،

بالواحدانية، وللرسول بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ـ عز وجل ـ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ ـ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له ـ جل جلاله ـ ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسولهﷺ ـ ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه »[1]

ومن الذي كانت له عناية فائقة في تقرير مذهب أهل السنة في جميع أبواب الاعتقاد، وباب الأسماء والصفات على وجه الخصوص: **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى ـ فله أقوال مشرقة، ومواقف نبيلة حيث قضى حياته في سبيل تقرير مذهب السلف، وفي سبيل الدفاع عنه فمن أقواله رحمه الله ـ في هذا الباب قوله:

« ومذهب سلف الأمة، وأئمتها: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسولهﷺ ـ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد على الممثلة ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2] رد على المعطلة ...» [3]

إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري، الصابوني، ولد سنة (373هـ وتوفي سنة (449هـ) انظر: سير أعلام النبلاء(40/18).

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (160ـ 161)

(٢) سورة الشورى آية (11)

(٣) منهاج السنة (1/ 413) ، ومجموع الفتاوى (309/6)

ذكر من حكى إجماع أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه في باب الأسماء والصفات:

منهم حافظ المغرب ابن عبدالبر رحمه الله - فقد قال:«...أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون، شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة » [٢]

وممن حكى اتفاقهم كذلك شيخ الإسلام ابن تيـ رحمه الله - في قوله:

« فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله» [٣]

ومما سبق نعلم كيف نجَّى الله أهل السنة، وبرأهم مما وقع فيه غيرهم، (فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئا من التشبيه، وتنزيههم خليا من التعطيل؛ لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما.

---

(١) ابن عبدالبر: الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، ولد سنة (368هـ)، ومات سنة(463هـ) انظر: سير أعلام النبلاء(153/18).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر (7/ 145)

(٣) شرح العقيد الاصفهانية (24ـ 25).

وأهل السنة وسط في النحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل توقد مصابيح معارفهم من: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [1] فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب) [2]

(١) سورة النور آية 35

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (1/ 187).

الباب الأول

تقرير صفة الشكر لله تعالى وما يتضمنه من مسائل عقدية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الأسماء الحسنى الدالة على صفة الشكر والمسائل العقدية المتعلقة بها .

الفصل الثاني: صفة الشكر لله تعالى والمسائل العقدية المتعلقة بها.

الفصل الأول

الأسماء الحسنى الدالة على صفة الشكر والمسائل العقدية المتعلقة بها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبات اسم الله تعالى (الشكور) وبيان معناه.

المبحث الثاني: إثبات اسم الله تعالى (الشاكر) وبيان معناه.

المبحث الثالث: مسائل متعلقة باسمي الله (الشكور والشاكر).

المبحث الأول

إثبات اسم الله تعالى (الشكور) وبيان معناه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى اسم الله (الشكور) في اللغة.

المطلب الثاني: معنى اسم الله (الشكور) المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: ذكر الأدلة على ثبوت اسم الله (الشكور).

المطلب الرابع: ذكر أقوال أهل السنة في إثبات اسم الله (الشكور).

المطلب الأول: معنى اسم الله (الشكور) في اللغة.

فهم معاني أسماء الله ﷻ ـ يعين المؤمن على تعبده لله بهذه الأسماء؛ بل هو مما أمر به الشرع؛ فالإحصاء الموعود عليه بدخول الجنة يتضمن فهم معانيها، مع حفظها والدعاء بها؛ قال ﷺ ـ :«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» (١)

وهذا يبين أن فهم المعاني من تمام المعرفة بأسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته.

يقول أبو عمر الطلمنكي رحمه الله ـ كما ذكره عنه ابن حجر ـ رحمه الله ـ : ((من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المعرفة بالأسماء والصفات وما تتضمن من الفوائد وتدل عليه من الحقائق ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالما لمعاني الأسماء ولا مستفيدا بذكر ما تدل عليه من المعاني))(٣)

ولما كان الأمر كذلك فأقول: إن معنى اسم الله (الشكور) في اللغة يأتي بمعنى:

كثير الشكر، وذلك أن الشكور:

على وزن فعول من الشكر، وأصل الشكر هو الظهور والنماء والزيادة.

---

(١) سبق تخريجه: ص (22)

(٢) أبو عمر: أحمد بن محمد بن عبدالله، المعافري، الأندلسي، الطَّلَمَنْكِيُّ، وطلمنك نسبة إلى مدينة بثغر الأندلس، وكان ـ رحمه الله ـ فاضلا ضابطا، شديدا في السنة، وسيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع، توفي مرابطا بطلمنك سنة (428هـ) انظر: السير للذهبي، (566/17).

(٣) فتح الباري لابن حجر، (226/11).

يقال: شَكَرَ النبتُ، وشكر الضرع إذا امتلأ، وامتلاؤه ظهوره(١).

وذكر أهل اللغة أيضا:أن الشكور يأتي بمعنى: الرضا باليسير، من قولهم: فرس شكور. إذا كفاه لسِمَنِه العلفُ القليل(٢).

كما يقال في المثل: (أشكر من بَرْوَقَة (٣))، وذلك أنها تخضر من الغيم من غير مطر.

كما قالوا: إن الشكور من الشكر، وأن حقيقة الشكر هي: الرضا باليسير(٤).

ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله (٥) ـ: ((الشكر: هو عرفان الإحسان ونشره وحمد موليه، وهو الشكور أيضا.

قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٦) ...))(٧)

---

(١) انظر: كتاب العين (5/ 292)، ومقاييس اللغة (512)، ولسان العرب (423/4)، والصحاح (436/2)، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (47).

(٢) انظر: كتاب العين (5/ 292)، ومقاييس اللغة (512).

(٣) البروق: نوع من النبات وواحدته (بروقة) وهو نبت ضعيف، يعتبر من أشكر النبات حيث يكفيه القليل من الندى فيخضر. انظر: المنتخب من غريب كلام العرب لعلي بن الحسن كراع النمل (1/ 465)، وجمهرة اللغة لأبي بكر الأزدي (1/ 322)، ولسان العرب (10/ 18).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (512).

(٥) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، اليحمدي، من أئمة اللغة والأدب، وهو واضع علم العروض، وهو استاذ سيبويه النحوي، ولد سنة(100هـ) في البصرة ومات بها، له مصنفات عدة منها:(كتاب العين)،و (معاني الحروف) وكتاب العروض). انظر: السير للذهبي(429/7)،و الأعلام للزركلي(2/ 314).

(٦) سورة الإنسان، آية (9).

(٧) كتاب العين،(292/5)

المطلب الثاني: معنى اسم الله (الشكور) المضاف إلى الله تعالى

تقرر في المطلب السابق ما لبيان معاني أسماء الله الحسنى من الأهمية في عبادة المؤمن، وتعبده لله ﷻ - وهذا ما حمل علماء الإسلام على الاعتناء بأسماء الله وشرحها، وبيان معانيها، ومن ضمنها اسم الله (الشكور) فقد جاء بيان معناه المضاف إلى الله عن غير واحد من أهل العلم، كعلماء التفسير عند تفسيرهم للآيات التي ورد فيها اسم الله (الشكور)، أو أولئك العلماء الذين صنفوا في شرح أسماء الله الحسنى، وإحصائها.

وعند تأمل ما ذكروه من معاني هذا الاسم الحسن (الشكور) نجد أنها متقاربة جدا؛ ولكن يختلفون في ضرب الأمثلة لبيان معناه؛ لذا سأقتصر على ذكر بعض أقوالهم في بيان معناه خشية الإطالة والإملال:

أورد البغوي رحمه الله[1] - في تفسيره عند قول الله - تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما - أنه قال : ((يغفر العظيم من ذنوبهم، ويشكر اليسير من أعمالهم))[3]

(١) هو الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفَرَّاءُ البغوي الشافعي الُمَفَّسر ، صاحب التصانيف، ك(شرح السنة)، و(معالم التنزيل) وكان على منهاج السلف حالا وعقدا، توفي سنة (516هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (439/19).

(٢) سورة فاطر، آية (30).

(٣) تفسير البغوي (420/12)

وأخرج ابن جرير إمام أهل التفسير رحمه الله - بسنده عن قتادة رحمه الله - في تفسير الآية السابقة أيضا أنه قال :

((غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم))[٣]

وقال ابن جرير رحمه الله - في موضع آخر عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[٤] ((شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال))[٥]

وقال ابن كثير رحمه الله - في تفسيره :((شكور: يجزي على القليل بالكثير))[٧]

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، أبو جعفر، إمام عالم مجتهد، أوثق من نقل في التاريخ، وتفسيره دليل على غزارة علمه. انظر: سير أعلام النبلاء(267/14)، والأعلام للزركلي (69/6).

(٢) هو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة، السدوسي البصري، الضرير الأكمة، كان تابعيا وعالما كبيرا من أوعية العلم والحفظ، يضرب به المثل في الحفظ، قدوة للمفسرين والمحدثين، ولد سنة (60هـ) وتوفي سنة (117هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (5/ 269ـ271)، ووفيات الأعيان (85/4).

(٣) أخرجه ابن جرير بإسناد حسن (10/ 410).

(٤) سورة فاطر، آية (34).

(٥) تفسير الطبري (416/10).

(٦) هو أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البُصْرَي الشافعي، الحافظ المؤرخ المفسر، لازم الحافظ المزي وصاهره، كما أخذ الكثير عن ابن تيمية، له مصنفات مفيدة كتفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة(774هـ) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (373/1)، والأعلام للزركلي (1/ 320).

(٧) تفسير ابن كثير (4/ 2568).

وقال الخطابي[١]:((الشكور: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[٢]))[٣]

ويقول ابن القيم في نونيته:

((وَهُوَ الشكُور فَلَنْ يضيع سَعْيهمْ ... لَكِن يضاعفه بِلَا حسبان

مَا للعباد عَلَيْهِ حق وَاجِب ... هُوَ اوجب الأجر الْعَظِيم الشأن

كلا وَلَا عمل لَدَيْهِ ضائع ... إن كَانَ بالإخلاص والإحسان))[٤]

وقال أيضا رحمه تعالى في بيان معنى الشكور :

((وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على الحقيقة فإنه يعطى العبد ويوفقه لما يشكره عليه ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها الى أضعاف مضاعفة ويشكر عبده بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفى ملئه الأعلى ويلقى له الشكر بين عباده ويشكره بفعله فإذا ترك له شيئا أعطاه

---

(١) أبو سليمان:حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، كان فقيها أديبا محدثا، له تصانيف بديعة منها:
(غريب الحديث)،و (معالم السنن في شرح سنن أبي داود)، و(كتاب شأن الدعاء).
توفي سنة (388هـ). انظر: السير(23/17)، ووفيات الأعيان (2/ 214).

(٢) سورة فاطر، آية (34).

(٣) شأن الدعاء،(65).

(٤) شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس (98/2).

أفضل منه وإذا بذل له شيئا رده عليه أضعافا مضاعفة وهو الذى وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك))[١] .

وخلاصة القول في بيان معنى الشكور أن نقول:

الشكور : اسم من أسماء الله الحسنى، ويتضمن صفة من صفاته العلا وهي صفة الشكر، وهو ـ سبحانه ـ شكور لأهل التوحيد من عباده، يشكر لهم نعما هو أعطاهم إياها وجعلها لهم؛ فيقبل اليسير من العمل ويرضاه ويضاعفه أضعافا كثيرة، ويثيبهم عليه بجزيل الثواب، ويتفضل عليهم بشكره فينجيهم من كل مكروه، ويحقق لهم كل مرغوب وهو الغني الحميد[٢]

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (281ـ280)،

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (179/1) معارج القبول للحكمي (50/1)، وتفسير السعدي (5/ 304)، وشرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس (98/2).

المطلب الثالث: ذكر الأدلة على ثبوت اسم الله (الشكور)

من القواعد المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة: أن أسماء الله توقيفية؛ فلا يثبت لله ـ سبحانه وتعالى ـ منها شيء إلا ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسو ﷺ ـ في سنته، فأهل السنة لا يتجاوزن الكتاب والسنة فما ثبت فيهما أثبتوه، وما ورد نفيه في الكتاب والسنة نفوه.

فانطلاقا من هذا الأصل أقول: إن من الأسماء الثابتة لله ـ تعالى ـ اسمه (الشكور) فقد سمى الله به نفسه في أربع مواضع من كتابه، وهي:

قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١)

وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢)

وقوله: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣)

وقوله: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٤)

---

(١) سورة فاطر آية (30)

(٢) سورة فاطر آية (34)

(٣) سورة الشورى آية (23)

(٤) سورة التغابن آية (17).

المطلب الرابع: ذكر أقوال أهل السنة في إثبات اسم الله (الشكور)

تميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم من أهل الأهواء بتمسكهم بالأصلين العظيمين ـ الكتاب والسنة ـ وبناءً على هذا جاءت أقوالهم خصوصا في باب الاعتقاد نيِّريةً يستضيء بها من أراد السير على منهاجهم وسلوك طريقهم

ومن هذا أقوالهم في إثبات اسم الله (الشكور) فقد ورد عنهم إثبات هذا الاسم كما ورد إثبات غيره من الأسماء التي دل على ثبوتها الكتاب والسنة فمن ذلك ما يلي:

ـ قال الإمام الحافظ ابن منده [1] رحمه الله ـ:((من أسماء الله عز وجل ـ الشهيد و الشاهد والشكور والشاكر))[2]

ـ وقال الإمام الحافظ قَوَّامُ السنة [3] رحمه الله ـ ((ومن أسماء الله ـ تعالى ـ: الشاكر والشكور.....))[4]

ـ وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ جاء ذكره لاسم الله (الشكور) وإثباته له في مواضع متعددة :

---

(١) هو الإمام الحافظ الجوَّال محدث الإسلام، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد العَبْدِيُّ مولاهم الأصبهاني، صاحب التصانيف: (كتاب الإيمان)، و (كتاب التوحيد)، و(كتاب الصفات) ولد سنة(310هـ) وتوفي سنة (395هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(28/17).

(٢) كتاب التوحيد (141/2).

(٣) أبو القاسم: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التميمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، من أعلام الحفاظ، وكان إماما في التفسير والحديث واللغة، وفاته سنة: (535هـ) انظر: السير (80/20)، و الأعلام (323/1).

(٤) الحجة في بيان المحجة (144/1).

ففي بيان تلبيس الجهمية في رد من ردوده وهو يذكر جملة من الأسماء التي تسمى الله بها، وسمى بها غيره قال: ((الثاني عشر: الشكور)) [١] واستدل عليه بقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [٢]

وفي بعض المواضع يبين معناه عند ذكره لاسمي الجلالة (الغفور والشكور) حيث يقول:((... من الغفور الشكور: الذي يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل ..))[٣]

ـ وجاء إثبات اسم الله الشكور أيضا عند تلميذ شيخ الإسلام الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في قوله في نونيته:

((وَهُوَ الشكُور فَلَنْ يضيع سَعْيهمْ ... لَكِن يضاعفه بِلَا حسبان))[٤]

وقال أيـ رحمه الله ـ: في أثناء حديثه عن فضل الشاكرين((.... واشتق لهم اسما من أسمائه؛ فإنه ـ سبحانه ـ هو الشكور، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره...))[٥]

ـ وممن ذكر وأثبت اسم الشكور لله ـ سبحانه وتعالى ـ من علمائنا أيضا الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعد رحمه الله ـ:

حيث قال: ((ومن أسمائه تعالى الشاكر الشكور وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عدٍ

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (504/2).

(٢) سورة فاطر آية (34)

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (18/ 204)، والفتاوى الكبرى (123/1).

(٤) شرح القصيدة النونية لهراس (98/2).

(٥) مدارج السالكين(2/ 232)

ولا حساب ...))[1]

ويقول ابن عثيمين ـ عليه رحمة الله ـ:((وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسما مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال: فمن كتاب الله تعالى: وأخذ في عدِّ ما ظهر له أنه من أسماء الله الحسنى: ومنها اسم الله (الشكور)) [2]

ـ وذكر الشيخ عبدالمحسن العباد ـ حفظه الله ـ أنه لم يثبت في تعيين الأسماء حديث، وقد اجتهد العلماء في استخراج تسعة وتسعين اسما من الكتاب والسنة ثم سمى بعضهم[3] ثم قال بعد ذلك:

((...وأسرُدُ فيما يلي تسعة وتسعين من أسماء الله الحسنَى، مرتَّبَةً على حروف الهجاء، ومع كلِّ اسم دليلَه من الكتاب أو السُّنَّة)) ومما ذكره من أسماء الله الحسنى: اسم الله (الشكور) [4]

وغير هؤلاء العلماء كثير ممن ذكر هذا الاسم (الشكور)، وعدَّه من أسماء الله الحسنى؛ بل كاد أن يُجمع على إثباته كل من اجتهد في جمع أسماء الله، وإحصائها إلا النزر اليسير منهم[5]

---

(١) تفسير السعدي (5/ 630).

(٢) انظر: القواعد المثلى ضمن مجموع رسائل ابن عثيمين (3/276ـ 277).

(٣) ذكر: الحافظ ابن حجر في فتح الباري (11/215)، وابن عثيمين في القواعد المثلى.

(٤) قطف الجنى الداني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني ( )

(٥) قال د/ محمد بن خليفة التميمي عن هذا الاسم: ((ورد في جميع طرق حديث الأسماء، وورد عند جميع الذين اعتنوا بجمع الأسماء، وذكر أنه لم يرد في جمع جعفر الصادق، وسفيان بن عيينة)) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (156).

المبحث الثاني

إثبات اسم الله تعالى (الشاكر) وبيان معناه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى اسم الله (الشاكر) في اللغة.

المطلب الثاني: معنى اسم الله (الشاكر) المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: ذكر الأدلة على ثبوت اسم الله (الشاكر).

المطلب الرابع: ذكر أقوال أهل السنة في إثبات اسم الله (الشاكر).

المطلب الأول: معنى اسم الله (الشاكر) في اللغة.

الشاكر: اسم فاعل للموصوف بالشكر، من شَكَر يَشْكُرُ فهو شاكر(١).

والشكر ضد الكفر، والكفر ستر النعمة، والشكر إظهارها(٢)

وقيل: إن أصل مادة اسم الله (الشاكر) هي (الشكر) كما قيل ذلك في اسم الله (الشكور)(٣).

وقالوا في معنى الشكر كما في الصحاح وغيره (٤) هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف.

يقال: شَكَرْتُهُ ، وشكرت له، وباللام أفصح.(٥)

وسبق أن ذكرت أن حقيقة الشكر هي الرضا باليسير، وأنه يطلق أيضا على الامتلاء من الشيء، وأنه يأتي بمعنى النماء والزيادة (٦) هذا ما أمكن ذكره في هذا المطلب وفيما يأتي ذكره في المطلب القادم ـ بإذن الله ـ بيان لمعنى هذا الاسم الحسن (الشاكر) عند إضافته إلى الله ـ عز وجل .

---

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (183)، والجامع لأسماء الله الحسنى (365).
(٢) انظر: تفسير البغوي (2/ 303).
(٣) انظر: المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله االحسنى (2/ 628).
(٤) انظر: مقاييس اللغة (512)، ولسان العرب (4/ 423)،
(٥) انظر: الصحاح للجوهري (2/ 436).
(٦) انظر: مقاييس اللغة (512)، ولسان العرب (4/ 423).

المطلب الثاني: معنى اسم الله (الشاكر) المضاف إلى الله تعالى.

معنى اسم الله (الشاكر) المضاف إلى الله ـ تعالى ـ ذكره كثير من العلماء في كتبهم خصوصا كتب التفسير، وشروح الأحاديث، والكتب التي خصها مؤلفوها ببيان معاني أسماء الله الحسنى وشرحها؛ لكن يجب أن لا نخفي أننا عند رجوعنا لأمثال هذه المؤلفات أننا نكون على حذر شديد خوفا من الوقوع في التأويل المذموم الذي يترتب عليه نفي ما يتضمنه الاسم من الصفة، وهذا بليت به ـ والله المستعان ـ المؤلفات التي ينتهج أصحابها المناهج الكلامية ـ وبإذن الله لنا وقفة مع التأويل المذموم والرد عليه في الباب الثاني من هذه الرسالة ـ أما هذا المطلب فهو لبيان المعنى الصحيح لهذا الاسم (الشاكر) عند إضافته إلى الله ـ عز وجل ـ فأقول مستعينا بالله تعالى:

إن معنى اسم الله (الشاكر) أي المادح لمن يطيعه، والْمُثْنِي عليه، والْمُثِيب له بطاعته، فضلاً من نعمته.

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله ـ عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] أي:((فإن الله شاكر له على تطوعه بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهه فمجازيه به))[2]

وقال الإمام البغوي رحمه الله ـ عند تفسير الآية السابقة أيضا: ((شاكر: أي مجاز لعبده بعمله))[3]

ويفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله ـ الشاكر في الآية أي:

(١) سورة البقرة آية (158)
(٢) تفسير الطبري (2/ 55).
(٣) تفسير البغوي (175/1).

الذي يثيب على القليل بالكثير [١] وفي موضع أخرى يبين أن الشاكر هو الذي يشكر من شكر له [٢]

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله ـ في بيان معنى الاسمين (الشاكر والشكور):((أي الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة تقرب الله منه أكثر))[٣]

وبعد ذكر هذه الأقوال عن علماء أهل السنة في بيان معنى اسم الله (الشاكر) عند إضافته إلى الله تعالى نقول: إن هذا الاسم مع دلالته على وصف الله بصفة الشكر فإن من المعاني التي يتضمنها هذا الاسم ما يلي:

1ـ المادح لمن يطيعه والمثني عليه.

2ـ المجازي لمن أطاعه ابتغاء وجهه الجزاء الأوفى.

3ـ المثيب على العمل اليسير بالثواب الجزيل .

4ـ المضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب.

وكل هذه المعاني يصح الإخبار بها عن الله عز وجل طالما أنها خالية من المحذور، ولا تؤدي إلى نفي ما هو ثابت لله ـ تعالى ـ أو وصفه بما ينزه عنه مما ينافي كماله؛ بل المرء المسلم حينما يتأمل هذه المعاني التي يتضمنها اسم الله (الشاكر) ومثله اسم الله (الشكور) فإنه يظهر له ما فيها من دلالات على فضل الله ورحمته،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (1/ 322)
(٢) انظر: نفس المصدر (1/ 841)
(٣) تفسير السعدي (5/ 304).

وعلى عدله وإحسانه، وأنه ـ جل وعلا ـ لا يظلم أحدا، و أنه لا يضيع أجر المؤمنين، بل يشكر لهم أعمالهم ويجزيهم عليها الجزاء الأوفى، وفي هذا ترغيب للعباد، في كسب الصالحات، مهما اعترضت لهم الصعاب والمشقات، لعلمهم وإيمانهم أن ربهم يشكر لهم أعمالهم، وأنه الشكور الغفور ـ جل وعلا ـ والله أعلم .

المطلب الثالث: ذكر الأدلة على ثبوت اسم الله (الشاكر).

عند الرجوع لنصوص الكتاب والسنة نجد أن اسم الله (الشاكر) من الأسماء الثابتة لله ـ تعالى ـ بدليل الكتاب فقط، وذلك أنه لم يرد إلا في موضعين من كتاب الله ـ جل وعلا ـ وهما:

الموضع الأول:

ورد اسم الله (الشاكر) مقترنا باسم الله (العليم) في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [١]

الموضع الثاني:

ورد أيضا مقترنا باسم الله (العليم) في قوله تعالى:

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[٢] .

(١) سورة البقرة آية (158)

(٢) سورة النساء آية (147).

المطلب الرابع: ذكر أقوال أهل السنة في إثبات اسم الله (الشاكر)

ما أخبر به الله في كتابه، أو أخبر به الرسول ﷺ - في سنته من أسماء الله وصفاته فإنه يجب الإيمان به وإثباته لله ﷻ - كما هو مقرر في معتقد أهل السنة والجماعة، ومن ذلك اسم الله (الشاكر) الذي ورد ذكره في جمع عدد من علماء أهل السنة أخذا بما جاء في كتاب الله؛ ومن أقوالهم في ذلك ما يأتي:

1ـ قال الإمام الحافظ ابن منده رحمه الله -:((من أسماء الله ﷻ - الشهيد و الشاهد والشكور والشاكر))(١)

2ـ وقال الإمام الحافظ قَوَّامُ السنة رحمه الله - ((ومن أسماء الله - تعالى -: الشاكر والشكور....))(٢)

3ـ قال الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - : ((ومن أسمائه تعالى الشاكر الشكور...)) (٣)

4ـ قال الشيخ سعيد بن وهف القحطاني: ((من أسمائه تعالى: الشاكر والشكور)) (٤)

وجميع هذه الأقوال كافية - بإذن الله - في بيان أن أهل السنة والجماعة السابقين منهم واللاحقين على صراط مستقيم في موقفهم من الأسماء والصفات، وأن ما جاء منها في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ - فإنهم لا يترددون في إثباته والقول بوجوب الإيمان به امتثالا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ -

(١) كتاب التوحيد (141/2).
(٢) الحجة في بيان المحجة (144/1).
(٣) تفسير السعدي (5/ 630) ، وتوضيح الكافية الشافية (125)
(٤) الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (52)

المبحث الثالث

مسائل متعلقة باسمي الله (الشكور والشاكر)

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين اسمي الله الشكور والشاكر.

المطلب الثاني: بيان مقتضاهما وأثرهما .

المطلب الثالث: دلالات اسمي الله (الشكور والشاكر) .

المطلب الرابع: دعاء الله عز وجل باسميه (الشكور والشاكر).

المطلب الخامس: حكم تسمية ووصف غير الله بالشكور أو الشاكر.

المطلب السادس: حكم تعبيد الاسم للاسمين الشكور والشاكر.

المطلب السابع: دلالات اقتران الاسمين (الشكور والشاكر) بغيرهما من الأسماء الحسنى.

المطلب الأول: الفرق بين اسمي الله الشكور والشاكر

الله تبارك وتعالى وصف أسماءه بأنها حسنى في أربع آيات من كتابه وهي:

الأولى: قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

الثانية: قوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٢)

الثالثة: قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٣)

الرابعة : قوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الأعراف:آية 180

(٢) سورة الإسراء :آية 110

(٣) سورة طه: آية8.

(٤) سورة الحشر :آية 24

وصفها بأنها حسنى؛ لأنها أحسن الأسماء على الإطلاق؛ وذلك لعظم ما دلت عليه من معاني الكمال والجمال والجلال.

ومن حسن أسماء الله أنه (ليس فيها شيء مترادف؛ إذ لكل اسم خصوصية ما، وإن اتفق بعضها في أصل المعنى)[١]

بل حتى الأسماء التي تشتق من صفة واحدة لا تعد اسما واحدا؛ بل كل صيغة من صيغ الاسم تعد اسما مستقلاً له ما يختص به عن غيره، وذلك أن أي تغيير قد يطرأ على مبنى ولفظ الاسم يتغير على إثره المعنى، وإذا تغير معناه صار اسما مستقلا بذاته.[٢]

ومن أمثلة ذلك: اسما الجلالة (الشكور والشاكر) فكلاهما قد اشتق من صفة الشكر الثابتة لله ـ تعالى ـ فلو نظرنا لأصل معناهما كما سبق في بيان معنى كل اسم عند إضافته إلى الله تعالى نجد أن بينهما اتفاقا كبيرا في أصل المعنى؛ وهذا الذي حمل بعض أهل العلم عند بيان معناهما أنهم لا يفرقون بينهما بل يذكرون أصل معناهما دون الدخول فيما يختص به كل اسم، وفي الأسطر التالية سأذكر ما وقفت عليه من كلام أهل العلم في بيان ما أختص به كل اسم عن الآخر فأقول:

إن مما ذكره أهل العلم من فرق بين (الشكور والشاكر) أنهم تكلموا عنهما أولا حينما يضافان إلى المخلوق فقالوا:

الشاكر: هو الذي يشكر مرة.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (223/11).

(٢) انظر: أسماء الله الحسنى لعبدالله الغصن (134)

والشكور: هو الذي يتكرر منه الشكر[١].

وقيل أيضا الشاكر من الناس: هو من وقع منه الشكر.

والشكور: هو المتوافر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته[٢]

هذه الفروق إذا أضيفا الشاكر والشكور إلى المخلوق الضعيف الذي يوصف بما يليق بضعفه وعجزه ونقصه.

وأما إذا أضيفا إلى الباري ـ جل وعلا ـ فلا شك أن الأمر أعظم، فهو ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء؛ فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها؛ فلا يوصف إلا بما يليق بكماله وجلاله.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ ((وأما شكر الرب ـ تعالى ـ فله شأن آخر كشأن صبره؛ فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على الحقيقة؛ فإنه يعطي العبد ويوفِّقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة..))[٣]

ومن كل ما تقدم نستطيع استنباط الفرق بين الاسمين الكريمين (الشكور والشاكر)

وهو أن (الشكور) أبلغ من (الشاكر)، لأن (الشاكر) على وزن (فاعل)، (والشكور) على وزن (فعول) بصيغة المبالغة، أي أعظم شكرا، وهذا مبني على كلام أهل اللغة أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (4/ 324)

(٢) معجم الفروق اللغوية (302).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (426).

ولو تأملنا ما سبق ذكره من معاني الاسمين نلحظ هذا ظاهرا ؛ فقالوا: الشاكر هو الذي يثني على عبده المطيع ويمدحه، ولا يضيع أجره، بل يجزيه الجزاء الأوفى.

وعند بيان معنى اسم الشكور يزيدون في معناه ما هو أعظم من قضية الثناء وموافاة العامل بالجزاء الأوفى؛ بل ينظرون فيه إلى جوانب مضاعفة الحسنات أضعافا كثيرة، والتجاوز عن السيئات، وأن الأعمال تزكو عنده ويعطي على اليسير من العمل الأجر والثواب العظيم هذا ما ظهر لي في الفرق بينهما. والله أعلم [١] .

(١) انظر: لوائح الأنوار (1/ 158)، و أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله المعرفة به (150)، و الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش (188).

المطلب الثاني: بيان مقتضاهما وأثرهما

إن مما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة: أنه يجب على كل مؤمن الإيمان بكل ما أخبر به الله، أو أخير به الصادق المصدوق ﷺ ـ سواء عرفنا معناه، أو لم نعرفه[1].

ومن ذلك الإيمان بجميع أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، وما دلت عليه من أحكام وآثار ومقتضيات.

لذا فإن مما هو مقرر ومتفق عليه عند أهل السنة والجماعة: أن الإيمان بالاسم من أسماء الله ﷻ ـ لا يتم إلا بإثبات ثلاثة أركان:

الأول: الإيمان بالاسم الوارد في الكتاب والسنة.

الثاني: الإيمان بما دل عليه الاسم من معنى وهو الصفة.

الثالث: الإيمان بما يتعلق بالاسم من آثار.

وهذا الأثر هو الحكم والمقتضى وهو ليس عاما في جميع الأسماء الحسنى ؛ بل هو خاص بالاسم الذي يدل على وصف متعد [2] مثل (الشكور والشاكر) ولا يدخل في هذا ما دل على وصف لازم غير متعد كما يأتي بيانه في الأمثلة التالية من أقوال أهل العلم[3].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (3/ 28).

(٢) بمعنى يثبت له الفعل انظر: شرح لمعة الاعتقاد (23)

(٣) انظر:القواعد الحسان للسعدي ضمن المجموعة الكاملة للسعدي(8/ 91)، وشرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (23)، والأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان (51)، الأسماء الحسنى للغصن (48).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((إن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل؛ فيخبر به عنه فعلا ومصدرا، نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ [١] ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾[٢] هذا إن كان الفعل متعديا؛ فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل؛ فلا يقال حَيِيَ)) [٣]

ويقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: ((واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها ما دل عليه الكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله كلها، وصفاته جميعها، وبأحكام تلك الصفات؛ فيؤمنون – مثلا – بأنه رحمن رحيم: ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار رحمته، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى؛ فيقال عليم: ذو علم عظيم، يعلم به كل شيء، قدير: ذو قدرة يقدر على كل شيء، فإن الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وأحكام تلك الصفات، فمن أثبت شيئا منها ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضا مبطلا))[٤].

وممن قرر ذلك وبينه بالمثال أيضا الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فقد قال: ((كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله وعلى الصفة التي

(١) سورة المجادلة آية (1).
(٢) سورة المرسلات آية (23).
(٣) بدائع الفوائد (1/ 179).
(٤) تفسير السعدي (1/ 33)، وخلاصة التفسير تيسير اللطيف المنان (8/ 179).

تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديا: ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: العظيم فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالا على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة. ومثال ذلك في المتعدي: الرحمن فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالا على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو إنه يرحم من يشاء))[1]

ومن خلال ما سبق من أقوال أهل العلم يظهر جلياً أن الاسمين الكريمين (الشكور والشاكر) من الأسماء التي تدل على وصف متعدٍ؛ فلا يتم الإيمان بهما حتى يؤمن بإثباتهما اسمين كريمين من أسماء الله ـ تعالى ـ دالين على ذات الله ـ تعالى ـ وعلى ما يتضمنانه من الصفة وهي صفة الشكر، وعلى ما يترتب عليهما من أثر ومقتضى وهو أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يشكر عباده ويضاعف لهم الأجور هذا ما أردت بيانه في هذا المطلب والله أعلم .

(١) شرح لمعة الاعتقاد (23).

المطلب الثالث: دلالات اسمي الله (الشكور والشاكر)

المسألة الأولى: دلالتهما على إثبات صفات الأفعال لله تعالى.

تقرير هذه المسألة ـ بإذن الله ـ تعالى ـ سيكون من خلال الوجوه التالية:

أولا/ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ استدل باسميه (الشكور والشاكر) في إثبات صفات أفعاله.

إن أصح الأدلة الدالة على ما لله من صفات الكمال ونعوت الجلال هي تلك الأدلة (التي نزل بها الكتاب، وبها نطق، ولها أثبت وحقق، وبها تعرَّف الله إلى عباده حتى أقرَّت به العقول، وشهدت به الفطر)[١]

ومن ذلك الاستدلال باسمي الله (الشكور والشاكر) في إثبات صفات الأفعال لله ـ تعالى ـ على ما يليق به وبكماله ـ سبحانه .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منها حق والقرآن مشتمل عليه ...))[٢]

والطريق الأولى هي طريق الخواص من عباد الله يستدلون بالله وبأسمائه وصفاته على أفعاله، وما يليق به أن يفعله جل وعلا [٣].

لأنهم وجدوا أن الله في كتابه (يدل عباده بأسمائه وصفاته على ما يفعله، ويأمر به، وما يحبه ويبغضه، وما يثيب عليه وما يعاقب عليه ... وهو سبحانه يذكر

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم (186).
(٢) مدراج السالكين (1/ 71).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (95).

علمه عند شهادته، وقدرته وملكه عند مجازته، وحكمته عند خلقه وأمره، ورحمته عند ذكره إرسال رسله، وحلمه عند ذكر ذنوب عباده ومعاصيهم، وسمعه عند دعائه ومسألته، وعزته وعلمه عند قضائه وقدرته.

فتأمل ورود أسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والأمر والثواب والعقاب)(١).

وبهذا يتبين أن أسماءه ـ جل وعلا ـ لا تدل على توحيده فحسب؛ بل إنها تدل مع ذلك على إثبات ما يليق بكماله من صفات الأفعال، ونعوت الجلال، وأن إثباتها مما تقتضيه أسماؤه وتستدعيه، وأن نفيها يعد تعطيلا لأسمائه عن موجباتها ومقتضياتها(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيل الأفعال عن المفعولات، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته.

وإذا كانت أوصافه صفات كمال، وأفعاله حكما ومصالح، وأسماؤه حسنى ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه))(٣)

ولذا كثيرا ما يجعل الله عز وجل ـ أسماءه دليلا على إثبات ما ينكره الجاحدون من صفات كماله كقوله تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٤)

---

(١) انظر: التفسير القيم لابن القيم (197).

(٢) انظر: مدارج السالكين(1/ 450)، وجلاء الأفهام (95)، وشرح الطحاوية(36).

(٣) مدارج السالكين (1/ 450)

(٤) سورة الملك آية (14)

ومن هذا الباب استدلاله ـ جل وعلا ـ بالشكور والشاكر في إثبات ما يلق به من صفات الأفعال، وتنزيهه عما يضاد كمال أفعاله كما في قوا ﷻ ـ:

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢)

ففي الآيتين السابقتين يستدل الله ـ سبحانه وتعالى ـ بما ورد فيهما من أسمائه الحسنى على إثبات ما تتضمنه من صفات أفعاله وما يلزم من إثباتها من وصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن كل ما ينافي موجب أسمائه وصفاته فهو سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تزيد في ملكه شيئا، ولا تضره معصية العاصين، ولا تنقص من كماله شيئا؛ فأخبر عن كمال غناه وسعة حلمه ورحمته وإحسانه، فإذا آمن العباد بها وشكروه، وقاموا بما يحب من اقتراف الحسنات وعمل الصالحات، فمن موجب اسميه الشكور والشاكر أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا بل يشكر لهم أعمالهم ويزد في حسناتهم، وكل ذلك مما يقتضيه الاسمان الكريمان ويستدعيانه، ونفي ذلك يعد من تعطيل الأسماء الحسنى عن موجباتها ومقتضياتها.

---

(١) سورة النساء آية (147)

(٢) سورة الشورى آية (23).

فإذا تقرر ذلك فقد تبين دلالة الاسمين على إثبات صفات الأفعال لله تعالى وذلك من خلال إثباتهما لصفة الشكر ـ وهي من الصفات الفعلية ـ وما تستلزمه هذه الصفة من صفات الفعل التي ستذكر بالتفصيل في المسألة التالية بإذن الله تعالى.

ثانيا/ أن أفعال الله صادرة عن أسمائه وصفاته

إن من القواعد المقررة والمتفق عليها عند أهل السنة والجماعة:

(أن أفعال الرب ـ تبارك وتعالى ـ صادرة عن أسمائه وصفاته؛ بخلاف المخلوقين؛ فإن أسماءهم صادرة عن أفعالهم)[1]

فبناء على هذه القاعدة فإنه يستدل بأسماء الله ﷻ ـ ما يمكن أن يتصف به من كمال الأفعال.

فيقال : إن اسمه (الشكور) أو اسمه (الشاكر) مثلا يتضمن كل واحد منهما اتصافه بالشكر ويجوز أن يخبر عنه بما يؤخذ منها من الفعل وهو أنه ـ سبحانه يشكر من أطاعه وشكره، وأن أحب عباده إليه من اتصف بالشكر، وذلك لأن الفعل كمال وعدمه نقص، والله سبحانه موصوف بالكمال منزه عن كل نقص. لذا كانت أفعال الرب ﷻ ـ تابعة لأسمائه وصفاته في الدلالة على الكمال؛ إذ هو لما كَمُلَ في أسمائه وصفاته؛ كانت أفعاله كلها كمالا وإحسانا.

فله جمال من أفعاله، وجمال من أسمائه، وجمال من صفاته، وهذا مقام عظيم إذ هو استدلال بما يجب لله من الكمال على ما يصدر منه ـ تعالى ـ من الفعل، فله الحمد على أسمائه وصفاته، وله الشكر على أفعاله[1].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (1/ 179).

ويوضح هذا ما قاله ابن القيم رحمه الله ـ:((إن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم؛ فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله والمخلوق كماله عن فعاله فاشتقت له الأسماء بعد أن كَمُلَ بالفعل؛ فالرب لم يزل كاملا فحصلت أفعاله عن كماله لأنه كامل بذاته وصفاته فأفعاله صادرة عن كماله كَمُلَ ففعل والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به))(٢).

ثالثا/ دلالة ما يتعلق بالاسمين (الشكور والشاكر) من الآثار على إثبات الصفات الفعلية.

السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ يثبتون حقائق أسماء الله وصفاته؛ كما يثبتون لوازمها الصحيحة، على وفق ما هو مقرر لديهم في هذا الباب؛ بل يرون أن الإيمان بأحكام أسماء الله وآثارها مما يجب الإيمان به على كل من أطاق فهمه وإدراكه، لأنه من لازم الإيمان بالأسماء والصفات ولا يتأتى اللازم إلا بملزومه(٣)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((فالمؤمن يعلم أحكام هذه الصفات، وآثارها؛ وهذا الذي أُرِيْدَ منه؛ فيعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما))(٤)

ويقول ابن القيم رحمه الله ـ وهو يتحدث عن مشهد الأسماء والصفات:

---

(١) انظر: الكمال الإلهي (297).

(٢) بدائع الفوائد (179).

(٣) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف(98).

(٤) مجموع الفتاوى(6/ 215).

((...وهو من أجل المشاهد... والمطلع على هذا المشهد: معرفة تعلق الوجود خلقا وأمرا بالأسماء الحسنى، والصفات العلا، وارتباطه بها، وإن كان العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها.

وهذا من أجل المعارف وأشرفها، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة، فإن أسماءه أوصاف مدح وكمال، وكل صفة لها مقتضى وفعل إما لازم، وإما متعد، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه، وهذا في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها))[١].

فبناء على ما سبق (فكل ما يُرى في السماوات، وفي الأرض هو أثر من آثار فعله ـ سبحانه وتعالى ـ وهي شواهد ودلائل على صفات أفعاله ـ التي لا تشابه صفات المخلوقين ـ ولا يمتنع حينئذ اعتبارها من قبيل الخبر بناءً على أنها يُخْبَرُ بها عن الله ؛ فيقال مثلا: الله شاكر لعباده، ورازق لمن في السماوات والأرض ونحو ذلك؛ فيجب أن تنسب هذه الأفعال إليه دون غيره؛ إذ الفعل يرجع لفاعله كما أن الصفة ترجع لموصوفها، وكما أنه لا يُعْقَلُ موصوف بلا صفات فكذلك لا يعقل فاعل بلا فعل)[٢].

فإذا علمنا أن جميع المخلوقات إنما هي أثر من آثار أسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ فيكون من آثار الاسمين الشكور والشاكر إيجاد الشكر في العباد؛ فما حصل من الشكر في العباد فهو معطيه، وهو من آثار الاسمين الكريمين، وهكذا

---

(١) مدارج السالكين (1/ 450).

(٢) انظر: تحرير الاعتقاد في الأسماء والصفات (76).

فما من اسم من أسماء الله الحسنى إلا وله تأثير في الكونيات كما له تأثير في القلوب والوجدانيات[١] .

وعند استعراضنا لما تقدم ذكره نجد دلالة الأسماء على صفات الله وأفعاله من أبين ما يكون، وأن دلالتها متصلة لارتباط بعضها ببعض؛ فالمفعولات دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الأسماء، والأسماء دالة على الصفات، والصفات قائمة بذاته الله تبارك وتعالى[٢].

وذلك لأن العباد لم يروا ربهم في هذه الدار، وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته، و آثار صنعه؛ فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم [٣] فـ(انظم شاهد العقل والفطرة إلى شاهد الوحي والشرع؛ فانتقلوا حينئذ من الخبر إلى العيان)[٤]

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات فإذا شاهد شيئا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات ثم استبدل بجمال الصفات على جمال الذات ومن ههنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله وأن أحدا من خلقه لا يحصي ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه وأنه يستحق أن يعبد لذاته ويحب لذاته ويشكر لذاته))[٥]

رابعا/ دلالتهما على إثبات صفات الأفعال من ناحية تعلقهما بمشيئة الله وإرادته.

---

(١) القواعد الكلية (76).

(٢) انظر مدارج السالكين (2/ 346).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (378).

(٤) مرجع سابق (3/ 382).

(٥) الفوائد (203).

لا شك في دلالة الاسمين الكريمين (الشكور والشاكر) على صفات الله الفعلية لتعلقهما بمشيئة الله وقدرته، والصفة التي يدلان عليها هي من الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، والفعل الذي ينشأ عنها لا يقع إلا بمشيئة وقدرة؛ فمن شاء الله أن يشكره خصه بشكره وفضله، كما أن شكره وتخصيص عبده به إنما هو جارٍ على وفق حكمته ﷻ ـ التي لا يتخلف عنها فعل من أفعاله.

فإثبات ما دل عليه الشكور والشاكر من صفات، وما كان مثلها، وما ينشأ عنها من أفعال يعد إثباتها من لوازم إثبات الذات العلية التي لا يمكن تعطيلها عن صفات كمالها، والرب ـ جل وعلا ـ لا يكون إلا فاعلا، والفعل من لوازم حياته سبحانه وتعالى[1] .

خامسا/ دلالتهما على صفات الأفعال من ناحية كونهما من الأسماء المتعدية.

الله ـ سبحانه وتعالى ـ سمى نفسه بأسماء مختصة به، وأسماؤه أعلام وأوصاف؛ فاستحق كمالا من أسمائه، وكمالا من صفاته، وكمالا من اجتماعهما في الدلالة على ذاته المقدسة، وأخرى للدلالة على ما يجب له من صفات جلاله وجماله، وما دلت عليه من كمال أفعاله[2].

وأسماء الله الحسنى تنقسم قسمين:

1ـ أسماء متعدية: وهي التي تدل على وصف متعدٍ كالشكور والشاكر، والسميع.

2ـ أسماء لازمة: وهي التي تدل على وصف غير متعدٍ كالحي والقوي والغني.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق(295/1)، والقواعد الكلية للبريكان(401).

(٢) انظر: القواعد الكلية (228).

ولأهل السنة والجماعة طريقة راسخة في إثباتها، والاستدلال بها على صفات الكمال ونعوت الجلال، فإذا كان الاسم من الأسماء المتعدية أثبتوه اسما لله تعالى، وأثبتوا ما تضمنه من الصفات، ويثبتون تعدي أثره إلى معموله، ويخبرون عن الله ـ تعالى ـ بالفعل الناشئ عنه.

وأما إن كان الاسم لازما، فيثبتونه اسما لله ـ تعالى ـ ويثبتون ما يتضمنه من الصفة، ولا يخبرون عنه بفعله للزومه وعدم تعديه[1]

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((إن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل؛ فيخبر به عنه فعلا ومصدرا، نحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾[2] ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾[3] هذا إن كان الفعل متعديا؛ فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل؛ فلا يقال حَيِيَ))[4]

وبهذا يظهر جليا دلالة الاسمين الشكور والشاكر على الصفات الفعلية وذلك لأنهما من الأسماء المتعدية الدالة على وصف متعدٍ يجوز أن يشتق منه الفعل فيخبر به عن الله سبحانه وتعالى والله أعلم

سادسا/ دلالتهما على صفات الأفعال باعتبار ما يدلان عليه من المعاني.

---

(١) انظر:مجلة الدراسات الإسلامية (مجلد 25،عدد 1،سنة1434هـ ربيع الأول،(70).
(٢) سورة المجادلة آية (1).
(٣) سورة المرسلات آية (23).
(٤) بدائع الفوائد (1/ 179).

وذلك أن الشكور والشاكر من أسماء التمجيد الدالة على معاني ثبوتية قائمة بالرب ﷻ ـ على الوجه اللائق به ـ سبحانه ـ ودلالتهما على صفات الأفعال من جهة ما يدلان عليه من المعاني له جوانب ثلاثة:

1ـ دلالتهما على صفة الشكر وهي كما سبق من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته وإثباتها لله عز وجل يقتضي إثبات ما كان مثلها من صفات الأفعال فباب الصفات باب واحد.

2ـ دلالتهما على صفات الأفعال من طريق دليل الالتزام .

دليل الالتزام من الأدلة الصحيحة في باب الأسماء والصفات، وذلك إذا استدللنا بالاسم أو الصفة على غيرهما من الأسماء والصفات التي يتوقف إثباتهما عليها، ودلالة الالتزام هذه هي التي قلت عنها فيما سبق أنها تحتاج إلى قوة فكر وتأمل لتفاوت أهل العلم فيها [1]؛ لذا فقد خصصت المسألة التالية في بيان هذه الدلالة وما تدل عليه من صفات الكمال ونعوت الجلال الثابتة لله ـ تعالى

3ـ دلالتهما على صفات الأفعال عند اقترانهما بغيرهما من الأسماء.

الاسمان الكريمان الشكور والشاكر من أسماء الله التي جاءت في كتاب الله مقترنة بغيرها من الأسماء الحسنى؛ فالشكور ورد مقترنا بالغفور والحليم، وأما الشاكر لم يأتِ مقترنا إلا باسم واحد من أسماء الله وهو العليم، وهذا الاقتران بين أسماء الله الحسنى، أو بين صفاته الوارد في النصوص لا شك أن له حِكَماً ودلالات: فمن ذلك إثبات ما دلت عليه الأسماء والصفات من صفات الكمال في حال انفرادها، وإثبات ما نشأ من الكمال عن ذلكم الاقتران، وذلك أن كل

---

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية (3/ 391).

اسم من أسماء الله ـ عز وجل ـ يتضمن صفة كمال؛ فإذا اقترن باسم آخر من أسماء الله الحسنى كان له سبحانه ثناء من كل اسم منهما باعتبار انفراده، وثناء من اجتماعهما، وذلك قدر زائد على مفرديهما[١]

يقول ابن الق رحمه الله ـ عما يحصل عند هذا الاقتران:((صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما))[٢]

وهذه الصفة الحاصلة من اقتران الاسمين أو الوصفين لا شك أنها من صفات الكمال التي يجب أن تثبت لله ـ تعالى ـ على ما يليق بجلاله وعظمته، وكل هذا سيظهر بإذن الله ـ تعالى ـ عند حديثنا عن حِكَمِ اقتران الاسمين الشكور والشاكر بغيرهما من أسماء الله ـ تعالى ـ [٣]فإلى ذلك الحين والله هو الموفق والمعين.

---

(١) انظر: المجلي لكاملة الكواري(102)، فقه الأسماء الحسنى للبدر(41).

(٢) بدائع الفوائد (1/ 177).

(٣) انظر: الصفحات (108ـ 117).

المسألة الثانية: دلالتهما على صفات الكمال

لقد تواطأت الأدلة الشرعية والعقلية ودلالة الفطرة على إثبات الكمال المطلق لله ـ تعالى ـ بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب ـ تبارك وتعالى ـ يستحقه بنفسه المقدسة [١]، ومع ثبوت وصفه سبحانه بصفات الكمال فقد أقام ـ ﷻ ـ البراهين والأدلة لعباده على استحقاقه ما ينبغي له من الكمال اللائق به ـ سبحانه ـ ومن ذلك دلالة أسماء الرب ـ ﷻ ـ على صفات الكمال، وهذا ما يقتضيه الإيمان بأسماء الله ـ سبحانه وتعالى ـ فالإيمان بالاسم الواحد من أسماء الله يتضمن الإيمان بما دل عليه من معاني الكمال الذي لا نقص فيها بوجه من الوجوه [٢]، وبذلك كانت حسنى؛ إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح، ولا ثناء[٣]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

((وثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة ، دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له، وتفصيل محامده، وأن له المثل الأعلى، و إثبات معاني أسمائه، ونحو ذلك كله دال على هذا المعنى))[٤]

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((إن أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله؛ فهي مشتقة من الصفات؛ فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى؛ إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى))[١]

(١) انظر: مجموع الفتاوى (6/ 71).
(٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنى للغصن(54).
(٣) انظر: مدارج السالكين(1/ 37).
(٤) مجموع الفتاوى (6/ 45).

فإذا ثبت هذا فإن دلالة الاسمين الشكور والشاكر على صفات الكمال لله تعالى تكون من وجوه منها:

أولا: من ناحية دلالتهما على توحيد الأسماء والصفات.

وذلك لما للاسمين الشكور والشاكر من دلالة على اتصاف الرب ـ جل وعلا ـ بصفات الكمال، وتنزيهه عن كل ما ينافي كماله، وهذا يقتضي إثبات كل ما ورد من الأسماء والصفات؛ فإذا أثبتنا صفة من صفات الله فإن هذا يقتضي إثبات الباقي من صفات الله ـ تعالى ـ، وإذا ثبتت الصفات كان ذلك إثباتا للأسماء المشتقة منها، وعلى هذا مدار التوحيد العلمي الخبري؛ فإنه قائم على إثبات صفات الكمال، وتنزيه الرب عن النقائص والأمثال.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((فأما توحيد العلم فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص))[٢]

وبإثبات صفات الكمال له ـ سبحانه ـ وتنزيهه عن صفات النقص استحق أن يكون إلها وربا ومعبودا؛ ففاقد أوصاف الكمال لا يصلح أن يكون إلها، ولا مدبرا، ولا ربا، بل هو معيب مذموم.

وهذا الذي جلب المذمة لجميع المعبودات الباطلة التي عبدت من دون الله ـ عز وجل ـ وجعلها لا تستحق شيئا من العبادة؛ فقد وصفها الله في كتابه بصفات

---

(١) انظر: جلاء الأفهام (123)، وبدائع التفسير (38/1).

(٢) مدارج السالكين (1/ 33).

النقص، وأنها لا تملك شيئا من أوصاف الكمال؛ فعابها بأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تتكلم ولا تهدي، ولا تنفع ولا تضر [١]

وكل هذا يؤكد أن توحيد الأسماء والصفات؛ إنما يتحقق بإثبات صفات الكمال لله ـ تعالى ـ وتنزيهه عن كل ما ينافي كماله، وهذا متحقق في إثبات الاسمين الكريمين الشكور والشاكر وسائر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا.

ثانيا/ أن إثباتهما يستلزم إثبات صفات الكمال لله تعالى .

فإن مما هو معلوم في قواعد أسماء الله الحسنى لدى أهل السنة والجماعة:

أن كل اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ له ثلاث دلالات:

دلالة بالمطابقة، ودلالة بالتضمن، ودلالة باللزوم[٢]

وتقرير دلالات أسماء الله الحسنى على إثبات صفات الكمال باعتبار دلالاتها اللفظية جاء عن غير واحد من أهل العلم؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشيخ ناصر السعدي ـ عليهم رحمة الله ـ وغيرهم كثير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ ـ:((... وأسماؤه الحسنى تدل كلها على ذاته ويدل هذا من صفاته على ما لا يدل عليه الآخر فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات؛ فالاسم يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة ويدل على أحدهما بطريق التضمن وكل اسم يدل على الصفة التي

---

(١) مرجع سابق(34/1).

(٢) انظر: الفتاوى العراقية لابن تيمية (2/ 578)، ومجموع الفتاوى(10/ 254)، كتاب الإيمان(128)، ومدارج السالكين(39/1)

دل عليها ـ أي الاسم الآخر ـ بالالتزام؛ لأنه يدل على الذات المتكنى به جميع الصفات))[1]

ويقول ابن القيم رحمه الله ـ:((إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشْتُقَّ منها بالمطابقة، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم))[2]

وقرر ذلك الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ حيث قال:((أسماء الله كلها حسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق، والحمد المطلق، وكلها مشتقة من أوصافها؛ فالوصف فيها لا ينافي العلمية، والعلمية لا تنافي الوصف، ودلالتها ثلاثة أنواع: دلالة مطابقة: إذا فسر الاسم بجميع مدلوله.

ودلالة تضمن: إذا فسرناه ببعض مدلوله.

ودلالة التزام: إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليه..)) [3]

ولبيان دلالة الشكور والشاكر على إثبات صفات الكمال لله تعالى أضرب مثالا باسم الله الشكور من خلال الدلالات الثلاث السابقة فأقول مستعينا بالله ـ سبحانه ـ:

---

(١) الفتاوى (13/ 206).

(٢) مدارج السالكين (1/ 39).

(٣) توضيح الكافية الشافية(3/ 391).

إن اسم الله الشكور[1] يدل على ذات الرب، وعلى صفة الشكر بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها، وعلى صفة الشكر وحدها بالتضمن، ويدل بدلالة الالتزام على صفة الحياة، والعلم، والقدرة، وما تستلزمه هذه الصفات من صفات الكمال مثل: السمع والبصر، والكلام، والحكمة، والإرادة والمشيئة، وغيرها من صفات الكمال التي تثبت لله على ما يليق بكماله وجلاله ـ لاستحالة ثبوت صفة الشكر لله تعالى بغير وجود حياة الشاكر، وعلمه وقدرته، وما يلزم من إثباتها من اللوازم التي تقتضي إثبات كل ما سبق ذكره، وأنه فعال لما يريد.

كما يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((وكونه فعالا لما يريد يتضمن حياته، وعلمه، وقدرته، ومشيئته، وحكمته، وغير ذلك من أوصاف كماله))[2]

فظهر بذلك دلالة الشكور والشاكر على إثبات صفات الكمال لله ـ تعالى ـ بقسميها الذاتية والفعلية والأمثلة السابقة خير مثال على ذلك والله أعلم.

(١) ومثله تماما اسم الله الشاكر

(٢) التبيان في أقسام القرآن(103).

المسألة الثالثة: دلالتهما على قاعدة الكمال

الاسمان الكريمان (الشكور والشاكر) من أسماء الله ـ تعالى ـ التي هي أحسن الأسماء وأعلاها عند تأمل معناهما وما يشتملان عليه من دلالات نجد أنهما يدلان على صحة الاستدلال بقاعدة الكمال [١] أو ما يسمى أحيانا عند العلماء بقياس الأولى[٢] وتظهر هذه الدلالة من وجهين :

الوجه الأول: الاتفاق في الدلالة

وذلك أن (الشكور والشاكر) يدلان ـ كما سبق بيانه ـ على إثبات صفات

---

(١) التي تقول: إنه إذا قدر اثنان أحدهما موصوف بصفة الكمال، والآخر يمتنع عليه أن يتصف بتلك الصفة؛ كان الأول أكمل من الثاني،؛ فيجب إثبات تلك الصفة لله ما دام وجودها كمالا، وعدمها نقصا. انظر:شرح الواسطية لمحمد خليل هراس(26)

(٢) قياس الأولى: هو أن كل ما اتصف به المخلوق من صفات الكمال، وصح أن يتصف به الخالق؛ فالخالق أولى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه.

وهذا القياس هو الذي يجب أن يستخدم في حق الله ـ تعالى ـ أما غيره من أنواع الأقيسة كقياس الثمثيل الذي يستوي فيه الأصل والفرع، أو قياس الشمول الذي يستوي فيه أفراده قلا يجوز أن تستعمل في حق الباري ـ جل وعلا ـ لأنه ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء فلا يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها.

وقياس الأولى الذي يثبته علماء أهل السنة الدال على الكمال له طريقان:

الأولى : طريق الترجيح والتفضيل : وهو أن الكمال إذا ثبت للمُحْدَث الممكن المخلوق، فهو للواجب القديم الخالق أولى.

الثانية: طريقة دلالة الأثر على المؤثر: ويراد به بهذا الطريق أن واهب الكمال ومعطيه وفاعله أحق بالاتصاف به من الموهوب المُعْطَى.انظر: مجموع الفتاوى (16/ 203)، ودرء التعارض (29/1)، و بيان تلبيس الجهمية (1/ 327)،و شرح الأصبهانية(456)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة(1/ 234)، والكمال الإلهي(127ـ133).

الكمال لله ـ تعالى ـ ونفي ما يضاد ذلك من النقائص والعيوب، وقاعدة الكمال أو ما يسمى بـ (بقياس الأولى) تؤدي نفس الدلالة.

لذا بنى علماء أهل السنة على ذلك مشروعية الاستدلال بصفات المخلوق على صفات الخالق عن طريف قاعدة الكمال؛ فكل ما يثبت للمخلوق من صفات الكمال المطلق؛ فإن الخالق أولى به، وكل ما ينزه عنه المخلوق من صفات النقص فإن الخالق أولى بالتنزيه عنه[١]

وبما أن دلالة قاعدة الكمال على إثبات الكمال للباري ـ جل وعلا ـ دلالة عقلية ، والاسمان دلالتهما شرعية سمعية اشترط العلماء لقبول دلالة القاعدة على الكمال وما كان مثلها أن يكون النقل قد دل عليه ثم يأتي القياس العقلي تعضيدا وتعزيزا فقط[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((الكمال ثابت لله ـ تعالى ـ فلا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب ـ تبارك وتعالى ـ وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، وهذا الكمال ثابت له بمقتضي الأدلة العقلية والبراهين اليقينية مع دلالة السمع على ذلك))[٣]

الوجه الثاني: ذكر ما يعضد دلالة الاسمين على صحة قاعدة الكمال

علماء أهل السنة حينما يقررون ثبوت الكمال لله تعالى سواء في تأصيل المسألة أو في باب الرد على المخالفين يؤكدون ذلك بحجج وبراهين قوية مستمدة من

(١) انظر: درء التعارض (29/1)، وتفسير السعدي (123/6).
(٢) انظر: شرح الرسالة التدمرية (199)
(٣) الفتاوى (6/ 44).

الوحي المنزل ومن ذلك قاعدة الكمال فقد استدلوا على صحة الاستدلال بها بدلائل منها:

أولا/ أنها من الطرق التي دل عليها القرآن في إثبات الكمال لله تعالى.

القرآن العظيم دل على ثبوت معنى الكمال لله ـ تعالى ـ بطرق متنوعة وأساليب متعددة؛ فما في القرآن من إثبات الحمد لله، وإثبات معاني أسمائه، وأن له المثل الأعلى ونحو ذلك كله دال على إثبات الكمال لله ـ تعالى[1] ـ

ومن هذا ما جاء من الآيات المشتملة على قاعدة الكمال أو ما يسمى في بعض الأحيان بقياس الأولى كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾[2] فسياق الآيات يبين دلالتها على صحة الاعتبار بين الخالق والمخلوق بطريق الأولى، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، وهم يكرهون أن

---

(١) انظر: الفتاوى (6/ 40)

(٢) سورة النحل الآيات (58ـ 62).

يكون لأحدهم بنت ويعدون هذا نقصا وعيبا، والرب ـ عز وجل ـ له المثل الأعلى؛ فهو أحق وأولى بأن ينزه عن كل نقص وعيب من المخلوق؛ فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحق بثبوته منه إذا كان مجردا عن النقص، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص وعيب فالخالق أولى بالتنزيه عنه سبحانه [1].

ومما يستدل به على ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2] ففي هذه الآية بيان أن الخلق صفة كمال، وأن الذي يخلق أفضل ممن لا يخلق؛ فأثبت ـ سبحانه ـ أنه أحق بالكمال من غيره، وأنه ليس له مثل في كماله جل وعلا [3]

وقوله تعالى:﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [4] أي الأفضل من غيره في الكرم الجامع للمحاسن فيقتضي أنه أحق بجميع صفات الكمال فهو الأحق بالشكر والرحمة والإحسان والحكمة والقدرة وسائر صفات الكمال [5]

ومما ينبه عليه هنا أن الله ـ سبحانه ـ لم يذكر هذه النصوص لتقرير صفات الكمال فحسب؛ بل ذكرها أيضا لبيان أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك، ولبيان بطلان كل ما يعبد من دونه؛ لنقصها وعدم كمالها، وأنها لا تستحق أن تعبد من دون الله.

---

(١) انظر: الفتاوى (6/ 50).
(٢) سورة النحل آية (17)،
(٣) انظر: الفتاوى (6/ 49).
(٤) سورة العلق آية (3).
(٥) انظر: آثار المثل الأعلى لعيسى السعدي (46).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمه ـ رحمه الله ـ:((والله ـ سبحانه ـ لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له؛ بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه؛ فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد وهما: إثبات صفات الكمال ردا على أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو ردا على المشركين)) [١].

ثانيا/ أنها من طرق السلف في إثبات الكمال لله إتباعا للقرآن.

الاستدلال بقاعدة الكمال (قياس الأولى) هو الذي كان يسلكه السلف في إثبات الكمال لله تعالى كالإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وغيره متبعين في ذلك لكتاب الله ـ تعالى [٢] ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((وأما قياس الأولى الذي كان يسلكه السلف إتباعا للقرآن فيدل على أنه يثبت له من صفات الكمال التي لا نقص فيها أكمل مما علموه ثابتا لغيره مع التفاوت الذي لا يضبطه العقل كما لا يضبط التفاوت بين الخالق والمخلوق)) [٣]

ومن هذا ما سلكه ابن القيم ـ رحمه الله ـ: في إثبات صفة الشكر لله تعالى حيث يقول: ((فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه، وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه، وشكره على قليله بالإضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها؛ فهو المحسن بإعطاء الإحسان، وإعطاء الشكر؛ فمن أحق باسم الشكور منه سبحانه!.))[٤]

---

(١) الفتاوى (51/6ـ 52).

(٢) انظر: شرح الأصبهانية (456)، شرح الرسالة التدمرية(93).

(٣) الرد على المنطقيين (154).

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (822).

المسألة الرابعة: دلالتهما على بعض أسماء الله الحسنى

قد سبق بيان دلالات الاسمين (الشكور والشاكر) اللفظية، وأنه من خلال معرفة ما يلزم إثباته من الأسماء والصفات عند إثبات هذين الاسمين نتمكن أن نستدل بهما على غيرهما من أسماء الله الحسنى فمن ذلك:

دلالتهما على أسماء الله:(الحي، والعليم، والقدير)

وذلك لأن إثبات (الشكور والشاكر)، يستلزم ثبوت هذه الأسماء؛ لاستحالة حصول الشكر من غير حياة الشاكر وعلمه وقدرته.

ومن ناحية دلالتهما على صفات الفعل الاختيارية فإنهما يدلان على ما يمكن أن يشتق منها من الأسماء، وما كان من لوازمها .

ويؤيد هذا ما قاله ابن القيم رحمه الله - ((فإن من علم أن الفعل الاختياري لازم للحياة، وأن السمع والبصر لازم للحياة الكاملة، وأن سائر الكمال من لوازم الحياة الكاملة؛ أثبت من أسماء الرب، وصفاته، وأفعاله، ما ينكره من لم يعرف لزوم ذلك، ولا عرف حقيقة الحياة، ولوازمها، وكذلك سائر صفاته))[1]

وعند تأمل معنى الاسمين الشكور والشاكر نجد أن فيه قربا من معاني بعض أسماء الله الحسنى كالحميد، والمجيد، والجواد، والوهاب، والكريم، وغيرها من أسماء الفضل والجود والكرم.

ويدلان كذلك عند التعبد بهما وسؤال الله بهما على جمع من الأسماء الحسنى مما يلزم إثباته في هذه الحالة؛ مثل (الرب، والقيوم، والسميع، والبصير، والغني، والكريم،) ؛ فالعبد عند دعاء الله وشكره لا شك أنه يوقن أنه إنما يدعو ربا قائما

---

(١) بدائع التفسير (39/1).

على خلقه وأنه هو رازقهم، وأنه لا يعجزه شيء، وأنه عظيم الفضل والجود والكرم ، يرى مكانهم ويسمع سرهم ونجواهم، وإثبات هذه الصفات من لوازم الدعاء واستجابته، وهي من صفات الكمال التي يوصف بها الباري - عَزَّ وَجَلَّ - فوجب بذلك إثباتها وإثبات ما أمكن أن يشتق منها من الأسماء والله أعلم.

المطلب الرابع: دعاء الله ـ عز وجل ـ باسميه (الشكور والشاكر).

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: دعاء الله بهما دعاء عبادة.

دعاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالاسمين (الشكور والشاكر) دعاء عبادة هو:

التعبد لله ـ عز وجل ـ والثناء عليه بهما حالهما كحال سائر الأسماء الحسنى التي أمرنا الله عز وجل أن ندعوه ونسأله بها في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

يقول الإمام البغو: رحمه الله ـ:((أي ادعوا الله بأسمائه التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوا صلى الله عليه وسلم ـ))(٢)

فما على العبد إلا أن يمتثل الأمر فيدعو ربه بأسمائه التي أظهرها له، وَعَرَّفَهُ بها في كتابه، وعلى لسان رسوا صلى الله عليه وسلم ـ فيثني على الله بها ويتعبد له بها بما يقتضيه كل اسم منها وهذا من تمام الإيمان بها (٣).

فيقوم بشكر الله ـ تعالى ـ ويجتهد في ذلك على قدر سعته وطاقته، ومن تمام شكره أن يشكر عباده على إحسانهم إليه؛ فيقوم بكل ذلك تعبداً لله لإيمانه

---

(١) سورة الأعراف:آية 180

(٢) تفسير البغوي (2/ 320).

(٣) انظر: كتاب التوحيد لابن منده (2/ 17ـ18)، مدارج السالكين (452/1).

باسميه (الشكور والشاكر) ولأن الله يحب موجب أسمائه وصفاته، وظهور آثارها في العبد.

يقول ابن القيم رحمه الله :((والرب تعالى يحب أسماءه وصفاته، ويحب مقتضى صفاته وظهور آثارها في العبد؛ فإنه جميل يحب الجمال، عفو يحب أهل العفو، كريم يحب أهل الكرم، عليم يحب أهل العلم، وتر يحب أهل الوتر، قوي والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، صبور يحب الصابرين، شكور يحب الشاكرين؛ فإذا كان سبحانه يحب المتصفين بآثار صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف)) [١]

وخلاصة القول: أن دعاء العبادة بهذين الاسمين هو أن يتعبد العبد بهما لله بما يقتضيه كل واحد منهما، ويثني بهما على الله عز وجل .

المسألة الثانية: دعاء الله بهما دعاء مسألة.

دعاء الله ـ سبحانه ـ بأسمائه دعاء مسألة هو: أن يسأل الله في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك؛ فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم[٢].

بمعنى أنه يقدم بين يدي سؤاله لله ـ تعالى ـ من أسمائه ما يكون مناسبا لمسألته؛ فبناء على ذلك يكون دعاء الله بالاسمين الشكور والشاكر دعاء مسألة هو: أن يسأل الله بالشكور والشاكر ويتوسل إليه بهما في حصول مطلوبه المناسب لهما كأن يقول:

يا شكور ويا شاكر مُنَّ علي بالقبول، وتقبل مني القليل وجازني بالأجر العظيم..

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (181).

(٢) انظر: أسماء الله الحسنى لعبدالله الغصن (127).

المطلب الخامس: حكم تسمية ووصف غير الله بالشكور أو الشاكر

مسألة إطلاق أسماء الله ـ عز وجل ـ على غير الله من المسائل التي تحدث عنها العلماء قديما وحديثا وفي الجملة فإنهم يُقَسِّمُون أسماء الله إلى قسمين :

القسم الأول: أسماء يمنع أن يُسمى أو يوصف بها غير الله.

وهي الأسماء المختصة بالله ـ عز وجل ـ، والتي لا يصح إطلاقها على غير الله كاسمه (الله، والرحمن، والأحد، والصمد،) ونحو ذلك.

وهذا جاء عن غير واحد من أهل العلم:

منهم ابن القيم رحمه الله ـ حيث قال:((ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب ـ تبارك وتعالى ـ فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ولا بالخالق، ولا بالرازق، وسائر الأسماء المختصة بالرب ـ تبارك وتعالى ..))[1]

ومنهم الإمام النووي رحمه الله ـ فقد قال:((وأعلم أن التسمي بهذا الاسم[2] حرام، وكذلك التسمي بأسماء الله ـ تعالى ـ المختصة به كالرحمن، والقدوس، والمهيمن، وخالق الخلق ونحوها))[3]

ومن العلماء المعاصرين الذين قالوا بمنع التسمي بالأسماء المختصة بالله الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله ـ في فتاوى نور على الدرب[4] والشيخ الفقيه ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ حيث نَصَّا على أن الأسماء المختصة بالله لا يجوز أن يسمى بها غيره ولا

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (125).

(٢) يعني (ملك الأملاك)

(٣) شرح النووي لصحيح الإمام مسلم (14/ 122).

(٤) انظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (1/ 177).

يوصف[1] وكذلك الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ في كتابه الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد[2] وكل من قال بمنع التسمي بهذا النوع من الأسماء يرى أن منع تسمية المخلوق بأسماء الله المختصة من تحقيق التوحيد، وأنه من الاحترام الواجب في حق أسماء الله عز وجل[3].

ومن الأدلة الدالة على المنع:

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:((إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى: ملك الأملاك لا مالك إلا الله))[4]

قال ابن باز ـ رحمه الله ـ عند تعليقه على فتح المجيد:((قيل: وإذا امتنع التسمي بما ذكر فباسم من له هذا الوصف كالله والجبار والرحمن أولى))[5]

القسم الثاني: أسماء يصح أن تطلق على غير الله

وهي ما عدا الأسماء المختصة من أسماء الله تعالى مثل:

السميع، والبصير، والرؤوف، والرحيم، ونحوها فقد أفتى غير واحد من أهل العلم أن هذه الأسماء، وما كان مشابها لها؛ أنها تطلق على الله ـ عز وجل ـ وتطلق على غيره فمن هذه الأقوال:

---

(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (166).

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (124/1).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد(1/ 1220).

(٤) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الآداب، باب الأسماء المحترمة، حديث (2143)، مسلم بشرح النووي (14/ 300).

(٥) انظر: حاشية رقم (1) من فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (378).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((وأما الأسماء التي تطلق عليه، وعلى غيره؛ كالسميع، والبصير، والرؤوف، والرحيم؛ فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث يُطلق عليه ـ أي المخلوق ـ كما يطلق على الرب تعالى))[١].

ويقول ابن باز ـ رحمه الله ـ:((فالحاصل أن المخلوق يسمى ببعض أسماء الله التي لا تختص به سبحانه))[٢]

وكذلك الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ قال بالجواز ولكن بشروط ذكرها في فتواه حيث قال:((أما بقية الأسماء؛ فإن قصد بها ما يقصد بأسماء الله من الدلالة على العلمية والوصفية؛ فإنها ممنوعة، وإن قصد بها مجرد العلمية فليست ممنوعة))[٣].

كما أنه اشترط في بعض أجوبته ـ رحمه الله ـ أن لا يكون الاسم محلى بـ (أل)، وأن لا يقصد به معنى الوصفية فإن كان كذلك يمنع التسمي به[٤]

وبعد هذا العرض في هذا القسم أود أن أشير إلى بعض القيود التي وضعها أهل العلم في جواز إطلاق هذه الأسماء على غير الله:

1ـ أن يكون الاسم عند إطلاقه على المخلوق وصفا منكرا وهذا من اشتراط الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ ويأتي ذكر قوله قريبا، وهذا الذي يعنيه الشيخ ابن عثيمين حينما اشترط أن لا يكون الاسم محلى بـ (أل) في قوله الآنف الذكر.

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (127).
(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز (1/ 179).
(٣) شرح العقيدة السفارينية (166).
(٤) انظر: فتاوى العقيدة لابن عثيمين (3/ 94ـ 95).

2ـ أن لا يتسمى بها على الإطلاق؛ بحيث تطلق على المخلوق كما تطلق على الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا من اشتراط ابن القيم ـ رحمه الله في قوله السابق أيضا، ولعل هذا ما يعنيه الشيخ ابن عثيمين حينما اشترط أن لا يقصد به عند إطلاقه معنى الصفة وإلا منع من التسمي به[١]

فإذا تقرر لدينا ما سبق وما ذكره العلماء في حكم تسمية المخلوق بأسماء الله تعالى يمكن القول أن اسمي الله ـ تعالى ـ الشكور والشاكر ـ من القسم الثاني الذي ذكره علماء الإسلام فهما من الأسماء المشتركة التي لا تختص بالله ـ تعالى ـ بل تطلق على الله، وتطلق على المخلوق، وللرب ـ تعالى ـ منها ما يليق بكماله، وللعبد منها ما يليق به [٢].

بل إن الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ يرى أن لا خلاف في جواز إجراء اسم شكور على العبد حيث قال:((ولا خلاف في جواز إجرائه على العبد إذا كان وصفا منكرا يدل عليه قوله الحق ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ [٣] فأما قوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [٤] فليس بوصف لواحد وإنما المراد به الجنس))[٥]

ومهما يكن من أمر (فقد يسمى المخلوق بما سمى الله به نفسه كما يوصف بما وصف ـ سبحانه ـ به نفسه لكن على أن يكون لكلٍ من الخصائص ما يليق به

---

(١) انظر: فتاوى العقيدة (3/ 95).
(٢) انظر بدائع الفوائد (1/ 181).
(٣) سورة الإسراء آية (3).
(٤) سورة سبأ آية (13).
(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (1/ 321).

ويميز به عن الآخر؛ فلا يلزم تمثيل الخلق بخالقهم، ولا تمثيله بهم، وإن حصلت الشركة في التعبير والمعنى الكلي للفظ؛ لأن المعنى الكلي ذهني فقط لا وجود له في الخارج)[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - في كلام له نفيس نختم به هذه المسألة:((ولهذا سمى الله نفسه بأسماء وسمّى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده - عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص - اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص))[2].

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية، (2/ 365ـ 367)، فتوى رقم (11865).

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى (3/ 12).

المطلب السادس: حكم تعبيد الاسم للاسمين الشكور والشاكر

تعبيد أسماء المخلوقين، وإضافتها إلى أسماء الله الحسنى من المسائل التي اتفق علماء الإسلام على استحسانها؛ يقول ابن القيم رحمه الله :((قال ابن حزم[١] اتفقوا على استحسان الأسماء المضافة إلى الله كعبد الله وعبدالرحمن، وما أشبه ذلك))[٢]

واتفاق العلماء على هذا جاء مبنيا على ما ورد فيها من سنن قوليه وفعلية عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك:

ـ قوله ﷺ ـ: ((إن أحبَّ أسمائكم إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن))[٣]

ـ قوله ﷺ ـ: ((تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله ـ عز وجل ـ عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث، وهمام، وأقبحها حرب ومُرَّة))[٤]

ومن سنن النبي ﷺ ـ الفعلية الدالة على أفضلية تعبيد الأسماء لله ـ تعالى ـ أنه كان يسمي أبناء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بذلك بل غير بعض أسماء الصحابة التي عُبِّدَتْ لغير الله من الأسماء الشركية، أو تلك الأسماء التي تحمل معاني باطلة ومن هذا:

---

(١) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي، قال عنه الذهبي: الإمام الأوحد البحر ذو الفنون، والمعارف، صاحب التصانيف... وأنه مهر أولا في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة؛ فأثرت فيه ليته سلم من ذلك توفي سنة 456هـ انظر: السير (18/ 184).

(٢) تحفة المودود في أحكام المولود (187).

(٣) أخرجه الإمام مسلم من رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ـ، كتاب الآداب، (14/ 294)، حديث رقم (2132)

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (814)، وأبو داود (4/ 288)، حديث(4950)، وقال عنه الألباني : صحيح دون جملة الأنبياء. انظر: صحيح الأدب المفرد (303).

ما جاء من رواية الشيخين عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ـ قال: « ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم. فقلنا: لا نكنيك أبا القاسم ولا كرامة؛ فأخبر النبي ﷺ ـ فقال: اسم ابنك عبدالرحمن »[1].

وجاء عنه ﷺ ـ أنه« وفد عليه قوم فسمعهم يسمون رجلا عبد الحجر. فقال له: ما اسمك. فقال: عبد الحجر. فقال له رسول الله ﷺ ـ : إنما أنت عبدالله »[2].

وإذا أيقنا بثبوت أفضلية تعبيد الأسماء إلى أسماء الله الحسنى؛ فيكون تعبيد الاسم للاسمين الشكور والشاكر من هذا الباب ففيه فضيلة وإن كان إضافة الاسم إلى اسمي (الله والرحمن) أفضل لورود الدليل بخصوص الفضيلة لهما وبقية الأسماء الحسنى تقاس عليهما وعلى هذا عمل العلماء كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن شيخ الإسلام الهروي ـ رحمه الله ـ أنه قد سمى أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله :((وكذلك أهل بيتنا: غلب على أسمائهم التعبيد لله)) ثم ذكر من عبد اسمه لأسماء الله من أهل بيته [3] وهم أهل فضل وعلم والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، حديث(6186)، ومسلم أيضا، الآداب حديث رقم (2133).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(13/ 242)، حديث رقم (26421)، والبخاري في الأدب المفرد حديث (811) وحكم عليه الألباني بالصحة. انظر: صحيح الأدب المفرد(302).

(٣) انظر الفتاوى (1/ 260).

المطلب السابع: دلالات اقتران الاسمين (الشكور والشاكر) بغيرهما من الأسماء الحسنى.وفيه ثلاث مسائل:

أسماء الله ـ تعالى ـ كلها حسنى قد بلغت في الحسن غايته، وحسنها وجمالها وجلالها، يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره؛ فيحصل بجمع الاسم إلى آخر حسن فوق حسن، وكمال فوق كمال[1].

وهذا الجمع بين الأسماء هو ما يُطلق عليه عند العلماء بالاقتران بين أسماء الله الحسنى، وذلك بأن يذكر اسمان أو أكثر في النص الواحد، ومما لا ريب فيه أن هذا الاقتران بين الأسماء له معانيه العظيمة، وحكمه الجليلة، التي تظهر لمن تدبر معانيها، والآيات التي وردت فيها.

لهذا ولغيره من المعاني والحكم فإني أردت أن أقف على بعض دلالات اقتران اسمي الجلالة (الشكور والشاكر) بغيرهما من الأسماء بحسب ما يفتح الله علي من فضله وفق المسائل التالية:

المسألة الأولى: اقتران اسم الله تعالى (الشكور) باسمه تعالى (الحليم).

اسم الله ـ تعالى ـ (الشكور) لم يأت مقترنا باسمه ـ تعالى ـ (الحليم) إلا في موضع واحد من كتاب الله وهو قوله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[2]

فمن دلالة اقترانهما ما يلي:

---

(١) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ضمن فتاوى العقيدة (3/ 270).

(٢) سورة التغابن آية (17).

أولا: بيان أن الله ـ تعالى ـ هو الأحق بأكمل الثناء وأعظمه.

وذلك أن كل اسم من أسماء الله ـ عز وجل ـ يتضمن كمالا يُثْبَت لله ـ تعالى ـ فإذا اقترن باسم آخر من أسمائه الحسنى كان له ـ سبحانه ـ ثناء من كل اسم منهما باعتبار انفراده، وثناء من اجتماعهما، وذلك قدر زائد على مفرديهما(١)

فالشكر مثلا صفة كمال، والحلم صفة كمال أيضا، واجتماعهما كمال آخر؛ فله ـ سبحانه ـ ثناء من شكره، وثناء من حلمه، وثناء من اجتماعهما يُثبت له هو أولى به وأحق سبحانه وتعالى(٢).

ثانيا: ومن دلالة اقترانهما: بيان أن حلمه ـ سبحانه ـ لا ينافي شكره.

وذلك أن الباري ـ جل وعلا ـ قرن بينهما وترك العطف بينهما في هذا الموضع؛ وذلك لنكتة بديعة، وفائدة عزيزة، وهي الدلالة على اجتماع هذين الأمرين له ـ سبحانه ـ، وأنه حال كونه شكورا فهو حليم، وحلمه لا ينافي شكره بل هما مجتمعان؛ فالله يوفق عباده لعمل الصالحات، ويمن عليهم بقبولها ويشكرهم عليها ويعطيهم الأجور العظيمة، ومع ذلك يحلم بهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل يتجاوز عن تقصيرهم، وعن الكثير من ذنوبهم، وسيئاتهم؛ لأنه شكور حليم(٣).

ثالثا: من دلالة اقترانهما: التعبد لله بالشكر والحلم.

من أهل العلم من أخذ من هذا الاقتران بين الشكور والحليم ما ينبغي أن نكون عليه في تعبدنا لله ـ تعالى ـ باسميه الشكور والحليم، وذلك بأن نشكر من أحسن

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لا بن القيم (89/1)، وفقه الأسماء الحسنى للبدر(41).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (1/ 89، 177)،وحاشية ابن القيم على عون المعبود (5/ 180).

(٣) انظر: بدائع الفوائد (55/2)، والتبيان في أقسام القرآن (99).

إلينا، وأن نقابل من أساء إلينا بالحلم والصبر عليه؛ خصوصا الأهل والأولاد فهم من أقرب الناس، وليتم معنى حسن العشرة،ولعل مما يؤكد هذا أن الاقتران بين الاسمين جاء بعد أن أخبر المولى في الآيات قبل هذا أن بعض الأهل والأولاد أعداء للآباء فأمر بالعفو والصفح والمغفرة، وهذا من معاني الحلم الذي تقابل به أمثال هذه العداوات (١).

وبمثل هذا قال علامة القصيم الشيخ السعدي رحمه الله - عند اقتران اسمي الله - تعالى - العفو والغفور في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (٢) فقد قال:

((... فإنه أباح المعاقبة بالمثل، وندب إلى مقام الفضل، وهو عدم معاقبة المسيء، وأنه ينبغي لكم أن تعبدوا الله بالتخلق بهذين الوصفين الجليلين لتنالوا عفوه ومغفرته)) (٣).

وهذا كثير في كتاب الله - عز وجل - يندب عباده إلى التعبد بمقتضى أسمائه وصفاته؛ لما للإيمان بالأسماء والصفات من الآثار العظيمة في الاعتقاد والأعمال والأخلاق، وفي التعامل مع الآخرين، وصفة الشكر والحلم من جملة هذه الصفات التي يلزم أن تكون لها الآثار العظيمة في حياتنا، وهذا لا يستغني عنه العالم مع طلابه، والقريب مع قريبه، ورب العمل مع عماله وهكذا؛ لنصل إلى كمال الإيمان؛ فيحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه والله أعلم.

---

(١) انظر: القواعد الحسان (8/ 60)، أضواء البيان للشنقيطي(8/ 348).
(٢) سورة الحج آية (60).
(٣) القواعد الحسان (8/ 60).

المسألة الثانية: اقتران اسم الله تعالى (الشكور) باسمه تعالى (الغفور).

جاء اسم الله (الشكور) مقترنا باسم الله (الغفور) في ثلاثة مواضع من كتاب الله وهي :

1ـ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ (١)

2ـ قول الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴾ (٢)

3ـ قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴾ (٣)

وهذا الاقتران بين الاسمين في الآيات السابقة له دلالات لطيفة ومعاني منيفة فمن ذلك:

---

(١) سورة فاطر آية (29ـ 30).

(٢) سورة فاطر آية (33ـ 34

(٣) سورة الشورى آية (23).

أولا: أن كلا الاسمين دال على الكمال الخاص الذي يقتضيه؛ وهو الشكر في الشكور، والمغفرة في الغفور، والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن مغفرته ـ سبحانه وتعالى ـ مقرونةً بشكره؛ فمغفرته لا تقتضي نقصا بل يغفر ويستر ويتجاوز ومع ذلك يشكر على العمل القليل بالأجر الكثير [١] .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله :((والله يشكر عبده إذا أحسن طاعته، ويغفر له إذا تاب إليه فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه، ومغفرته لإساءته إنه غفور شكور))[٢].

ثانيا: من دلالة الاقتران بينهما في الآيات:

أن الله ـ سبحانه ـ ختم الآيات السابقة بصفتين مقترنتين تقتضيان غاية الإحسان إلى خلقه؛ وهما الشكر والمغفرة؛ فيجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه بشكره، ويعفو عن زلتهم، ويهب لهم ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها بمغفرته فتأمل قوله: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وقوله:﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ وقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ تجد أن الآيات دلت على ذلك، كما أنها تدل على سعة مغفرة الله، وسعة شكره؛ وهو سبحانه دائما يقرن بين صفاته الواسعة رحمة بالعباد، وترغيبا للمذنبين في أن يتوبوا، وللعاملين في أن يزيدوا فإن ربهم غفور شكور[٣].

ثالثا: أن من ألطف اقتران هذين الاسمين الغفور والشكور : هو اجتماع هذين الوصفين له ـ تبارك وتعالى ـ؛ فإن مغفرته مقرونة بشكره؛ فيغفر لعبده إذا

(١) انظر: بدائع الفوائد (1/ 89)، وفقه الأسماء الحسنى (41).
(٢) عدة الصابرين (820).
(٣) انظر:بدائع الفوائد (1/ 89)،وعدة الصابرين (812)، وتفسير الجزائري(4/ 354).

طلب المغفرة منه، ومع ذلك يشكره ويعامله بالقبول والمجازاة؛ ولو كان منه ما كان؛ بخلاف العبد فإنه قد يغفر لمن قَصَّرَ في حقه ولكنه لا يشكره ويثيبه[١] .

رابعا: ومن دلالة الاقتران بين الاسمين

أنهما وردا في جميع المواضع السابقة مقترنين في ختام الآيات وهذا فيه دلالة واضحة لمن تأمل الآيات وتذييلها بهذين الاسمين: وهي الإشارة إلى تقرير الحكم المذكور فيها وتعليله، ومما يبين ذلك قول ابن القيم ـ رحمه الله ـ حيث قال:((وقال أهل الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٢] لما صاروا إلى كرامته بمغفرة ذنوبهم، وشكره إحسانهم قالوا: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وفي هذا معنى التعليل أي: بمغفرته وشكره وصلنا إلى دار كرامته؛ فإنه غفر لنا السيئات، وشكر لنا الحسنات))[٣] .

والقول بأن من دلالة اقتران الأسماء وختم الآيات بها إنما هو لبيان علة الحكم الوارد فيها وتقريره يذكره علماء التفسير وغيرهم عند حديثهم عن مناسبات اقتران الأسماء وختم الآيات بها[٤]؛

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن (99).

(٢) سورة فاطر آية (33ـ 34

(٣) جلاء الأفهام (126).

(٤) انظر: التحرير والتنوير(1/ 439)، والقواعد الحسان (8/ 54). وأسماء الله الحسنى للغصن(100).

قال أبو السعود في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

:((وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل: ومن تطوع خيرا جازاه الله وأثابه؛ فإن الله شاكر عليم))(٢).

وورود الاسمين الغفور والشكور في الآيات السابقة مقترنين في نهاية الآيات مثل ذلك فما ذكرا إلا لتقرير الحكم وتعليله؛ فإن اتصافه بالمغفرة والشكر يقتضي أنه لا محالة سيغفر لهم السيئات، وأنه سيشكر الحسنات بفضله ومنه وكرمه (٣).

ومن المناسبات المفيدة في الآيات التي قُرِنَ فيها الاسمان الغفور والشكور نجد أن اسم الله (الغفور) يأتي دائما متقدما في الذكر على اسم الله (الشكور)، ومناسبة هذا التقديم تظهر عند تأمل معنى الاسمين وما يتضمنه كل اسم منهما؛ فإن اسم الله (الغفور) يتضمن دفع الشرور والتجاوز عن الآثام، أما اسم الله (الشكور) فإنه يتضمن جلب الخيرات، ومضاعفة الأجور ولما كان دفع الشرور مقدما على جلب الخيرات قدم اسم الله (الغفور) على اسمه (الشكور) في جميع مواضع اقترانهما في الآيات والله أعلم(٤) .

---

(١) سورة البقرة آية (158).

(٢) تفسير أبي السعود (1/ 223).

(٣) انظر: نفس المصدر(1/ 124).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (1/ 90).

المسألة الثالثة: اقتران اسم الله تعالى (الشاكر) باسمه تعالى (العليم).

الاسمان الكريمان (الشكور والعليم) لم يردا مقترنين إلا في موضعين من كتاب الله تعالى وهما:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (٢) .

ودلالات اقتران هذين الاسمين مع ما يدلان عليه من حسن الثناء والكمال والتمجيد، وحصول صفة من اقتران أحدهما بالآخر زيادة على ما يدل عليه كل اسم بخصوصه (٣)فهي كما يلي:

أولا: من دلالة اقترانهما وختم الآيتين بهما

أن أسماء الله ـ عز وجل ـ كلها أسماء مدح وثناء، وأنها ليست ألفاظا لا معاني لها، وهذا مما قرره أهل العلم لما وجدوا أن الله في كتابه يعلِّل أحكامه وأفعاله بأسمائه مقترنة ومفردة أخذوا من ذلك دلالة على أن أسماء الله كلها أسماء مدح

(١) سورة البقرة آية (158).

(٢) سورة النساء آية (147).

(٣) انظر: مدارج السالكين (/ 45)، و حاشية ابن القيم على عون المعبود (5/ 180).

وثناء، وأنها ليست ألفاظا مجردة لا معاني لها، وأنها لو لم تكن كذلك لما صح التعليل بها في محكم الآيات[1].

ثانيا: من دلالة اقترانهما وختم الآية بهما : أن في ذلك الرد على من زعم أن الله يكلف العبد ما لا يطيق، ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته.

وهذه الدلالة مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [2]

ووجه الدلالة من الآية : أن الله ـ جل جلاله ـ قد حكم في الآية أنه لا يعذب شاكرا ولا مؤمنا؛ ثم ختم الآية باسمين مقترنين يقتضيان الحكم المذكور فيها معللا الحكم المذكور فيها بهما؛ فكأنهما ذكرا كالدليل عليه، وأن الحكم له تعلق بهما.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ :((تأمل قوله سبحانه ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ كيف تجد في ضمن هذا الخطاب: أن شكره ـ تعالى ـ يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم، كما يأبى إضاعة سعيهم باطلا؛ فالشكور لا يضيع أجر محسن، ولا يعذب غير مسيء، وفي هذا رد لقول من زعم أنه ـ سبحانه ـ يكلف عبده ما لا يطيقه، ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته؛ تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علوا كبيرا

فشكره ـ سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور، ولا يضيع عمله، وذلك

---

(١) انظر: جلاء الأفهام (124ـ 125).

(٢) سورة النساء آية (147).

من لوازم هذه الصفة؛ فهو منزه عن خلاف ذلك، كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص التي تنافي كماله، وغناه، وحمده))[1].

ثالثا: من دلالة اقترانهما في الآيات: أنهما يبعثان في قلب المؤمن الطمأنينة وكمال الثقة بالله.

يقول ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:((وقرن العلم بالشكر لاطمئنان العبد إلى أن عمله لن يضيع؛ فإنه معلوم عند الله، ولا يمكن أن يضيع منه شيء؛ إذا علم العامل أن الله ـ تعالى ـ شاكر، وأنه عليم فإنه سيطمئن إلى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيجزيه على عمله بما وعده، ويعطيه أكثر من عمله)) [2] فيكثر عند ذلك من التطوعات، ويلهج بالشكر والثناء على ربه الشاكر العليم سبحانه وتعالى.

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (822).

(٢) تفسير ابن عثيمين (2/ 183).

الفصل الثاني

صفة الشكر لله تعالى، والمسائل العقدية المتعلقة بها.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبات صفة الشكر لله تعالى.

المبحث الثاني: مسائل متعلقة بصفة الشكر لله تعالى.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بصفة الشكر الثابتة لله تعالى.

المبحث الأول

إثبات صفة الشكر لله تعالى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معنى صفة الشكر المضافة لله تعالى.

المطلب الثاني: ذكر الأدلة على ثبوت صفة الشكر لله تعالى

المطلب الأول: بيان معنى صفة الشكر المضافة لله تعالى.

أن مما اتفق عليه علماء أهل السنة والجماعة وأكدوا عليه في موقفهم من معاني صفات الباري ـ جل وعلا ـ أن صفات الله معلومة المعاني مجهولة الكيفية، وأنه يجب حملها على معانيها الحقيقية اللائقة بالله ـ عز وجل ـ، وأن معناها الحقيقي هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من ظاهر ألفاظها.

وما حملهم على هذا القول إلا لاعتقادهم أن الله لم يخبرنا في القرآن، أو على لسان رسوله ﷺ ـ إلا بما نعلمه ونفهم معناه وإلا لم يصح منا تدبر آياته، ودعاؤه بأسمائه وصفاته المأمور به في كتاب الله ـ عز وجل .

يقول محمد بن جرير الطبري رحمه الله ـ:((فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله ـ عز وجل ـ ووحيه، وجاء ببعضها رسول ﷺ ـ قيل:

الصواب من هذا القول عندنا: أن نثبت حقائقها على ما نعرفه من جهة الإثبات، ونفي التشبيه))(١)

وهذا القول جاء عن غير واحد من علماء أهل السنة ومن ذلك المثل المشهور عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ الذي جعله العلماء كالقاعدة في جميع صفات ا لله

عز وجل ـ، وذلك حينما سأله سائل عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(٢) كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك حتى علاه الرُّحَضَاء ـ

---

(١) التبصير في معالم الدين (411ـ 412).

(٢) سورة طه، آية (5).

أي العرق ـ ثم قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء، ثم أَمَر به فأخرج...) [1].

وبقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ قال أهل السنة قاطبة وممن حكى إجماعهم على ذلك حافظ المغرب الإمام ابن عبدالبر حيث قال: ((أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ...))[2].

وبهذا يظهر أن السلف ـ رحمهم الله ـ يثبتون صفات الله كما أنهم يثبتون حقائقها اللائقة بها، وأنهم لا يصرفونها عن معناها المراد بها، ولا يفسرونها ببعض لوازمها دون إثبات حقائقها، لوجود الفرق بين اللازم وبين الحقيقة.

فمن فسَّرَ صفة من صفات الله ببعض لوازمها دون إثباته لحقيقة معناها؛ فإنه يكون بذلك قد وقع في النفي والتعطيل المذموم الذي أنكره سلف الأمة.

ومما يؤكد عليه هنا أنه لا يدخل في هذا التفسير الباطل ما يذكره بعض المفسرين من علماء أهل السنة حينما يذكرون لوازم بعض الصفات ضمن بيان معانيها؛ فإنهم رحمهم الله يذكرون لازم المعنى مع إثباتهم لحقيقة معنى الصفة فهم بذلك يخالفون أهل التعطيل الذين ينكرون حقائق صفات الباري جل وعلا[3].

---

(١) أخرجه كثير من أهل العلم، فقد رواه اللآلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة(3/ 398)، والذهبي في السير(8/ 100ـ 101)، وقال عنه في مختصر العلو:(هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة).انظر: (141).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر(6/ 134ـ 135).

(٣) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع(440).

فإذا تقرر ذلك فإن من جملة صفات الله ـ تعالى ـ التي يثبتها السلف ويثبتون معناها على الحقيقة لا على المجاز صفة الشكر، وأن معناها عند إضافتها إلى الله ـ عز وجل ـ هو المعنى المتبادر إلى الذهن من ظاهر لفظها؛ فهي صفة حقيقة لله ـ تعالى ـ و هو متصف بها اشتق لنفسه منها اسمه الشكور، واسمه الشاكر .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كلام له حول معنى صفة الشكر:

((... وأما شكر الرب ـ تعالى ـ فله شأن آخر كشأن صبره؛ فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور؛ بل هو الشكور على الحقيقة؛ فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه ، ويشكر القليل من العمل والعطاء؛ فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته، وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله فإذا ترك شيئا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل شيئا رده عليه أضعافا مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك))[1] هذا والله أعلم .

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (280).

المطلب الثاني: ذكر الأدلة على ثبوت صفة الشكر لله تعالى

صفة الشكر من الصفات الثابتة لله ـ تعالى بدليل الكتاب والسنة، وبناء على ما جاء فيهما جاء ذكرها في أقوال علماء أهل السنة والجماعة لذا سأتناول هذا المطلب من خلال ثلاث مسائل وهي كالتالي:

المسألة الأولى: الأدلة على ثبوت صفة الشكر لله تعالى من كتاب الله .

من الآيات الدالة على أن الله ـ عز وجل ـ موصوف بصفة الشكر

هي تلك الآيات التي ذكرت اسمي الجلالة (الشكور والشاكر) اللذين يتضمنان صفة الشكر ويدلان عليها فمن ذلك:

1ـ قول الله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1]

2ـ قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) سورة التغابن آية (17).

(٢) سورة البقرة آية (158).

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت صفة الشكر لله تعالى من السنة.

كما دل الكتاب على ثبوت صفة الشكر لله ـ تعالى فقد دلت السنة أيضا على أنها من صفات الله فقد جاء التصريح بالفعل الدال على صفة الشكر في بعض الأحاديث فمن ذلك:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(١).

2ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، انظر: البخاري مع الفتح (5/ 40) حديث رقم(2363)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، انظر: مسلم بشرح النووي(14/ 401)، حديث رقم(2244).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به. انظر البخاري مع الفتح(5/ 118)، حديث رقم (2472)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء. انظر: مسلم بشرح النووي(13/ 54)، حديث رقم (1914).

المسألة الثالثة: أقوال أهل السنة في ثبوت صفة الشكر لله تعالى.

قول أهل السنة في ثبوت صفة الشكر هو كقولهم في جميع صفات الله الواردة في الكتاب والسنة، فهم يثبتونها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل وقد ذكرت في تمهيد هذه الرسالة، وفي المطلب الثاني منه مذهبهم وأقوالهم في إثبات جميع صفات الله، وإجماعهم على ذلك مما يغني عن إعادته في هذا المطلب ومما يلزم ذكره هاهنا قول من نص على ذكر هذه الصفة لذا فإن ممن وقفت على قوله في إثبات هذه الصفة بخصوصها:

ـ ابن القيم ـ رحمه الله ـ فقد ذكر صفة الشكر في مواضع من كتبه فمن ذلك:

قال: ((...الشكر الذي هو صفة الرب ـ جل جلاله ـ وفعله؛ فإنه سمى نفسه بالشكور كما قال تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [1] وقال أهل الجنة ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[2] فهذا الشكر الذي هو وصفه ـ سبحانه ـ لا يقوم إلا به ...))[3]؛

وقال أيضا: ((... وإذا كان يحب الشكر فهو أولى أن يتصف به، كما أنه سبحانه وتر، يحب الوتر، جميل يحب الجمال، محسن يحب المحسنين، صبور يحب الصابرين، عفو يحب العفو، قوي، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف. فكذلك هو شكور يحب الشاكرين. فملاحظة العبد سبق الفضل تشهده صفة الشكر. وتبعثه على القيام بفعل الشكر. والله أعلم))[4].

---

(١) سورة النساء آية (147).

(٢) سورة فاطر آية (34).

(٣) مدارج السالكين (3/ 109).

(٤) المصدر نفسه

ـ وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في فوائد قول الله تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[1]:((ومنها: إثبات صفة الشكر والعلم لقوله تعالى:﴿ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ، لأنهما اسمان دالان على الصفة، وعلى الحكم إن كان متعديا...))[2] .

---

(١) سورة البقرة آية (158).

(٢) تفسير ابن عثيمين (2/ 188).

المبحث الثاني

مسائل متعلقة بصفة الشكر لله تعالى.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان نوع صفة الشكر المضافة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: التوسل إلى الله بصفة الشكر.

المطلب الثالث: القسم بصفة الشكر.

المطلب الرابع: حكم دعاء صفة الشكر.

المطلب الخامس: حكم تعبيد الاسم لصفة الشكر.

المطلب السادس: نفي المماثلة عن الخالق جل وعلا في صفة الشكر.

المطلب الأول: بيان نوع صفة الشكر المضافة إلى الله تعالى.

صفة الشكر يعتبرها العلماء من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته التي يفعلها متى شاء ـ سبحانه وتعالى .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بيان نوعها: ((...الشكر الذي هو صفة الرب ـ جل جلاله ـ وفعله؛ فإنه سمى نفسه بالشكور كما قال تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[1] وقال أهل الجنة ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[2] فهذا الشكر الذي هو وصفه ـ سبحانه ـ لا يقوم إلا به ...))[3].

ولكي نتمكن من معرفة نوع هذه الصفة بوجه أدق فلا بد من ذكر بعض المسائل والضوابط التي ذكرها أهل السنة حول هذا النوع من الصفات فأقول مستعينا بالله:

أولا: **أقسام صفات الله عند أهل السنة**[4] :

يقسم أهل السنة صفات الله ـ تعالى ـ من حيث تعلقها بذات الله وبمشيئة وقدرته إلى قسمين وهما:

---

(١) سورة النساء آية (147).

(٢) سورة فاطر آية (34).

(٣) مدارج السالكين (3/ 109).

(٤) السلف الصالح كما هو معلوم من مذهبهم أنهم يثبتون ما جاء في كتاب وسنة رسوله ﷺ ـ من صفات الله ـ عز وجل ـ جميعها؛ و لكن لما ظهر المتكلمون وقسموا صفات الله تقسيمات خالفوا بها ما جاء في الكتاب والسنة، فنفوا بعض الصفات، وأثبتوا لله ما لم يثبته لنفسه؛ حمل ذلك أهل السنة على أن يقسموا صفات الباري تقسيما صحيحا موافقا للكتاب والسنة، ومن ذلك تقسيم الصفات إلى ذاتيه وفعلية.

القسم الأول: الصفات الذاتية : وهي التي لا تنفك عن الله - ﷻ - بل هي ملازمة له أزلا وأبدا؛ كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع والبصر، والوجه، واليدين... ونحو ذلك، مما ورد في الكتاب والسنة مما يوصف به الله - تعالى - مع عدم تعلق القدرة والمشيئة بها فهي من الصفات الذاتية[١]

القسم الثاني: الصفات الفعلية : وتسمى (الصفات الاختيارية) وهي التي يتصف بها الرب ﷻ - فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل كلامه، وشكره، ومحبته ورضاه ، ورحمته، وخلقه، وإحسانه، وعدله، واستوائه، وإتيانه، ومجيئه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة المطهرة [٢].

ومن الضوابط التي ذكرها أهل السنة حول الصفات الفعلية:

- أن كل صفة فعلية فهي ذاتية من جهة اتصاف الرب ﷻ - بها أزلا وأبدا؛ فلم تحدث له صفة بعد أن لم يكن متصفا بها بل هي صفاته لم يزل متصفا بها.[٣]

وبناءً على هذا يؤكد علماء أهل السنة والجماعة على أن الصفات الفعلية: قديمة النوع حادثة الآحاد؛ فإذا نظرنا لأصلها فهي ذاتية، وإذا نظرنا لأفرادها فهي فعلية [٤]

- وأيضا إذا قلنا: إن آحاد صفات الأفعال حادثة لا يعني هذا أنه تعالى اتصف بصفات كان فاقدا لها، أو كانت ممتنعة في حقه، أو فعل فعلا كان ممتنعا في حقه! تعالى الله عن قول أهل الكلام المذموم - بل الفعل ممكن في حقه - تعالى -

(١) انظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لبعدالعزيز السلمان (57)
(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 131)
(٣) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف للبريكان (88).
(٤) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (410).

في كل وقت؛ لأنه لا يجوز أن يعتقد أنه تعالى كان معطلا عن الفعل في وقت من الأوقات؛ لأن الفعل كمال، وعدمه نقص، والله موصوف بكل كمال منزه عن كل نقص[١]، وهذا بإذن الله سيظهر جليا عند الرد على شبه أهل الكلام في الباب الثاني من هذه الرسالة.

- أن صفات الأفعال كلها متعلقة وصادرة عن قدرة الله ومشيئته وحكمته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -:((إنه لم يزل فاعلا بمشيئته وقدرته، وإن الفعل من لوازم الحياة ...))[٢]

يقول ابن القيم - رحمه الله -:((إن فعله - سبحانه - وإرادته متلازمان؛ فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق... فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده))[٣]

ويقول العلامة السعدي - رحمه الله -:((وأعلم أن صفات الأفعال ... كلها متعلقة وصادرة عن هذه الصفات الثلاث: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وهي كلها قائمة بالله، والله متصف بها...)) [٤]

ثانيا: تقسيم الصفات الفعلية من حيث معناها عند أهل السنة:

الصفات الفعلية لا حصر لها، ولا يستطيع أحد من العباد حصرها؛ فشأنه - تعالى - أنه يريد على الدوام، ويفعل ما يريد، وما أراد فعله لم يمتنع عليه فعله؛ فإنه

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1/ 561).
(٢) مجموع الفتاوى (6/ 181).
(٣) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (102).
(٤) توضيح الكافية الشافية ضمن المجموعة الكاملة (3/ 390ـ 391).

فَعَّالٌ لما يرد[1] ولما كان الأمر كذلك فقد قسم أهل السنة الصفات الفعلية من جهة معناها إلى قسمين:

الأول: لازمة: والفعل اللازم هو: ما لا يتعدى إلى مفعوله.

مثاله: الاستواء، والمجيء، والإتيان، والنزول.

الثاني: متعدية: والفعل المتعدي: هو ما يتعدى إلى مفعوله.

ومثاله: الخلق، والرِّزْق، والعطاء والمنع، وأنواع التدابير[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيـ رحمه الله ـ:((والأفعال نوعان: متعد ولازم.

فالمتعدي: مثل الخلق، والإعطاء.

ونحو اللازم مثل الاستواء، والنزول، والمجيء والإتيان.

وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف به))[3]

ويقول السعدي ـ رحمه الله ـ:((وأعلم أن الأفعال الاختيارية نوعان:

نوع: متعلق بذاته المقدسة؛ كالاستواء والنزول، أي (لازم)

ونوع: متعلق بالمخلوقات؛ كالخلق، والرزق، والعطاء والمنع، وأنواع التدابير الكونية والشرعية، أي (متعدية)[4].

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (102).

(٢) انظر:الحجة في بيان المحجة(328/1)، ودرء تعارض العقل والنقل(365/1)، وتوضيح الكافية الشافية للسعدي (3/ 390ـ 391).

(٣) مجموع الفتاوى (6/ 140).

(٤) توضيح الكافية الشافية(3/ 390ـ 391).

وبعد هذا العرض يتضح أن صفة الشكر صفة فعلية، وتكون أيضا صفة ذاتية؛ فهي كصفة الكلام، وصفة الخلق، وصفة الرَّزق التي إذا نظرنا إلى أصلها فهي صفات ذاتية، وإذا نظرنا إلى أفرادها فهي صفات فعليه

ولكونها من الصفات المتعلقة بالمخلوقات وتتعدى إلى مفعولها فهي صفة فعلية متعدية والله أعلم.

المطلب الثاني: التوسل إلى الله بصفة الشكر.

التوسل[1] إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بصفة الشكر من التوسل المشروع بل هو من التوسل بأسماء الله وصفاته الذي هو أحب أنواع التوسل إلى الله ـ عز وجل ـ؛ فأفضل ما يتوسل به المتوسلون، ويدعو به الدَّاعون؛ هو التوسل والدعاء بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وقد أمرنا الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في توضيح معنى الآية:

((وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته، ففتح لهم باب الدعاء رغبا ورهبا ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته؛ فيتوسل إليه بها، ولهذا كان أفضل الدعاء، وأجوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته قال الله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا))﴾ [3]

ويقول الألباني رحمه الله ـ كذلك في معنى الآية : ((والمعنى: ادعوا الله تعالى

---

(١) التوسل في اللغة: يأتي بمعنى التقرب إلى الغير والرغبة والطلب، يقال: وسلت إلى ربي وسيلة، أي عملت عملا أتقرب به إليه.انظر: كتاب العين (7/ 298)، ومعجم مقاييس اللغة (1052).

والتوسل في الشرع: هو التقرب إلى الله بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ـ سواء كانت القربة واجبة أو مستحبه. انظر: جهود شيخ الإسلام في توضيح توحيد العبادة(2/ 1147) لشيخنا د/ أحمد الغنيمان.

(٢) سورة الأعراف آية (180).

(٣) الصواعق المرسلة (3/ 911).

متوسلين إليه بأسمائه الحسنى. ولا شك أن صفاته العليا عز وجل داخلة في هذا الطلب، لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له، خصت به تبارك وتعالى))[1].

مما يدل كدلالة الآية السابقة قول ﷺ ـ: « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ »[2]

فمن معاني الإحصاء الوارد في الحديث هو السؤال والتوسل إليه بأسمائه [3].

بل جاء في السنة ما يدل على فضيلة التوسل بجميع أسماء الله وصفاته ما علمه العبد منها، وما لم يعلم، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم فيمن كثر همه:

« مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: "أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[4]،

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في قوله ﷺ ـ:((أسألك بكل اسم ... إلى آخره،

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (30).

(٢) سبق تخريجه ص(22).

(٣) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية(2/ 632).

(٤)سبق تخريجه في ص (74).

توسل إليه بأسمائه كلها ما علم العبد منها، وما لم يعلم، وهذه أحب الوسائل إليه؛ فإنها وسيلة بصفاته، وأفعاله التي هي مدلول أسمائه))[1].

والقول بمشروعية التوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بأسمائه وصفاته جاء عن جميع غفير من علماء أهل السنة والجماعة منهم علماء وأئمة الدعوة ـ عليهم رحمة الله ـ كالشيخ حمد بن معمر [2] ـ رحمه الله ـ حيث قال مبينا التوسل الذي كان يفعله الصحابة ـ رضي الله عنهم:((الذي فعله الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هو التوسل إلى الله بالأسماء والصفات والتوحيد، والتوسل بالرسول ومحبته وطاعته ونحو ذلك، وكذلك توسلوا بدعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفاعته في حياته...))[3].

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله [4] ـ رحمه الله ـ في بيان أنواع التوسل المشروع:((التوسل المشروع الذي جاء به الكتاب والسنة: هو التوسل إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالأعمال الصالحة، والأسماء والصفات اللائقة بجلال رب

---

(١) الفوائد (32).

(٢) هو حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، ولد ـ رحمه الله ـ سنة (1160هـ)، وانتقل مع والده إلى الدرعية، وتعلم بها وأخذ العلم عن كبار رجال الدعوة، حتى عرف بالعلم والفقه، ومن مصنفاته: الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب، توفي رحمه الله عام (1225هـ)، انظر: علماء نجد(2/ 121ـ 128).

(٣) الدرر السنية (17/9).

(٤) هو الشيخ الفقيه المحدث سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد بالدرعية عام (1200هـ) تربى في بيت علم وفضل وصلاح وتقى، وحصل علما كثيرا؛ فدرَّس وأفتى وصنف وولي القضاء ومن كتبه: الدلائل في عدم موالاة أهل الشرك، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب الوحيد وغيرهما، قتل ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ ظلما وعدوانا على أيدي رجال إبراهيم باشا عام (1233هـ)، انظر: علماء نجد (2/ 341).

البريات، وكذلك التوسل إلى الله بدعاء النبي ﷺ ـ وشفاعته في حياته، وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين في حياتهم))[1].

وبهذه الأقوال الموفقة المبنية على الكتاب والسنة يستبين الحق، ويظهر عور الباطل، وفيها مستمسك مكين لمن أراد الحق، ومن خرج عنها قيد أنملة ورضي بالتوسلات الشركية، أو الأخرى البدعية؛ فهو على خطر عظيم لكونه خرج عن الحق الذي جاء به الوحي المطهر والله أعلم.

(١) الدرر السنية (9/ 232).

المطلب الثالث: القسم بصفة الشكر

من المسائل المتعلقة بصفة الشكر مسألة القسم بها؛ كأن يقول العبد: أقسم بشكر الله، وهذه المسألة من المسائل المجمع عليها بين العلماء فقد؛ حكى غير واحد من أهل العلم أن اليمين (القسم) لا تكون إلا بأسماء الله، أو بصفاته، وأن من حلف باسم من أسماء الله الحسنى، أو بصفة من صفاته العليا؛ فقد انعقدت يمينه، ولو حنث [1] فيها وجبت عليه الكفارة.

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ((... وأجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة الله، أو سمعه، أو بصره، أو قوته، أو عزته أو عظمته انعقدت يمينه، وكانت مُكَفَّرَةً، لأن هذه صفات كماله التي اشتقت منها أسماؤه))[2].

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله ـ رحمه الله ـ((وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره))[3].

وعلة قول العلماء: إن القسم لا يكون إلا بالله، أو بأسمائه، أو بصفاته؛ لكون القسم فيه تعظيم والتعظيم حق لله ـ تعالى ـ كما أن أسماء الله، وصفاته غير مخلوقة، والممنوع هو القسم بالمخلوق.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله ـ:((من حلف باسم من أسماء الله؛ فحنث فعليه الكفارة؛ لأن اسم الله غير مخلوق))[4]

---

(١) الحنث في اليمين: نقضها، والنكث فيها. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (449/1).

(٢) مدارج السالكين (3/ 83).

(٣) تيسير العزيز الحميد(2/ 1166).

(٤) تفسير الشافعي(1/ 101).

ولا يشكل على هذا ما جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ من قسمه ـ تبارك وتعالى ـ ببعض مخلوقاته، لأنه مما يختص به ـ عز وجل ـ فالخالق يقسم بما شاء من مخلوقاته؛ لما فيها من الدلالة على قدرة الرب ـ سبحانه ـ، وألوهيته، وحكمته، وغير ذلك من صفات كماله.

قال الإمام الشعبي رحمه الله ـ:((الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق))[1]

ما يدل على جواز القسم بالصفات:

أما دليل الكتاب فقوله تعالى:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [2]

والآية صريحة في جواز القسم بالصفات، فقد أقسم إبليس ـ أعاذنا الله منه ـ بعزة الله ـ جل جلاله ـ وهي صفة من صفات الله ـ تعالى ـ والقسم بالصفة كالقسم بالله ـ عز وجل ـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((... والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة، كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة، وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة...))[3]

وأما الأدلة من السنة

---

(١) رواه ابن جرير كما ذكره ابن حجر في فتح الباري (11/ 535)، وابن أبي حاتم كما قاله ابن كثير في تفسيره لأول سورة النجم (4/ 2735)، ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، وهذا الأثر يذكره أهل العلم كثيرا في مصنفاتهم عن الشعبي ـ رحمه الله ـ انظر: تيسير العزيز الحميد (2/ 1167)، وتوفيق الرحمن في دروس القرآن(4/ 170).

(٢) سورة ص آية (82).

(٣) مجموع الفتاوى (1/ 85)

فقد جاء في السنة القسم بصفة العزة كما جاء في القرآن، والقسم بالعظمة والحلف بكرم الله[1] ـ عز وجل ـ وغيرها فمن ذلك:

ـ ما جاء من القسم بصفة العزة في حديث آخر مَنْ يدخل الجنة وفيه:

« ... ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار؛ فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها[2] وأحرقني ذكاؤها[3]، فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك ...»[4] .

ـ ومن ذلك القسم بالكرم كما في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « لا يزال يلقى فيها ـ أي النار ـ وتقول: هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد، قد، بعزتك وكرمك » [5].

وفيما سبق ذكره من إجماع العلماء، وما استندوا عليه من دلالة الكتاب والسنة ليدل دلالة واضحة على مشروعية القسم بالصفات كما يشرع القسم به ـ سبحانه وتعالى ـ وصفة الشكر من جملة صفات الله فالقول فيها كالقول في صفة العزة والكرم والعظمة فالباب واحد والله أعلم.

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (2/ 137)، وفتح الباري (13/ 371).

(٢) أي سمني ريحها، وكل مسموم قَشِيب ومُقْشَب. انظر: النهاية لابن الأثير(4/ 64).

(٣) أي شدة وهج النار. انظر: ابن الأثير(2/ 165).

(٤) أخرجه البخاري، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:(وجوه يومئذ ناضرة) انظر: البخاري مع الفتح(419/13)، حديث (7437)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الرؤية في الآخرة، انظر: مسلم بشرح النووي(2/ 393)، حديث(299).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:(وهو العزيز الحكيم)، انظر: البخاري مع الفتح(13/ 369)، حديث رقم (7384).

المطلب الرابع: حكم دعاء صفة الشكر.

دعاء صفة الشكر بأن يقال: يا شكر الله افعلي لي كذا وكذا،كما يقال: يا رحمة الله، أو يا قدرة الله.

وهذه المسألة من المسائل التي بين علماء أهل السنة والجماعة في القديم والحديث حكمها حيث نصوا:على أن دعاء الله بأسماء الله وصفاته والتوسل إليها بها جائز ومشروع؛ أما دعاء الصفات بالصيغ السابقة وما كان مثلها فقد أنكروه غاية الإنكار وشددوا في النهي عنه؛ بل عدوه من الكفر والشرك وأقوالهم التالية تسفر عن موقفهم من هذه المسألة:

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ:(((إنَّ مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماتِه جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأمَّا دعاء صفاته وكلماته فكفر باتِّفاق المسلمين؛ فهل يقول مسلم: يا كلام الله! اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعني، أو: يا علم الله، أو: يا قدرة الله، أو: يا عزَّة الله، أو: يا عظمة الله ونحو ذلك؟! أو سمع من مسلم أو كافر أنَّه دعا ذلك من صفات الله وصفات غيره، أو يطلب من الصِّفة جلب منفعة أو دفع مضرَّة أو إعانةً أو نصراً أو إغاثةً أو غير ذلك؟!))[1].

وقال أيضا في الجواب الصحيح:((فإن كلام الله لم يخلق السماوات والأرض، ولا كلام الله هو الإله المعبود؛ بل كلامه كسائر صفاته مثل حياته، وقدرته.
ولا يقول أحد يا علم الله اغفر لي، ولا يا كلام الله اغفر لي، وإنما يُعْبَد، ويُدعى الإله الموصوف بالعلم،والقدرة، والكلام الذي كلم به موسى تكليما))[2]

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لابن كثير(181).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (3/ 275).

وبمثل قول شيخ الإسلام ابن تيمية قال جمع من علمائنا في الوقت المعاصر:

منهم مفتي الديار السعودية في زمانه الشيخ محمد بن إبراهيم ـ عليه رحمة الله ـ فقد سئل عن سؤال الصفة بقول يا رحمة الله ما حكمه؛ فأجاب:

بعدم الجواز، وعلل جوابه بكون الصفة لا يقال: إنها خالقة؛ بل الله بصفاته هو الخالق[1].

وأما ابن با رحمه الله ـ فقد ذهب إلى ما ذهب إليه شيخه ابن إبراهيم ونص على أن القول بعدم الجواز هو قول جميع أهل العلم وذلك جوابا لمن سأله عن قول (يا وجه الله)؛ فأجاب :((لا يجوز لأحد من المسلمين أن يدعو صفات الله، عند جميع أهل العلم، كأن يقول: يا وجه الله، أو يا علم الله، أو يا رحمة الله أو ما أشبه ذلك. وإنما الواجب أن يدعوه سبحانه بأسمائه الحسنى؛ لقول الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [2] فيقول: يا الله يا رحمن يا رحيم. ونحو ذلك.

ويستحب التوسل بصفات الله فيقول: اللهم إني أسألك بأنك عظيم، أو بقدرتك العظيمة، أو بحلمك ونحو ذلك. والله ولى التوفيق[3])).

كما سئل الشيخ ابن عثيمين . رحمه الله ـ عن نفس المسألة وهل دعاء الصفة وعبادتها يعد شركا؟

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (1/ 117).

(٢) سورة الأعراف آية (180).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (28/ 403)

((فأجاب بقوله: عبادة الإنسان لصفة من صفات الله، أو دعاؤه لصفة من صفات الله من الشرك، وقد ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – لأن الصفة غير الموصوف بلا شك وإن كانت هي وصفه، وقد تكون لازمة وغير لازمة، لكن هي بلا شك غير الموصوف فقوة الإنسان غير الإنسان وعزة الإنسان غير الإنسان، وكلام الإنسان غير الإنسان، كذلك قدرة الله – عز وجل – ليست هي الله بل هي صفة من صفاته فلو تعبد الإنسان لصفة من صفات الله لم يكن متعبدًا لله؛ وإنما تعبد لهذه الصفة لا لله – عز وجل – والإنسان إنما يتعبد لله – عز وجل – ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[١] .

والله ـ عز وجل ـ موصوف بجميع صفاته فإذا عبدت صفة من صفاته لم تكن عبدت الله عز وجل لأن الله موصوف بجميع الصفات.

وكذلك دعاء الصفة من الشرك مثل أن تقول: يا مغفرة الله اغفري لي يا عزة الله أعزيني،ونحو ذلك))[٢].

وهذا غيض من فيض فأقوال أهل العلم في هذه المسألة كثيرة ومفصلة في كتبهم ومشهورة[٣] ولكن يمكن لنا أن نأخذ من كلامهم وتعليلهم في تحريم دعاء الصفة ما يلي:

أولا: أن الدعاء عبادة مبناها على الكتاب والسنة، ودعاء الصفة لم يرد بل هو محدث؛ لا يعرف في النصوص، ولا في أدعية السلف[١].

---

(١) سورة الأنعام، آية (162).

(٢) فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين، جمع وترتيب أشرف عبدالمقصود (1/ 26).

(٣) انظر: معجم المناهي اللفظية (560)، وفتاوى العقيدة لابن جبرين (55).

ثانيا: أن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله ـ تعالى ـ فمن دعا صفة من صفات فإنه بذلك قد وقع في الشرك، لأنه والحالة هذه قد جعل الصفة مستقلة تجلب له الخير، وتدفع عنه الشر، وهذا يعني أنه قد جعلها إلها مع الله تعالى الله عن ذلك[٢]

ثالثا: أن دعاء الصفة باطل في صريح العقل، فالصفة لا تخلق، ولا ترزق، ولا تفعل شيئا، والذي يُدعى ويُعبد إنما هو الإله الموصوف بصفات الكمال ـ سبحانه وتعالى ـ وعلى هذا جميع أهل الملل والعقلاء من الناس[٣].

رابعا: أن منهم مَنْ فرَّق أثناء جوابه بين دعاء الصفة الممنوع، وبين دعاء الله بصفة من صفاته، والتوسل إليه بها؛ كأن يقول: اللهم ارحمنا برحمتك فهذا جائز لئلا يقع اللبس بين الجائز والممنوع[٤]

كما أن منهم من بين الاختلاف بين منع دعاء الصفة، ومسألة القسم بالصفة للاختلاف بينهما؛ فقال: بمشروعية القسم بالصفة لما فيه من تعظيم الله، ومجيء الدليل به بخلاف دعاء الصفة المجمع على منعه [٥]والله أعلم.

---

(١) انظر: فتاوى العقيدة لابن جبرين (55)، ومعجم المناهي اللفظية (560).

(٢) انظر: فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين(1/ 26)، ولقاء الباب المفتوح (30)، ومعجم المناهي اللفظية (560).

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(4/ 326)، (4/ 50)، (4/ 272).

(٤) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (181)، ومعجم المناهي اللفظية(560).

(٥) انظر: معجم المناهي اللفظية (560).

المطلب الخامس: حكم تعبيد الاسم لصفة الشكر.

اتفق العلماء في مسألة تعبيد الأسماء على أمرين:

الأول: اتفاقهم على استحسان الأسماء المضافة لله ـ تعالى ـ كعبدالله، وعبدالرحمن وهذا ذُكر في مسألة تعبيد الاسم للاسمين الشكور والشاكر من هذه الرسالة(١)

الثاني: واتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ـ عز وجل ـ كعبد عمر، وعبدالنبي، وعبد الحسين وما أشبه ذلك(٢)

والمسألة التي أنا بصدد الحديث عنها، وهي تعبيد الاسم لصفة الشكر؛ فالذي يظهر ـ والعلم عند الله ـ أنها داخلة في الأمر الثاني أنه لا يشرع تعبيد الاسم لصفة الشكر، كعبد الشكر ولا لغيرها من صفات الله ـ تعالى ـ فلا يجوز تسمية أحد بعبد الرحمة، أو عبدالعزة، أو عبدالكرم، أو عبدالقدرة، أو عبد الجلال، أو عبد الجمال ونحو هذا، وهذه المسألة من المسائل التي تُظهر الفرقَ بين أسماء الله وبين صفاته؛ كسابقتها مسألة دعاء الصفة؛ فإضافة الاسم إلى أسماء الله مشروع، أما إضافته لصفاته فلا يشرع، وذلك لأن الصفة غير الموصوف؛ فالشكر ليست هي الله؛ بل هي صفة من صفاته، وكذا القدرة، والكرم، والجلال، والجمال.

وبناء على هذا لا يجوز تعبيد الاسم إليها، ولعل مما يبرهن هذا أن تعبيد الاسم لصفة من صفات الله لم يرد في اسم أحد من أهل القرون المفضلة، ولم يرد في اسم من أسماء العلماء عبر هذه القرون المتلاحقة من أمة الإسلام فيما أعلم(٣).

(١) انظر: ص (106) من هذه الرسالة.
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (2/ 1249).
(٣) انظر: فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين(1/ 26).، ودفع إيهام التشبيه (39)

المطلب السادس: نفي المماثلة عن الخالق جل وعلا في صفة الشكر.

الإيمان الواجب بأسماء الله وصفاته يقتضي إثباتها لله ـ عز وجل ـ على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن ينزه عن كل نقص وعيب ومن ذلك تنزيهه عن مماثلة المخلوقين، وهذا في جميع صفات الله، وصفة الشكر من ضمنها؛ فالإيمان بها يقتضي ذلك، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا أسمائه، ولا صفاته، ولا أفعاله.

وهذه هي طريقة المرسلين ـ عليهم السلام ـ وأتباعهم من سلف الأمة ومن سلك طريقهم من السابقين واللاحقين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ عليه رحمة الله ـ عما بعث الله به رسله ـ عليهم السلام ـ:((والله ـ سبحانه ـ بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل؛ فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[1]))[2]

وهكذا فإن المنهج الحق في هذا الباب يتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل [3]، وعلى هذا دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، وبيان ذلك كما يلي:

---

(١) سورة مريم آية (65).

(٢) مجموع الفتاوى (3/ 9).

(٣) المصدر نفسه (3/ 8).

أولا: دلالة الكتاب على نفي المماثلة عن الخالق في صفة الشكر وغيرها من الصفات:

الآيات الدالة على تنزيه الله ﷻ ـ عن مماثلة المخلوقين كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1ـ قال الله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[(١)]

2ـ وقوله :﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٢)]

3ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[(٣)]

ثانيا: الأدلة من السنة

الأحاديث الدالة على هذا الأصل كثيرة منها:

1ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنا إذا أشرفنا على واد، هلَّلنا وكبَّرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس ارْبَعُوا[(٤)] على أنفسكم، فإنكم لا تدعون

---

(١) سورة الشورى، آية (11).

(٢) سورة النحل آية (74).

(٣) سورة الإخلاص الآيات (1ـ4).

(٤) اربعوا: بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة معناه: ارفقوا على أنفسكم. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (1/ 175) باب الراء مع الباء، وفتح الباري (6/ 135)، وشرح النووي على صحيح مسلم(17/ 191).

أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده» (١)

2ـ عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار»(٢)

من دلالات الآيات والأحاديث السابقة:

1ـ دلت على أن الله هو الإله الحق المتفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله؛ فليس له شريك، ولا سمي، ولا كفء، ولا مثل، ولا ند ولا نظير في جميع ذلك؛ فهو ـ سبحانه ـ الموصوف بالصفات الكاملة العظيمة اللائقة بجلاله وكماله؛ صفات لا تشبه صفات المخلقين؛ فإن الرب ـ جل جلاله ـ له صفاته التي تناسب كماله، وللمخلوقين صفات مناسبة لحالهم، وعجزهم، وفنائهم، وافتقارهم(٣).

2ـ أن من أثبت لله ـ الصفات، ونفى عنه مماثلة المخلوقات ـ كما جاء في الأدلة ـ كان ذلك هو الحق الذي يوافق المعقول، والمنقول، ويهدم أساس الإلحاد والضلالات(٤)

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، انظر: فتح الباري (6/ 135)،حديث رقم(2992)، والإمام مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، انظر: مسلم بشرح النووي(17/ 191) حديث رقم(2704).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب رؤية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه، انظر: مسلم بشرح النووي، (3/ 389)، حديث رقم (179).

(٣) انظر:القواعد الحسان للسعدي(8/ 194)، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي(9).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (3/ 23).

3ـ كما دلت على أن من آمن بصفات الله ـ عز وجل ـ ونزهه عن مشابهة صفات المخلوقين فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجمال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه، والتعطيل[1]

ثالثا: دليل الإجماع

ببركة الاعتصام بالكتاب والسنة أجمع سلف الأمة على إثبات الصفات لله

ونفي مماثلة المخلوقات عن الباري ـ جل وعلا ـ وممن ذكر إجماعهم على ذلك :

شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء، ولا كقوله في شيء من صفات الكمال، كما قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[2]))[3]

ويقول أيضا ابن أبي العز الحنفي رحمه الله ـ في شرحه للطحاوية ((اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله))[4]

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي(9).

(٢) سورة الإخلاص الآيات (1ـ4).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (123).

(٤) شرح الطحاوية (1/ 154).

وأقوال علماء أهل السنة في تقرير هذه المسألة كثيرة جدا [1] ولولا خشية الإطالة لذكرت جملة منها، ولعل فيما ذكر كفاية وغنية لمن أراد أن يستغني بالكتاب والسنة، ومن ردَّهما بآرائه وموازينه العقلية، وأخذ في ضرب الأمثال لربه وقد نهى الله عن ذلك فلا حيلة لنا به وقد أضله على علم والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر من أقوالهم: في الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ (301)، وكتاب التوحيد لابن منده (1/ 9ـ 25)، وسير أعلام النبلاء(10/ 610)، وشرح الطحاوية (73).

المبحث الثالث

أثر الإيمان بصفة الشكر الثابتة لله تعالى.

أثر الإيمان بصفة الشكر الثابتة لله تعالى.

سيكون الحديث ـ بمشيئة الله تعالى ـ في هذا المبحث عن أثر الإيمان بصفة الشكر على العبد في اعتقاده، وأقواله، وأفعاله؛ نتيجة إيمانه بهذه الصفة ولوازمها العقدية[١]

وهذه الآثار إنما تكون بحسب إيمان العبد، ومعرفته لمعاني أسماء الله وصفاته، وإثباته لحقائقها، وتعلق قلبه بها، وقبل هذا هي فضل من الله يهبه الله لمن شاء من عباده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((وكذلك من عرف أسماء الله، ومعانيها؛ فآمن بها، كان إيمانه أكمل ممن لا يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانا مجملا، أو عرف بعضها، وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله، وصفاته، وآياته، كان إيمانه به أكمل))[٢]

ويقول ابن القيم تلميذ شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مبينا الأثر العظيم للإيمان بالأسماء والصفات:((... فالإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، وشهوده لها: هو مبدأ الطريق، ووسطه، وغايته، وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا ...))[٣]

---

(١) آثار الصفات نوعان: الأول/ آثار تتعلق بالقلوب، وهي ما يظهر نتيجة للإيمان بها من أنواع العبودية المختصة بها.
والثاني: آثار تتعلق بالذوات وهي ما يظهر نتيجة لتعلق أحكام الصفة بذوات الموجودات وأحوالهم.انظر: القواعد الكلية للبريكان (95).

(٢) كتاب الإيمان (184).

(٣) مدارج السالكين (3/ 366).

(فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها ارتباط الخلق بها فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها)[١]

بل إن ابن القيم ـ رحمه الله ـ زاد هذا الباب بيانا وأهمية حين قال:((من علم أن الرب شكور تنوّعَ في معاملته، ومن عرف أنه واسع المغفرة تعلق بأذيال مغفرته، ومن علم أن رحمته سبقت غضبه لم ييأس من رحمته إن ربنا لغفور شكور.

من تعلق بصفة من صفاته أخذته بيده حتى تدخله عليه، ومن سار إليه بأسمائه الحسنى وصل إليه، ومن أحبه أحب أسماءه وصفاته، وكانت آثر شيء لديه.

حياة القلوب في معرفته، ومحبته، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته، والقيام بخدمته، والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته؛ فأهل شكره أهل زيادته، وأهل ذكره أهل مجالسته، وأهل طاعته أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته إن تابوا فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بأنواع المصائب ليكفر عنهم الخطايا، ويطهرهم من المعائب، إنه غفور شكور))[٢].

ومما قرره علماء أهل السنة في هذا الباب أن لكل صفة من صفات الله تعالى عبودية خاصة هي من آثار الإيمان بها، وصفة الشكر منها فإن لها من الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بها، وهذا ما سأبذل فيه جهدي لبيانه وتوضيحه في فيما يأتي من صفحات سائلا المولى التوفيق والسداد .

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة (2/ 511).
(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (826).

أولا: تقرير التوحيد

فمن آمن بصفة الشكر وأثبتها لله ـ عز وجل ـ على ما يليق بجلالة وعظمته دلته على ربه ـ جل وعلا ـ وأنه مستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأوصلته إلى روضة التوحيد من أوسع أبوابها، وذلك لأن الباري ـ جل وعلا ـ لم يذكر هذه الصفة، وغيرها من الصفات لمجرد تقرير الكمال له ـ سبحانه ـ وإنما ذكرت لبيان أن الموصوف بها هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده، وما سواه من الآلهة المزعومة من أبطل الباطل، وأنها لا تستحق شيئا من العبادة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((الله ـ سبحانه ـ لم يذكر هذه النصوص ـ أي نصوص الصفات ـ لمجرد تقرير الكمال؛ بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون سواه؛ فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد وهما:

إثبات الكمال ردا على أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو ردا على المشركين))(١)

وكما أن إثبات تفرد المولى ـ جل وعلا ـ بالكمال المطلق من خلال الإيمان بصفة الشكر وإثباتها يقرر توحيد العبادة من ناحية وصفه بالكمال المطلق يستلزم تعلق القلوب بالموصوف بها محبة وخوفا ورجاء وتألها في الظاهر والباطن، وهذه الأنواع من أعظم مقامات العبودية الخالصة لله عز وجل.

ثانيا: النجاة من الشرك

هذا الأثر فرع لما قلبه فإذا تقرر التوحيد من خلال الإيمان بهذه الصفة انتفى الشرك، ونجا المؤمن بها من الإشراك.

---

(١) مجموع الفتاوى (6/ 83).

وشاهد ذلك ما في كتاب الله ـ عز وجل ـ من استدلال الله ـ سبحانه ـ بالأسماء والصفات على توحيده، ونفي الإشراك عنه؛ لما تدل عليه من معاني الكمال والجلال التي يستحيل معها وجود شريك مع الله، ولو لم تكن كذلك لما استدل الله بها في كتابه (١)

فكيف إذا علمنا أن أصل كل شرك في العالم إنما هو التعطيل وإنكار الصفات؛ فالمشرك ما عَبَدَ مع الله غيره إلا حين عطَّلَ صفات كماله، أو بعضها، وأساء الظن بربه(٢)

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ ((ولما كان أحب الأشياء إليه حمده ومدحه، والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به، وهو شر من الشرك، فالمعطل شر من المشرك، فإنه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والطعن في أوصافه هو، والتشريك بينه وبين غيره في الملك، فالمعطلون أعداء الرسل بالذات، بل كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله – أو بعضه – وظن السوء به: لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء لقومه عليه السلام: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (٣)))(٤)

---

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (126).

(٢) انظر: آثار المثل الأعلى د. عيسى السعدي (12).

(٣) سورة الصافات الآيتان (86ـ 87).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (3/ 364)

ولذا فإن مما يؤكد عليه هنا أن مَنْ عرف الله بأسمائه وصفاته، وآمن بها عصمه إيمانه من الشرك صغيره وكبيره، ظاهره وباطنه؛ إذ لا يُبْتَلى بالإشراك إلا من لم يقدر الله حق قدره، ولم يعظمه حق تعظيمه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١]

قال ابن كثير رحمه الله - في بيان معنى الآية :((يقول تعالى: وما قَدَرَ المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته))[٢] .

ثالثا: محبة الله تعالى

من الآثار الجليلة، والثمار اليانعة للإيمان بصفة الشكر الثابتة لله - تعالى - محبة العبد لربه - جل وعلا - وذلك من خلال النظر إلى أمرين:

الأول: مطالعة العبد لكمال صفة الشكر.

وذلك أن النفوس قد جُبِلَتْ على حب الكمال والفضل؛فإذا آمن العبد بهذه الصفة وعرفها،وفهم معناها؛ فلا بد أن تثمر هذه المطالعة في قلبه محبة لله خالصة من كل شائبة، مستلزمة لكمال الذل والخضوع والتعظيم و والطاعة[٣]

---

(١) سورة الزمر آية (67).

(٢) تفسير ابن كثير (4/ 2502)

(٣) انظر: شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبدالسلام (77)، وإغاثة اللهفان من مكائد الشيطان (2/ 195)، القواعد المثلى لابن عثيمين (19).

لذا فإن العلماء عند ذكرهم للأسباب الجالبة لمحبة الله ـ تعالى ـ فإنهم يؤكدون على أن أعظمها مطالعة أسماء الله وصفاته، لأن من أدام مطالعة الأسماء والصفات عرف الله بها، ومن عرف الله أحبه لا محالة[١]

بل إن الإمام الحافظ ابن الق رحمه الله ـ يقرر أن من طالع بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لجلبت له تمام محبة الله في كلام له نافع مفيد من أجمل ما وقفت عليه في هذا الباب حيث يقول:((ولا يتصور نشر هذا المقام حق تصوره فضلا عن أن يوفاه[٢] حقه؛ فأعرف خلقه به، وأحبهم له ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"، ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التامة عليها، وهل مع المحبين محبة إلا من آثار صفات كماله؛ فإنهم لم يروه في هذه الدار، وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته وآثار صنعه؛ فاستدلوا بما علموه على ما غاب؛ فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله ـ سبحانه وتعالى ـ لكان لهم في حبه شأن آخر، وإنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به؛ فأعرفهم بالله أشدهم حبا له، ولهذا كانت رسله أعظم الناس حبا له، والخليلان من بينهم أعظمهم حبا، وأعرف الأمة به أشدهم له حبا...))[٣]

وبذلك ثبت أنه لا يستحق أحد أن يعبد لذاته ويحب لذاته إلا الله ـ جل جلاله ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمي رحمه الله ـ:((...إثبات محبة الله ورضاه وأنه يستحق أن يعبد لذاته ويحب لذاته وليس شيء سواه يستحق أن يحب إلا هو، وكل محبة لغيره فهي فاسدة وهذا من معاني الإلهية فإن " الإله " هو المألوه: الذي

---

(١) انظر: مدارج السالكين(3/ 18).

(٢) هكذا في الأصل ولعله (أن يوفيه حقه) والله أعلم.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (378)

يستحق أن يؤله فيعبد والعبادة تجمع غاية الذل وغاية الحب وهذا لا يستحقه إلا هو..))(١)

ويبين ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن الله سبحانه هو المحبوب لكماله، وأنه أهل أن يحب لذاته وصفاته؛ فيقول:((و إذا كان الكمال محبوبا لذاته ونفسه، وجب أن يكون الله هو المحبوب لذاته وصفاته؛ إذ لا شيء أكمل منه، وكل اسم من أسمائه، وصفة من صفاته تستدعي محبة خاصة؛ فإن أسماءه كلها حسنى وهي مشتقة من صفاته))(٢) .

الثاني: مطالعة آثار صفة الشكر على العباد.

فإن العبد الضعيف حين ينظر إلى آثار صفة الشكر الثابتة لله ـ تعالى ـ وما تقتضيه هذه الصفة العظيمة من عفو الله وبره وإحسانه على عباده، وذلك حينما يعملون أعمالا صالحة يتفضل الله عليهم بقبولها وإن قَلَّتْ، ويضاعف لهم أجرها، ويزيد في حسناتهم، ودرجاتهم، لأنه الغفور الشكور ـ سبحانه وتعالى ـ

فهذا الفضل، وهذا الشكر العظيم، وهذا الإحسان منه ـ جل وعلا ـ على عباده يملأ قلوبهم حبا وتعظيما ورغبة وشوقا لمن تصف بهذه الصفة الكاملة العظيمة

وهذه المحبة إنما تنشأ من مطالعة العبد منن الرب ـ جل وعلا ـ ورؤية نعمه وآلائه؛ فيحبه لإحسانه إليه، وهذه المحبة على هذه الأصل لا ينكرها أحد؛ فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، والله ـ سبحانه ـ هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة؛ فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة؛

---

(١) مجموع الفتاوى (8/ 378).

(٢) طريق الهجرتين (355، 378).

فلا أحد أعظم إحسانا من الشكور الشاكر؛ فإن إحسانه على عبده في كل نفس ولحظة، وهو يتقلب في إحسانه في جميع أحواله[1].

وهنا لطيفة من لطائف المسائل في هذا الباب ينبغي التنبيه عليها:

وهي أن محبة الله ـ عز وجل ـ من باب مطالعة النعم، وباب الإحسان باب يدخل منه كل أحد إلى محبة الله ـ تبارك وتعالى ـ [2] لكن هذه المحبة الناشئة من هذا الباب (إذا لم تجذب القلب إلى محبة الله نفسه ـ أي إلى محبة الله لذاته وكمال صفاته ـ؛ فما أحب العبد في الحقيقة إلا نفسه، وهذا ليس بمذموم، ولكن المقتصر على هذه المحبة هو لم يعرف من جهة الله ما يستوجب أنه يُحَبُ إلا إحسانه إليه، وهذا كما قالوا: إن الحمد لله على نوعين:

(حمد): هو شكر، وذلك لا يكون إلا على نعمة.

و(حمد): هو مدح وثناء عليه، ومحبة له، وهو يستحقه لنفسه)[3].

وأما من أحب الله من باب أسماء الله وصفات كماله فقد دخل على محبة الله من باب المحبين حقا، وهو الباب الذي لا يدخل منه إلا الخواص من عباد الله وأوليائه.

يقول ابن القيم في عبارات جميلة له يجمع فيها بين هذين الأصلين الموصلين إلى محبة الله: ((والله سبحانه وتعالى دعا عباده إليه من هذا الباب ـ أي باب النعم ـ، حتى إذا دخلوا منه دُعُوا من الباب الآخر وهو باب الأسماء والصفات الذي إنما يدخل منه إليه خواص عباده وأوليائه، وهو باب المحبين حقا الذي لا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (10/ 84)،و طريق الهجرتين (374، 377)،
(٢) انظر: طريق الهجرتين (377).
(٣) مجموع الفتاوى (10/ 84).

يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحد منهم، بل كلما بدا له منه علم ازداد شوقا ومحبة وظمأ؛ فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها، وأشدها نقصا، وأبعدها من كل خير؛ فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانا منه ـ سبحانه وتعالى ـ، ولا شيء أكمل منه، ولا أجمل؛ فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعه ـ سبحانه وتعالى ـ، وهو الذي لا يحد كماله، ولا يوصف جلاله وجماله، ولا يحصى أحد من خلقه ثناءً عليه بجميل صفاته، وعظيم إحسانه، وبديع أفعاله، بل هو كما أثنى على نفسه))[1].

وخاتمة هذا الباب، وهي الغاية المطلوبة، وجميع ما تقدم كالوسيلة إليها.

وهى أن نقول: إن محبة الله سبحانه، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضى به وعنه: أصل الدين وأصل أعماله وإرادته، وهي المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده

يقول المقريزي[2] ـ رحمه الله ـ: ((وإذا تأمّل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال، وبين ما دلّ عليه صريح الوحي؛ علم أن الله – تعالى – إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبّته، مع الخضوع له والانقياد لأمره.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (377ـ 378).

(٢) هو أحمد بن علي بن عبدالقادر أبو العباس الحسيني العبيدي المقريزي مؤرخ الديار المصرية، ولد ونشأ في القاهرة، ومات فيها، ومن مصنفاته: كتاب المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار ويعرف بالخطط المقريزية، وقيل أن مصنفاته زادت على مئتي مجلد كبير. انظر: معجم المؤلفين (1/ 204).

فأصل العبادة: محبّة الله، بل إفراده تعالى بالمحبّة، فلا يحبّ معه سواه، وإنما يحبّ ما يحبّه لأجله وفيه، كما يحبّ أنبياءه ورسله وملائكته، لأن محبّتهم من تمام محبّته، وليست كمحبّة من اتّخذ من دونه أندادًا يحبّهم كحبّه.

وإذا كانت المحبّة له هي حقيقة عبوديّته وسرّها، فهي إنما تتحقق بإتّباع أمره واجتناب نهيه، فعند إتّباع الأمر والنّهي تتبيّن حقيقة العبوديّة والمحبّة))[١]

وأقوال أهل العلم في باب محبة الله عز وجل كثيرة ومعلومة، وفي دواوينهم مثبتة مسطورة، وإني والله أحب أن أتتبع ما أمكن من أقوالهم ولكن لعل ما ذكرته يكفي ويشفي جعلنا الله من أهل وده ومحبته إنه جواد كريم.

رابعا: الحياء من الله.

من آثار الإيمان بصفة الشكر: الحياء من الله ـ عز وجل ـ وتعظيمه، وذلك لما للحياء من الصلة القوية بالإيمان ـ بالله تبارك وتعالى ـ؛ فالحياء من الإيمان، والإيمان الصادق الصحيح يصحبه الحياء من الله ـ عز وجل ـ وهذا هو حياء الإجلال والتعظيم، وهو مبني على المعرفة بالله؛ فبحسب معرفة العبد بربه، ومعرفته بأسمائه وصفات كماله ـ ومنها صفة الشكر ـ يكون حياؤه من الله[٢] .

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((وأما الحياء فيبعث عليه قوة المعرفة، ومشاهدة معاني الأسماء والصفات))[٣].

---

(١) تجريد التوحيد المفيد (62ـ61).

(٢) انظر: مدارج السالكين (2/ 250)، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان (100).

(٣) مدارج السالكين (2/ 163).

وهذا النوع الذي يسميه العلماء كابن رجب الحنبلي بالحياء المكتسب، لأن العبد لم يفطر عليه بل اكتسبه من معرفته بالله ومعرفته لعظمته، وكمال صفاته، وجلال نعوته[1].

لذا فإنه كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من الله في قلب العبد؛ فمن وفقه لهذا الخُلُق وُفِق لكل خير؛ فالحياء من الله به حياة الإيمان، وبه يدع الإنسان فعل كل قبيح، وبه يفعل كل خُلُق حسن[2].

كما أن الحياء من الله حق الحياء يتولد من خلال الإيمان بهذه الصفة من ناحية أخرى، من ناحية رؤية آثارها على العباد؛ فإنها تشتمل على آلاء ومنن ونعم من الباري ـ جل وعلا ـ تتطلب من العباد صدق التعبد لله بهذه الصفة؛ لكن حينما يتأمل العبد المؤمن في خاصة نفسه فإذا لديه تقصير عظيم في شكر الشكور ـ سبحانه وتعالى ـ فهذا الاطلاع من العبد وهذه المشاهدة توجب له حياءً عظيما من الله ـ عز وجل ـ يملأ قلبه من تعظيم الله وإجلاله والخشوع له سبحانه.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((ومعرفة النفس ومقتها يوجب الحياء من الله عز وجل، واستكثار ما منه، واستقلال ما منك من الطاعات))[3].

ويقول ابن رجب رضي الله عنه ـ: ((وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة نعمه، ورؤية التقصير في شكرها))[4] .

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (403).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (59).

(٣) مدارج السالكين (2/ 29).

(٤) جامع العلوم والحكم (404).

خامسا: حسن الظن بالله

مما لا شك فيه أن الإيمان بصفة الشكر يثمر حسن الظن بالله، والثقة به، وطمأنينة القلب، وذلك أن الإيمان بها يقتضي أن الله سيجازي عبده على أعماله الصالحة، وأنه لا يضيع منها شيئا، وأنه سيضاعف له الأجور والحسنات؛ فكل هذه المعاني تحمل العبد على حسن الظن بالله، وكمال الثقة به، ويطمئن قلبه عند ذلك فيكثر من الأعمال الصالحات ويجتهد في إحسانها وإتقانها، لأنه يتعبد لرب غفور شكور، ولعل هذا يؤخذ من ختم الآيات بهذه الصفة وقد سبقها حث وترغيب في الأعمال الصالحة كقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [١]

قال الإمام البغوي رحمه الله - في تفسير الآية : (((فإن الله شاكر) مجاز لعبده بعمله، (عليم) بنيته، والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق، يشكر اليسير ويعطي الكثير.))[٢]

وفي كلام الشيخ ابن عثيمين في تفسيره تأكيد لما أشرت إليه فقد قال:((وقرن العلم بالشكر لاطمئنان العبد إلى أن عمله لن يضيع فإنه معلوم عند الله، ولا يمكن أن يضيع منه شيء؛ يعني: إذا عَلم العامل أن الله تعالى شاكر، وأنه عليم،

---

(١) سورة البقرة آية (158).

(٢) تفسير البغوي (175/1)

فإنه سيطمئن غاية الطمأنينة إلى أن الله سبحانه وتعالى سيجزيه على عمله بما وعده به، ويعطيه أكثر من عمله))[١].

وقوله تعالى: ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[٢]؛ فعند تأمل الآية فهي كسابقتها نجد أن فيها حث وترغيب للعباد في القيام بالأعمال الصالحة ثم تختم بصفة الشكر ليطمئن العباد ويحسنوا الظن بربهم وأنه لا يخلف الميعاد.

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بيان أن حسن الظن مقرون بحسن العمل:((ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل،علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه؛ فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل حسن الظن بربه أن يجازيه على إعماله، ويثيبه عليها، ويتقبلها منه؛ فالذي حمله على العمل حسن الظن، وكلما حسن ظنه حسن عمله))[٣]

كما يؤخذ حسن الظن بالله وكمال الثقة به عند تأمل قول الله: ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴾[٤] فمع إيمانك بهذه الصفة وتعبدك بها ضمنت النجاة من العذاب، فإن الإيمان والشكر أمان للإنسان من عذاب الدنيا والآخرة فهذا فيه غاية الاطمئنان والثقة بوعد الرب ذي الجود والفضل وهذا من حسن الظن به ـ سبحانه ـ خصوصا وأنه

---

(١) تفسير العثيمين (2/ 185ـ 186)

(٢) سورة التغابن آية (17).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (48)

(٤) سورة النساء آية (147).

قد أخبر في الآية عن كمال غناه، وسعة حلمه ورحمته وإحسانه، وأنه ـ جل وعلا ـ لا يعذب مؤمنا ولا شاكرا(١)

سادسا: تحقيق عبودية الدعاء

ومن أنواع العبادة التي تعد أثرا عظيما من آثار الإيمان بصفة الشكر عبادة الدعاء وما تتضمنه من الذل والافتقار والانكسار بين يدي الرب الشكور ـ جل جلاله ـ؛ فإن إيمان المؤمن وعلمه بهذه الصفة وما يشتق منها من الأسماء الحسنى ـ وهما الاسمان الكريمان الشكور والشاكر ـ لابد أن يقوده كل ذلك إلى أن يتضرع إلى الله ـ عز وجل ـ سائلا ومتوسلا إلى الله بها.

وكيف لا يثمر إيمانه بصفة الشكر هذه العبادة والله سبحانه قد رغب عباده في أن يأخذوا نصيبهم من التعبد بالأسماء والصفات كما جاء في كتاب الله وكما جاء في سنة رسول الله ﷺ ـ من الأدعية والأذكار، وقد سبق في مسائل من هذه الرسالة تحدثت فيها عن عبادة الدعاء بوجه أشمل كما في مطلب: دعاء الله باسميه الشكور والشاكر، ومطلب التوسل إلى بصفة الشكر مما يغني عن الإطالة في هذه الموطن والله أعلم

سابعا: تحقيق عبودية الشكر

من آثار الإيمان بالصفات أن نتعبد إلى الله بصفاته،وهذا مما يحبه الله من عباده فهو شكور يحب الشاكرين؛ فمن قام بعبادة الشكر وكان شاكرا لله وشاكرا لعباده فقد حقق ثمرة الإيمان بهذه الصفة، وقادته هذه الصفة إلى ربه بزمامه وأدخلته عليه، وقربته منه، وصيرته محبوبا له؛ فالشكور مثلا (... قد وافق ربّه ـ سبحانه ـ

---

(١) انظر: تفسير السعدي (2/ 206)، وأيسر التفاسير (1/ 474)

في صفة من صفاته، ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه ، وأدخلَتْه على ربّه، وأدْنَتْه منه، وقرّبتْه من رحمته، وصيّرتْه محبوبًا له؛ فإنه ـ سبحانه ـ رحيم يحبّ الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحبّ العلماء، قوي يحبّ المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حييّ يحبّ أهل الحياء ، جميل يحبّ الجمال، وِتْر يحبّ الوتر)[1] ونكتفي بهذه الإشارة في هذا الأثر من آثار الإيمان بصفة الشكر لأني قد خصصت لهذه العبادة بابا كاملا وهو الباب الثالث من هذه الرسالة[2] أسأل الله التيسير في إتمامه وإكماله والله من وراء القصد.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (117.116).

(٢) وسبب إفراد عبادة الشكر بباب مستقل هو أني عند وضع الخطة أردت أن أدرس صفة الشكر كصفة من صفات الله وما يتبعها من مسائل ثم اتبع ذلك صفة الشكر حينما يتصف بها العبد وما يتعلق بها من مسائل فانشطرت الدراسة إلى شطرين كما هي عليه الآن أثناء الكتابة

الباب الثاني

الرد على المخالفين في صفة الشكر.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في اسمي الله تعالى (الشكور والشاكر).

الفصل الثاني: الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الشكر.

الفصل الأول

الرد على المـخالفين لأهـل السنـة والجماعة في اسمي الله تعـالى (الشكور والشاكر).

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ذكر مذهب من يعطل اسمي الله تعالى (الشكور والشاكر) والرد عليه.

المبحث الثاني: ذكر مذهب من يؤول الاسمين (الشكور والشاكر) والرد عليه.

المبحث الثالث: ذكر مذهب من يشبه الله بخلقه في الاسمين (الشكور والشاكر) والرد على عليه.

المبحث الأول:ذكر مذهب من يعطل اسمي الله تعالى (الشكور والشاكر) والرد عليه.

تعطيل أسماء الله ـ عز وجل ـ ونفي حقائقها، وما دلت عليه من المعاني التي تفهم من ألفاظها يعد من أعظم أنواع الإلحاد الذي حذر الله عباده منه في قوله تعالى﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١] ومع هذا التحذير الشديد، والوعيد من رب العالمين إلا أنه قد وقعت طوائف من هذه الأمة في هذا المحذور وانحرفت عن منهج الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ ومنهج أتباعهم من سلف الأمة الصادقين ، ومن ذلك تعطيل اسمي الله ـ تعالى ـ (الشكور والشاكر)، فقد نالهما ما نال بقية أسماء الله ـ عز وجل ـ من التعطيل والنفي بل إن مذاهب المعطلة في الاسمين (الشكور والشاكر) لا تخرج عن مذاهبهم في تعطيل سائر أسماء الله الحسنى؛ فهم ليسوا على درجة واحدة في التعطيل بل هم درجات، وإن شئت فقل: دركات بعضها شر من بعض وفيما يلي عرض لهذه المذاهب وبيان القائلين بها:

المذهب الأول: مذهب غالية المعطلة من الفلاسفة، وملاحدة القرامطة، والجهمية؛ فهؤلاء من النفاة ذهبوا إلى أن الله ـ سبحانه ـ لا يسمى بشيء من الأسماء الحسنى، لا بشكور ولا بشاكر ولا بغيرهما من الأسماء[٢].

---

(١) سورة الأعراف آية (180).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(6/ 24)، والصفدية(1/ 88ـ 89)، تقريب التدمرية لابن عثيمين ضمن مجموع الفتاوى (4/ 133).

وهؤلاء النفاة اتفقت كلمتهم في تعطيل أسماء الله مطلقا لكن اختلفت مسالكهم **في هذا التعطيل إلى أربعة مسالك وهي:**

المسلك الأول: وهو الاقتصار على نفي الأسماء الثبوتية؛ فقالوا: لا يسمى بشيء مثبت؛ فلا يسمونه بشيء من الأسماء الحسنى التي سمى بها نفسه، وسمته بها رسله؛ حتى لا يقولون: هو شيء، ولا موجود.

وأصل شبهتهم: أنهم قالوا: إن إطلاق مثل هذا على الله يستلزم تشبهه بغيره من الأشياء الموجودة.

وهذا مسلك الجهم بن صفوان وأتباعه، وبعض الفلاسفة المكذبة النفاة[1]

المسلك الثاني: مسلك من يقول: إنه لا يسمى بإثبات ولا نفي؛ فلا يقال: حي ولا لاحي، ولا عالم ولا لا عالم، وهذا المسلك ينسب إلى غلاة المعطلة من القرامطة الباطنية، والمتفلسفة، وهم المتجاهلة الواقفة[2].

وشبهتهم كشبهة مَنْ سبقهم فقد قالوا ذلك خوفا من التشبيه، لكنهم زادوا وغلوا على أولئك وقالوا: لا يوصف بالنفي ولا بالإثبات، لزعمهم أن في كل منهما تشبيها؛ فلو وُصِفَ بالإثبات فإن في ذلك تشبيها له بالموجودات، ولو وصف بالنفي فإن في ذلك تشبيها بالمعدومات[3].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 35)، والصفدية(1/ 88ـ 89)، ودرء تعارض العقل والنقل(3/ 366ـ 367)، و جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في باب أسماء الله الحسنى(790ـ 795).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى(6/ 35)، وشرح الأصبهانية(106)، ومقالة التعطيل للتميمي(27) .

(٣) انظر: تقريب التدمرية (183).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في بيان مذهب هؤلاء ومن سبقهم وشبهتهم التي حملتهم على هذا القول:((... وزاد الجهم في ذلك هو والغلاة – من القرامطة والفلاسفة – نحو ذلك فقالوا: وليس له اسم كالشيء والحي والعليم ونحو ذلك؛ لأنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون متصفا بمعنى الاسم كالحياة والعلم؛ فإن صدق المشتق مستلزم لصدق المشتق منه؛ وذلك يقتضي قيام الصفات به وذلك محال؛ ولأنه إذا سُمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره. والله منزه عن مشابهة الغير.

وزاد آخرون في الغلو فقالوا: لا يسمى بإثبات ولا نفي ولا يقال: موجود ولا لا موجود ولا حي ولا لا حي؛ لأن في الإثبات تشبيها له بالموجودات، وفي النفي تشبها له بالمعدومات وكل ذلك تشبيه))[1].

المسلك الثالث: مسلك من يسكت عن الأمرين: الإثبات والنفي؛ فيقولون: نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت؛ فلا ننفي النقيضين بل نسكت عن هذا وهذا؛ فنمتنع عن كل من المتناقضين لا نحكم بهذا ولا بهذا.

وهذا القول يحكى عن الحلاج[2]، ويسمون بالمتجاهلة اللا أدرية.

---

(١) مجموع الفتاوى (6/ 24).

(٢) هو الحسين بن منصور بن مَحْمِي الحلاج، كنيته أبو مغيث، وقيل: أبو عبدالله، فارسي الأصل،ونشأ بواسط والعراق، وكان جده محمي مجوسيا، زنديقا مارقا منسوب إلى الزندقة والشعوذة، تبرأ منه سائر الصوفية، والمشائخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه، ادعى حلول الخالق في جسده ـ تعالى الله عن ذلك ـ فقتل على ذلك مصلوبا ببغداد بباب الطاق سنة: (309 هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي (236)، وسير أعلام النبلاء(14/ 313)، ووفيات الأعيان(2/ 140)، والأعلام (2/ 260).

وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط، والكفر البسيط الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته، وحبه وذكره، وعبادته ودعائه(١).

المسلك الرابع: مسلك أصحاب وحدة الوجود، وهو شر الأقوال، وأكثرها غلوا(٢)، فإنهم يعطون أسماء الله ـ سبحانه وتعالى ـ لكل شيء في الوجود؛ وذلك لدعواهم أن وجود الله ـ عز وجل ـ هو وجود مطلق لا بشرط، ومرادهم من الشرط هو التقيد باسم أو صفة تجعله متميزا عن غيره، و إنما حقيقة وجوده هو وجود الأشياء كلها، ووجودها عين وجوده، ما ثمة فرق إلا بالإطلاق والتقييد؛ فيقال: هذا خالق وهذا مخلوق، وهذه سماء وهذه أرض، وحقيقة وجود الكل واحدة؛ فأسماؤه ـ سبحانه وتعالى ـ تعطى لكل شيء؛ لأن وجوده هو عين وجودها(٣)

المذهب الثاني: مذهب من لا يسمي الله إلا بالقادر فقط، وهذا منسوب إلى الجهم بن صفوان.

وقال هذا لكونه رأس الجهمية الجبرية فالعبد عنده ليس له قدرة بل هو مجبور على فعله.

يقول شيخ الإسلام في بيان مذهبه وشبهته:((وكذلك جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئا ولا حيا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز. قال: لأنه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيها وكان جهم " مجبرا " يقول: إن

---

(١) انظر: الصفدية (1/ 96ـ 98)، وشرح الأصبهانية(84).
(٢) انظر: الصفدية(1/ 99).
(٣) انظر: الصفدية (1/ 116ـ 117)، والفتاوى (2/ 26) ومقالة التعطيل (29)، وجهود شيخ الإسلام ابن تيمية في باب أسماء الله الحسنى (796).

العبد لا يفعل شيئا فلهذا نقل عنه أنه سمى الله قادراً؛ لأن العبد عنده ليس بقادر))[1].

وقال في موضع آخر:((وذهب من ذهب من القرامطة الباطنية وغلاة الجهمية إلى أن هذه الأسماء حقيقة في العبد مجاز في الرب. قالوا: هذا في اسم الحي ونحوه، حتى في اسم الشيء كان الجهم وأتباعه لا يسمونه شيئا ، وقيل عنه إنه لم يسمه إلا بالقادر الفاعل لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل، فلا يسميه باسم يسمى به العبد))[2]

المذهب الثالث: وهو مذهب من يثبت الأسماء مجردة عن الصفات، وهذا مذهب المعتزلة[3] ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري؛ فقد ثبت عنه أن يزعم أن أسماء الله الحسنى لا تدل على معاني؛ فلا يدل عليم على علم، ولا قدير على قدرة، بل هي أعلام محضة، وهذا عنده في جميع أسماء الله والشكور والشاكر من ضمنها[4]

وجميع المعتزلة متفقون على إثبات الاسم ونفي الصفة في جميع أسماء الله ـ تعالى ـ وهذا مما تلقفوه من الجهمية؛ فحقيقة قولهم: بأنه ليس لله علم، ولا قدرة، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (12/ 168).
(٢) منهاج السنة النبوية (2/ 193).
(٣)انظر:مقالات الاسلاميين للأشعري(1/ 244ـ)، والملل والنحل للشهرستاني(1/ 44).
(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (283/2)، ومنهاج السنة لابن تيمية(2/ 193)، وشرح الأصبهانية(514ـ 515)، وتشنيف الأسماع لابن عيسى (122).

حياة ولا سمع، ولا بصر، ولا صفة أزلية، وزادوا على هذا بقولهم: إن الله ـ تعالى ـ لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة (١)

وعند تأمل مذهب المعتزلة في إثبات أسماء الله ونفي الصفات يتبين أن لهم رأيين في موقفهم منها:

الأول: جمهورهم يرون أن الله عالم، قادر، حي بذاته لا بعلم ولا قدرة ولا حياة، وهكذا في باقي الصفات.

الثاني: يرى أبو الهذيل العلَّاف (٢) من المعتزلة أن الصفات عين الذات حيث يقول:((إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته))(٣)

ويقول:((هو عالم بعلم هو هو، وقادر بقدرة هي هو، وحي بحياة هي هو... و هكذا في سائر الصفات))(٤)

والفرق بين الرأيين: أن الأول ينفي الصفات كلها، والثاني يثبت الصفة على أنها بعينها ذات، ويثبت الذات على أنها بعينها صفة، وهو نفي للصفة في الحقيقة؛ بل ونفي للذات أيضا(٥).

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي(90)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة للمعتق(83).

(٢) أبو الهذيل العلاف: هو محمد بن الهذيل البصري العلاف، رأس المعتزلة البصريين، ومن كبار نظارهم، ومرسي قواعد الاعتزال الكلامية، عرف بفرط ذكائه وكثرة تصانيفه، ومما ذكروا عنه أنه لم يكن بالتقي، قال عنه الذهبي: وطال عمر أبي الهذيل، وجاوز التسعين، وانقلع في سنة: (227هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء(10/ 542).

(٣) الملل والنحل (1/ 49ـ 50)

(٤) مقالات الإسلاميين (1/ 245).

(٥) انظر: الملل والنحل(1/ 50).

ومهما يكن من أمر فالاتفاق بينهم على نفي الصفات، واختلافهم في طريقة النفي[1] وهم بذلك وافقوا الجهمية في تعطيل الصفات دون الأسماء، وفي حقيقة الأمر فإن المذهبين في المعنى سواء؛ فطريقة المعتزلة في إثبات الأسماء مجردة عن المعاني هو تعطيل لها في حقيقة الأمر،كما أن الشبهات التي نفى من أجلها المعتزلة الصفات هي التي تمسك بها الجهمية ومن قبلهم الفلاسفة كالخوف من التشبيه ونحوذلك.

المذهب الرابع: وهو إثبات الأسماء الحسنى مع إثبات معاني بعضها ونفي معاني البعض الآخر.

وهو مذهب الأشاعرة، والماتريدية ومَنْ وافقهم؛ وقولهم في هذه المسألة مبني على قولهم في الصفات، ومذهبهم في الصفات مليء بالمتناقضات والاختلافات الشديدة، وسنقف عليه في الفصل الثاني من هذا الباب، والذي يعنينا هنا بيان مذهبهم في الاسمين الكريمين (الشكور والشاكر) هل هما من الأسماء التي يثبتون معناها؟ أم هما من النوع الآخر الذي لا يثبتون معناه، وذلك أن الاسم عندهم إن دلَّ على ما أثبتوه من الصفات ـ وهي الصفات السبع التي يسمونها بصفات المعاني وهي:(العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والإرادة والكلام والخلاف قائم بينهم في صفة البقاء) ـ أثبتوا ما دل عليه من المعنى، وإن كان الاسم دالا على خلاف ما أثبتوه صرفوه عن حقيقته، وحرفوا معناه.

ولإيضاح الأمر أكثر يجب أن نعلم أن ما استقر عليه مذهب الأشاعرة، ومَنْ كان على طريقتهم هو اتفاقهم على نفي الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة (92)، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم (2/ 364).

وبناءً على ذلك فإذا ورد الاسم وهو من هذا القبيل ويتضمن صفة من الصفات الاختيارية؛ فإنهم يثبتون لفظه وينفون معناه ويصرفونه عن حقيقته، والاسمان الشكور والشاكر من هذا النوع الذي لا يثبتون معناه لدلالتهما على صفة الشكر وهي كما سبق بيانه من الصفات الاختيارية الثابتة لله تعالى(١).

الرد على كل طوائف المعطلة في الاسمين الشكور والشاكر(٢):

يكفي في بيان فساد مذاهب المعطلة السابقة أن يتصورها المرء التصور التام لما فيها من المخالفات العظيمة، والانحرافات الشنيعة لكونها لم تُبْنَ على برهان مبين، ولا هدى مستقيم، و إنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافتُ كالزجاج تخالها حقاً وكلٌّ كاسرٌ مكسورٌ(٣)

والسلف الصالح ـ عليهم رحمة الله ـ لم يكونوا ليشتغلوا بهذه الأقوال لولا ظهور أهلها، ونشر ضلالتهم بين الناس، ولكن لما ظهروا، وأظهروا باطلهم علم السلف أنه يجب عليهم بيان الحق أولا ثم رد من حاد عن الطريق، ورد كيده عن نصوص الشريعة وعن أهلها (٤).

---

(١) انظر: الملل والنحل (1/ 94ـ 95)، والفتاوى لابن تيمية (6/ 215)، وتقريب التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لابن عثيمين(4/ 122)

(٢) الرد على الطوائف المخالفة سيكون بإذن الله من جهتين: من جهة الإجمال وهو هذا ما سأذكره في هذا الفصل، ورد من جهة التفصيل وهو ما سيكون في الفصل الثاني من هذا الباب عند ذكر أقوالهم في صفة الشكر وذكر شبههم بالتفصيل والرد عليها.

(٣) انظر: الفتوى الحموية (533)

(٤) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (42).

يقول الإمام أبو سعيد الدارمي [١] في رده على المريسي المعطل [٢]: ((فحين تأولتم فيه خلاف ما أراد الله ـ أي في القرآن ـ وعطلتم صفات الله وجب على كل مسلم عنده بيان أن ينقض عليكم دعواكم فيه))[٣]

لذا فإن مما يُنْقَضُ به تعطيلَ النفاة لاسمي الجلالة (الشكور والشاكر) ما يلي:

أولا/ أن التعطيل في أسماء الله من المحرمات التي لا يجوز الإقدام عليها.

من نفى الاسمين الكريمين (الشكور والشاكر) مثلا، أو نفى ما يدلان عليه من المعاني؛ فإنه بذلك تأول في توحيد الله غير الصواب، ولا يجوز لأحد كائنا من كان أن يتأول في توحيد الباري غير ما أراد، أو غير ما أراد رسوله ﷺ ـ[٤]

ولأجل حرمة التعطيل وشناعته فإن علماء أهل السنة تصدوا للمعطلة في كل مرة يظهرون فيها مبينين حكمهم وقبح مقالتهم، وأصلها وأصل من قالها:

---

(١) هو:عثمان بن سعيد بن خالدبن سعيد الدارمي، السجستياني، أبو سعيد،كان قذى في عيون المبتدعة، حسن المناظرة، حاضر الحجة، توفي سنة (280). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (13/ 319)

(٢) هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي، مولاهم البغدادي المريسي، أبو عبدالرحمن، المتكلم المبتدع. قال عنه الذهبي: (نظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن، دعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم؛ فمقته أهل العلم، وكفره عدة منهم، ولم يدرك جهما بل تلقف مقالته من أتباعه) وسماه الذهبي: بشر الشر، ومن كتبه: كتاب الإرجاء، والرد على الخوارج، والاستطاعة. هلك سنة (218) . انظر: سير أعلام النبلاء(10/ 199).

(٣) نقض الإمام أبي سعيد على المريسي (203)

(٤) المصدر نفسه(45).

يقول ابن المبارك رحمه الله -:((لأن أحكي كلام اليهود والنصارى أحب إلي من أن أحكي كلام الجهمية))[٢].

ويقول أبو سعيد في نقضه على المريسي:((والمريسي وجهم وأصحابه لم يشك أحد منهم - أي علماء عصره - في إكفارهم))[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - في تحقيق الحكم على طوائف المعطلة: ((والتحقيق: أن التجهم المحض وهو: نفي الأسماء والصفات؛ كما يحكى عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم؛ من نفي الأسماء الحسنى كفر بين مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول.

وأما مَنْ نفى الصفات مع إثبات الأسماء كقول المعتزلة؛ فهو دون هذا، لكنه عظيم أيضا.

وأما مَنْ أثبت الصفات المعلومة بالعقل والسمع، وإنما نازع في قيام الأمور الاختيارية به؛ كابن كلاب، ومن اتبعه؛ فهؤلاء ليسوا جهمية بل وافقوا جهماً في بعض أقواله، وإن كانوا خالفوه في بعضه، وهؤلاء من أقرب الطوائف إلى السلف وأهل السنة والحديث))[٤].

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبدالرحمن الحنظلي، مولاهم، التركي، الإمام الحافظ، جمع بين العلم والجهاد والتجارة، وكان ينفق بسخاء، له تصانيف عدة توفي سنة 181هـ انظر: السير (8/ 336).

(٢) أخرجه الدارمي أبو سعيد في نقضه على المريسي (42).

(٣) المصدر نفسه (43- 44).

(٤) النبوات لابن تيمية(198).

فإذا تبت هذا فإن أمرا بهذه الخطورة، وبهذا الشر والبلاء، فإنه لا يحل لمؤمن، بل لعاقل يدري ما يقول أن يأخذ بمقالة هؤلاء المعطلة، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[1].

ثانيا/ أن يقال: إنه قد دلت النصوص على أن من أسماء الله الحسنى الشكور والشاكر.

كقوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[3] فهذه الأدلة صريحة في إثبات الاسمين الشكور والشاكر لله تعالى؛ فلا يصح بعد ذلك أن تعارض بشبهات المعطلة العليلة، بل إن معارضتها بهذه الطريقة إنما هو من سبيل أهل الزيغ والفتنة[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :((ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبته الله ـ تعالى ـ من الأسماء الحسنى، والصفات؛ بل هذا جحد للخالق، و تمثيل له بالمعدومات))[5].

ثالثا/ أن القول بأن الشكور والشاكر اسمان جامدان خاليان من المعاني كما هو مذهب المعتزلة وابن حزم فيه تكذيب لكونهما اسمين حسنين، وهذا مخالف لما

---

(١) انظر: الحموية لابن تيمية (253ـ 254).
(٢) سورة البقرة آية، (158).
(٣) سورة فاطر آية (30).
(٤) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للسلمي(286).
(٥) مجموع الفتاوى(5/ 124).

دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (١)

وهذه الآية تدل على أن أسماء الله ـ تعالى ـ تتضمن صفاته، وأنها ليست أسماء أعلام محضة كما يقول المعتزلة ومن وافقهم من متكلمة الظاهرية (٢) .

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في نونيته:

أسماؤُه أوصافُ مَدْحٍ كُلُّها مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعان

إيـاكَ والإلحـــادَ فيهـا أنــه كفرٌ معاذَ اللهِ من كفران (٣)

رابعا/ أن تعطيل الاسمين من أعظم أنواع الإلحاد المنهي عنه.

وما ذاك إلا لأن الله ـ عز وجل ـ أمر بالإيمان بهما، وبما دلَّا عليه؛ فإنكار شيء من ذلك ميل بهما عما يجب فيهما، وهذا هو الإلحاد الذي حذر الله منه وتوعد من فعله بأشد أنواع الوعيد.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (٤)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله ـ في معنى الآية :((...إنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه، ووعيد منه لهم... وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد

(١) سورة الأعراف آية (180)
(٢) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية(1/ 445)، وشرح الأصبهانية له أيضا(514)
(٣) نونية ابن القيم (216)،و شرح القصيدة النونية لهراس(2/ 125).
(٤) سورة الأعراف آية (180)

والتهديد، ومعناه: أن مَهِّل الذين يلحدون ـ يا محمد ـ في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه؛ فسوف يجزون إذا جاءهم أجل الله الذي أجلهم إليه جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك؛ من الكفر بالله والإلحاد في أسمائه، وتكذيب رسوله))[١]

وهذا مما يؤكد أن تعطيل أسماء الله ـ تعالى ـ، أو تعطيل معانيها، والميل بها عما يجب فيها من أعظم أنواع الإلحاد في دين الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ [٢]

يقول ابن القيم عند ذكره لأنواع الإلحاد في أسماء الله ـ تعالى ـ:((ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات، ولا معاني؛ فيطلقون عليه اسم السميع والبصير، والحي والرحيم...، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع له، ولا بصر،... وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه، وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله، وجحدوها وعطلوها؛ فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد؛ فمنهم الغالي، والمتوسط، والمنكوب، وكل من جحد شيئا عما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ ـ فقد ألحد فليستقل أو ليستكثر))[٣].

ومن هنا يجب أن يدرك من يرجو النجاة لنفسه أن (داء التعطيل، وداء الإشراك، وداء مخالفة الرسول، وجحد ما جاء به، أو شيء منه: هو أصل كل بلاء في العالم، ومنبع كل شر، وأساس كل باطل؛ فليست فرقة من فرق أهل

---

(١) تفسير الطبري (6/ 133)

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (2/ 70)، ومختصر الصواعق لابن القيم (1111/3).

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم(1/ 186)، ومختصر الصواعق (3/ 862).

الإلحاد، والباطل، والبدع إلا وقولها مشتق من هذه الأصول الثلاثة، أو من بعضها:

فإن تَنْجُ منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أظنك ناجيا) [١]

خامسا/ أن التعطيل يلزم منه لوازم فاسدة دالة على بطلانه فمنها:

1ـ أن التعطيل يستلزم نفي الخالق جل وعلا.

فالذين قالوا بالتعطيل المحض، ونفوا أسماء الله، وصفاته؛ كالفلاسفة، والجهمية أتباع الجهم بن صفوان هم في الحقيقة جاحدون لوجود الخالق ـ عز وجل ـ؛ فإنه لا يعقل وجود ذات في الخارج بلا اسم، ولا صفة؛ وإنما يقدر وجودها في الأذهان[٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((... فهؤلاء الذين يقولون: إن واجب الوجود مطلق أو مقيد بالأمور السلبية؛ كابن سينا، وأهل وحدة الوجود، وغيرهم هم في الحقيقة لا يثبتون له حقيقة، ولا صفة، ولا قدرا! والموجود لا بد له من حقيقة تخصه مستلزمة لصفته، وقدره؛ فهم من أعظم الناس تعطيلا للخالق، وجحودا له، وإن كانوا يعتقدون أنهم يقرون به))[٣].

وقال في موضع آخر عن الجهمية، والمعتزلة نفاة الصفات:((... إنما توحيدهم تعطيل مستلزم لنفي الخالق، وإن كانوا قد أثبتوه؛ فهم متناقضون جمعوا بين ما

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم(2/ 256).
(٢) انظر: شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس(2/ 130).
(٣) كتاب الصفدية لابن تيمية(1/ 115ـ 116).

يستلزم نفيه، وما يستلزم إثباته؛ ولهذا وصفهم أئمة الإسلام بالتعطيل، وأنهم دلاَّسون، ولا يثبتون شيئا، ولا يعبدون شيئا...))[1].

2ـ أن تعطيل أسماء الله يستلزم نقصا يناقض كمال الله وعظمته.

جميع طوائف المعطلة يزعمون أنهم مُنَزِّهُون لله حين أقدموا على نفي أسمائه وصفاته؛ بل ويسمون صنيعهم هذا توحيدا، ويصفون مَنْ أثبت الأسماء والصفات بالمشبهة وغير ذلك من الألقاب الشنيعة والمنفِّرة، وما علموا حقيقة ما هم عليه وأنه يستلزم نفي كمال الله، وتَنْقُّص جلاله، وأن ما سموه توحيدا يناقض توحيد الله ووصفه بالكمال والجلال والعظمة.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((و لا يجوز تعطيل شيء من صفاته، وأسمائه عن مقتضياتها وآثارها؛ فإن ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله، وكبرياءه، وعظمته))[2]

3ـ أن التعطيل يفضي بصاحبه إلى الوقوع في الشرك.

فإن مما قرره العلماء أن التعطيل والشرك قرينان متلازمان؛ لا ينفك أحدهما عن الآخر، وأنه كلما كان الرجل أعظم تعطيلا؛ كان أعظم شركا؛ ولا تجد معطلا نافيا إلا وفيه من الشرك بقدر ما فيه من التعطيل[3].

والواقع خير شاهد على ما ذكره علماء أهل السنة؛ فإن الوقوع في الشرك الأكبر، وانتشار صوره ووسائله ، والوقوع في بدع العقائد، والعبادات كثير جدا

---

(١) منهاج السنة النبوية(1/ 434).

(٢) شفاء العليل (658/2)

(٣) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (2/ 403 ، 3/ 1111)

بين أتباع أصحاب هذه المناهج الكلامية كالأشاعرة، وأتباعهم ممن اتخذوا التعطيل دينا وتوحيدا يتقربون به إلى الله؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ عليه رحمة الله ـ:((ولهذا كان من أتباع هؤلاء مَنْ يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله ـ تعالى ـ ويصوم لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا....))[٢]

4ـ أن التعطيل يفضي إلى الاختلاف والاضطراب واستطالة بعضهم على بعض.

وأي اختلاف واضطراب أعظم مما وقع فيه المعطلة، فمذاهبهم في أسماء الله تظهر هذه الحقيقة إذ منهم من ينفي الأسماء والصفات، ومنهم من يثبت الأسماء وينفي الصفات، ومنهم من يثبت الأسماء ويثبت بعض الصفات وينفي البعض الآخر ، وأشد من هؤلاء: غالية المعطلة من الفلاسفة وملاحدة القرامطة والجهمية الذين لا يسمون الله بشيء من الأسماء الحسنى؛ سالكين في نفيهم هذا مسالك مظلمة، وطرقا وعرة ساروا عليها من غير هدى، ولا سلطان مبين.

ثم هم بعد ذلك كل حزب بما لديهم فرحون، ويزعم أن الحق معه، وأن التوحيد الحق توحيده، وأن غيره في ضلال مبين حتى لو كانت شبهتهم التي أوقعتهم في التعطيل واحدة.

---

(١) انظر: بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر العقل(67)،

(٢) درء تعارض العق والنقل (1/ 233).

ومن اضطرابهم أن الواحد منهم قد يقرر قولاً في مسألة من المسائل ثم بعد برهة من الزمن يقول بنقيضها، وينصر ما يخالفها، وهكذا حتى أوصلهم هذا الحال إلى الحيرة والشك في أهم مسائل الاعتقاد في باب الأسماء والصفات، وهم الذين يزعمون أنهم أئمة العقلاء، وأذكياء العالم، ولا شك أن ما وقعوا فيه من الحيرة والشك إنما هو عقوبة إلهية جزاء تركهم للكتاب والسنة، واعتمادهم على علم الكلام والفلسفة.

ويبين الرازي[1] هذه الحقيقة والتي يتجاهلها كثيرٌ من المنتسبين لهذه المناهج اليوم إذ يقول متحسرا متألما وهو يخبر عن رجوعه عن الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية إلى طريقة القرآن والسنة:

((نهايةُ إقدامِ العقولِ عقالُ وأكثرُ سعي العالمين ضلالُ

وأرواحنا في وَحْشَةٍ من جُسُومِنا وغايةُ دنيانا أذىً ووبالُ

ولم نستفدْ من بحثنا طولَ عمرنا سوى أنْ جمعنا فيه قيل وقالوا.

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عَلِيلا، ولا تروي غَلِيلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى

---

(١) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن علي، أبو عبدالله ، المشهور بفخر الدين الرازي، درس الفلسفة والفقه وعلم الكلام، وكان كثير الترحال، قال عنه الذهبي: العلامة الكبير ذو الفنون... كبير الأذكياء والحكماء المصنفين. وقال أيضا عنه: وقد بدت في تواليفه بلايا وعظائم، وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر، وهو شافعي المذهب من أعلام الأشاعرة، وقيل: أنه رجع إلى مذهب السلف آخر حياته، وتوفي ست وستمائة، له مصنفات كثيرة منها: التفسير الكبير، وتأسيس التقديس، والأربعين في أصول الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. انظر: سير أعلام النبلاء(17/ 214).

﴿ ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[١]،﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[٢] ، وأقرأ في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٣]،﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[٤]،ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي))[٥].

ومن جانب آخر يؤكد عظم ما هم فيه من اختلاف أن المعطلة الغلاة قد استطالوا على من دونهم ومثال ذلك المعتزلة حين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات فرارا من التشبيه استطال عليهم الغلاة من الجهمية الباطنية والفلاسفة، وألزموهم بطرد دليهم في نفي الأسماء، (وقالوا لهم: إن التشبيه يلزم في الأسماء كما يلزم في الصفات)[٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله -:((وهؤلاء نفاة الأسماء من هؤلاء الغالية من الجهمية الباطنية والفلاسفة وإنما استطالوا على المعتزلة بنفي الصفات، وأخذوا لفظ (التشبيه) بالاشتراك والإجمال ... فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل، ألزمهم أولئك بطرد قولهم، فألزموهم نفي الأسماء الحسنى...))[٧].

ومما لا يخفى على كل ذي لب أن كل ما قالوه هو من أبطل الباطل (فإن إثبات الأسماء حق، وهو يستلزم إثبات الصفات؛ فإن إثبات حي بلا حياة، وعالم بلا علم، وقادر بلا قدرة؛ كإثبات متحرك بلا حركة، ومتكلم بلا كلام،

---

(١) سورة طه، آية (5).
(٢) سورة فاطر، آية (10).
(٣) الشورى، آية (11).
(٤) سورة طه، (110).
(٥) كتاب النبوات لابن تيمية (122).
(٦) انظر: درء التعارض(3/ 619)، والصفدية (1/ 103).
(٧) الصفدية لابن تيمية (1/ 103).

ومريد بلا إرادة، ومصل بلا صلاة، ونحو ذلك مما فيه إثبات اسم الفاعل، ونفي مسمى المصدر اللازم لاسم الفاعل، ومن أثبت الملزوم دون اللازم كان قوله باطلا[(١)].

سادسا/ أن يقال لهؤلاء الذين نفوا عن الله أسماءه الحسنى: أنتم نفيتم هذه الأسماء فرارا من التشبيه؛ فإن اقتصرتم على نفي الإثبات شبهتموه بالمعدوم، وإن نفيتم الإثبات والنفي جميعا؛ فقلتم ليس بموجود، ولا معدوم شبهتموه بالممتنع؛ فأنتم فررتم من تشبيهه بالحي الكامل؛ فشبهتموه بالحي الناقص، ثم شبهتموه بالمعدوم ثم شبهتموه بالممتنع فكنتم شرا من المستجير من الرمضاء بالنار.

وهذا لازم لكل من نفى شيئا مما وصف الله به نفسه لا يفر من محذور إلا وقع فيما هو مثله أو شر منه، مع تكذيبه بخبر الله وسلبه صفات الكمال الثابتة لله تعالى [(٢)].

إلى غير ذلك من ردود أهل العلم على كل من عطل المولى ﷻ - عن أسمائه وأوصاف كماله، وهي كثيرة معروفة ولعل ما تم نقله وتقييده فيه الكافية والهداية لمن أراد الحق وقصد إتباعه والله أعلم.

---

(١) الصفدية (1/ 103-104)

(٢) المصدر نفسه (1/ 96).

المبحث الثاني: ذكر مذهب من يؤول الاسمين (الشكور والشاكر) والرد عليه.

تأويل نصوص الأسماء والصفات يعد من أكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة، والمخالفين لهم خصوصا أهل الكلام [١] الذين وقعوا في براثين التأويل الفاسد حتى جعلوه أصلا من أصولهم في تعاملهم مع نصوص الكتاب والسنة، وذلك أنهم لما وجدوا أن النصوص تخالف ما ذهبوا إليه في الأسماء والصفات، وعجزوا عن رد ألفاظها سلكوا هذا المسلك فأولوا معانيها الصحيحة إلى معاني باطلة لا تدل عليها ألفاظها،حتى قال سابقهم في الضلال[٢]:

((ما شيءٌ أَنْقَضُ لدعوانا من القرآن غير أنه لا سبيل إلى دفعه إلا مُكَابَرَة بالتأويل))[٣]

بل إن من المتأخرين مَنْ ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حيث ظنوا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر نصوص الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة.

---

(١) أهل الكلام ، أو المتكلمون هم: أولئك الطوائف الذين انتسبوا إلى الكلام المذموم باعتقادهم، والمجادلة عنه.

وهم في الجملة: كل من تكلم في إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا عن الكتاب والسنة، ومن أشهرهم: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، وسلك طريقهم. انظر: فتح البرية لابن عثيمين(76)، و موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة للغصن(1/ 28).

(٢) أي المريسي وقد سبقت ترجمته

(٣) نقض الإمام أبي سعيد على المريسي (145).

يقول الصاوي[1] في تفسيره:((... لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر))[2] ـ نعوذ بالله من الضلالة بعد الهداية ـ فمثل هذا القول لا يصدر عن عاقل يعي ما يقول!! فضلا أن يصدر عن مؤمن يؤمن بالكتاب والسنة ولكن أمثال هذه الأقوال لتؤكد شدة ضلالهم، وأن ما يتفوه به المتأخرون من أهل الكلام من تأويلات هي بعينها تأويلات الجهمية المريسية الأوائل الذين أجمع أئمة الهدى على ذمهم، وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم[3] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله:

((وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس ـ مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فُوَرك[4] في كتاب التأويلات، وذكرها أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء ...ـ هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه ...))[5]

---

(١) هو أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي نسبة إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية بمصر، فقيه مالكي، من كتبه (حاشية على تفسير الجالين)، توفي سنة (1241هـ). انظر: الأعلام للزركلي(1/ 246).

(٢) ذكر ذلك في حاشيته على الجلالين في تفسير سورة الكهف(3/ 9)، وذكر ذلك عنه صاحب أضواء البيان (7/ 437).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (5/ 19)، وأضواء البيان (7/ 438).

(٤) هو: محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر الأنصاري، الأصبهاني، أشعري متكلم،كان شديد الرد على الكرامية، يروى أنه كان يعتقد أن رسالة النبي ـ ﷺ ـ انقطعت بموته، وقيل قتله محمود بن سبكتكين بالسم لذلك سنة 406هـ، له مؤلفات عدة منها: تفسير القرآن، ومشكل الحديث وبيانه. انظر: سير أعلام النبلاء(17/ 214).

(٥) المصدر نفسه (5/ 18) والفتاوى الحموية الكبرى(236ـ 240).

القائلون بالتأويل الفاسد:

القائلون بالتأويل الفاسد على ضربين:

أحدهما: من اتخذه منهجا ثابتا، وقاعدة مطردة يعامل بها النصوص؛ كبشر المريسي، والنفاة مطلقا[١]

الثاني: من اضطرب قوله في ذلك ولم يسر على قاعدة مطردة بل وقع له تأويل في بعض الأسماء والصفات، وأمسك عنه في البعض الآخر، ويُمَثِّلُ هذا المذهب الأشاعرةُ، ومن كان على طريقتهم [٢] وهم الذين ستتم مناقشة قولهم ـ بإذن الله ـ في هذا المبحث لأن الرد عليهم يتضمن الرد على مَنْ هو فوقهم، وأضل منهم من سائر المؤولة النفاة، كما أن أصل شبهة الجميع في هذا الباب واحدة، ولكن قبل ذلك سأذكر أمثلة من تأويلات الأشاعرة للاسمين (الشكور والشاكر)، وأصل شبهة سائر المؤولة ثم بعد ذلك ـ بإذن الله ـ سيكون الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم:

---

(١) وفي موطن آخر فصل ابن تيمية في بيان مراتب المؤولة إلى أكثر من هذا فقد أوصلهم إلى خمسة أصناف:

1ـ من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه: القرامطة والباطنية الذين يتأولون الأخبار والأوامر.

2ـ الصابئة والفلاسفة الذين يتأولون عامة الأخبار عن الله، وعن اليوم الآخر حتى عن أكثر أحوال الأنبياء.

3ـ الجهمية والمعتزلة الذين يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر، وفي آيات القدر، ويتأولون آيات الصفات.

4ـ متأخرو الأشاعرة الذين وافقوا الجهمية والمعتزلة في تأويل بعض ما جاء في الأسماء والصفات وبعضهم يتأول بعض ما جاء في اليوم الآخر.

5ـ وهناك أصناف من بعض الأمة تغلب عليهم السنة فقد يتأولون أيضا مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه. انظر:الإكليل في المتشابه والتأويل (17ـ19)

(٢) انظر:مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات عرض ونقد لأحمد القاضي (121)

من تأويلات الأشاعرة في الاسمين الشكور والشاكر

الأشاعرة كما سبق بيان موقفهم من أسماء الله الحسنى ـ وأنهم يثبتون الأسماء وبعض الصفات، ويؤولون البعض الآخر من الصفات ـ؛ لذا فإن من الملاحظ عليهم عند شرحهم لأسماء الله الحسنى فيما ألَّفوه من مؤلفات سواء ما كان في علم التفسير، أو في علم الحديث كشروح الأحاديث وغريبها، أو ما ألفوه في شرح أسماء الله الحسنى على الخصوص، أو في معاجم اللغة العربية؛ فإنهم يشرحونها بما يوافق معتقدهم؛ فإذا كان الاسم دالا على صفة من الصفات التي لا يثبتونها؛ فإنهم يقابلون هذا الاسم بطاغوت التأويل؛ فيؤولونه لئلا يقولوا بالمعنى الذي يدل عليه ـ وهو الصفة ـ ومثال ذلك موقفهم من الاسمين الشكور والشاكر لكونهما يدلان على صفة من الصفات الاختيارية التي لا تثبتها الأشاعرة فيقفون منها موقف المؤول النافي وفيما يلي بعض ما جاء من تأويلات لهذين الاسمين وصفة الشكر عن أعلام كبار من أعلام الأشاعرة، ومَنْ يأتي بعدهم فهم مما لاشك فيه أنهم تبع لهم في ذلك:

1ـ قول الرازي في تأويل اسم الله (الشكور) حيث قال:

((والشكور في حق الله ـ تعالى ـ مجاز [١] والمعنى أنه ـ تعالى ـ يحسن إلى المطيعين في إيصال الثواب إليهم، وفي أن يزيد عليه أنواعا كثيرة من التفضيل))[٢]

---

(١) المجاز عند القائلين به :هو اللفظ المستعمل في غير ما ضع له. يشترطون وجود علاقة بين الوضع الأصلي وبين الفرع المنقول، يسمونها مناسبة أو ملاحظة انظر: التعريفات للجرجاني (89)، والتمهيد في أصول الفقه للكلوذاني (2/ 249)، وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني (350 ـ 351).

(٢) التفسير الكبير للرازي (27/ 596).

ـ ومثله قوله في تأويل اسم الله (الشاكر) فقد قال في معناه:

((فاعلم أن الشاكر في اللغة: هو المظهر الإنعام عليه، وذلك في حق الله ـ تعالى محال؛ فالشاكر في حقه ـ تعالى ـ مجاز، ومعناه: المجازي على الطاعة))[١]

2ـ قول القاسمي[٢] في تأويل اسم الله (الشكور) قال في بيان معناه:

((والشكر مجاز عن الإثابة والجزاء بالإحسان))[٣]

3ـ ما قاله ابن عاشور [٤] في تفسيره عند بيانه لمعنى اسم الله (الشاكر) فبعد أن فسر هذا الاسم بلازمه ، وأن الله لا يضيع أجر محسن قال:((والأظهر عندي أن شاكر هنا: استعارة تمثيلية [٥] شَبَّهَ شأْنَ الله في جزاء العبد على الطاعة بحال

---

(١) المصدر نفسه (4/ 139).

(٢) هو جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، كان إمام الشام في عصره، وله مؤلفات عدة منها: دلائل التوحيد، ومحاسن التأويل، وموعظة المؤمنين هو اختصار لإحياء علوم الدين للغزالي، توفي بدمشق سنة:(1332هـ)، انظر: الأعلام (2/ 135)، ومعجم المؤلفين (3/ 157)

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (8/ 168).

(٤)هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، ولد عام (1296هـ) في أسرة علمية، وكانت وفاته في 13 رجب من عام(1393هـ)، وله مصنفات من أشهرها: (التحرير والتنوير) في التفسير وهو تفسير بلاغي اعتنى فيه بدقائق البلاغة في كل آية، و(مقاصد الشريعة الإسلامية) انظر: الأعلام(6/ 174).

(٥) الاستعارة التمثيلية: هي أبلغ أنواع المجاز مفردا كان أو مركبا فيقولون في تعريف المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية: هو تركيب استعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي. انظر:جواهر البلاغة للهاشمي(258ـ 261).

الشاكر لِمَنْ أسدى إليه نعمة، وفائدةُ هذا التشبيه تَعْجيلُ الثواب، وتحقيقه؛ لأن حال الـمُحْسَنِ إليه أن يبادر بشكر المحسن))(١)

4ـ قول الزجاج(٢) عند بيانه لمعنى اسم الله (الشاكر)حيث قال:

((فكأن الشكر من الله ـ تعالى ـ هو إثابته الشاكرَ على شكره؛ فجعل ثوابَه للشكر، وقبولَه للطاعة شكرا على طريقة المقابلة...))(٣)

5ـ تأويل ابن فورك لاسم الله (الشكور) فإنه فسَّر هذا الاسم الحسن بلازم الاسم مع نفيه لصفة الشكر حيث قال:((الشكور: أنه يعامل بالإحسان معاملةَ الشاكر))(٤)

6ـ تأويل بدر الدين العيني(٥) عند شرحه قوله عليه الصلاة والسلام « فشكر الله له »(٦) قال:((والشكر هو: الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف... والمراد ههنا مُجَرَّدُ الثناء: أي فأثنى الله ـ تعالى ـ عليه.

أو المراد منه الجزاء؛ إذ الشكر نوع من الجزاء؛ أي فجزاه الله تعالى ـ

---

(١) تحرير التنوير(2/ 64).

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق عالم بالنحو واللغة توفي سنة (311هـ)، في بغداد. انظر: الأعلام للزركلي (1/ 40).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى (48).

(٤) تفسير ابن فورك (2/ 169).

(٥) هو محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العيني، من مؤلفاته: (عمدة القاري شرح البخاري)، و (شرح معاني الآثار للطحاوي) توفي في ذي الحجة سنة (855هـ). انظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان (174)، والأعلام (7/ 163).

(٦) سبق تخريجه في (127).

ومما يدل على تأويله لصفة الشكر هنا: ما أورده من اعتراض على قوله والجواب عنه؛ فقد قال في هذا ـ فإن قلت: إدخال الجنة هو نفس الجزاء!!

فما معنى الثناء؟

قال: قلت: هو من باب عطف الخاص على العام))[1]

وفي موضع آخر ينقض ما قاله من عطف الخاص على العام السابق الذكر وهذا من عادة أهل الكلام التناقض فيما يقولون بسبب ما بُلُوا به من التأويل الفاسد حيث قال في بيان معنى « فشكر الله له »: ((أي أثنى عليه، أو قبل عمله؛ فالفاء فيه للسببية: أي بسبب قبول عمله غفر له، ويجوز أن تكون تفسيرية تفسير قوله (فشكر الله له)؛ لأن غفران الله له هو نفس الشكر، ـ ومما يدل على قوله بتأويل الصفة أنه قال ـ وقال بعضهم: هو من عطف الخاص على العام. قلت: لا يصح هذا هنا؛ لأن شكر الله لهذا الرجل عبارة عن مغفرته إياه كما ذكرنا))[2]

بيان أصل شبهة أهل التأويل:

جميع أهل التأويل يتفقون في تبرير تأويلاتهم المذمومة بحجة واهية شواهدُ بطلانها في ثناياها (فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يَقصد بها الرسولُ أن يعتقد الناسُ الباطلَ، ولكنْ قصد بها معاني ولم يُبينْ تلك المعاني، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم؛ ثم يجتهدوا في صرف تلك

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري(3/ 43).

(٢) نفس المصدر(12/ 207).

النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم، وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غير جهته...)[١]

ومن خلال هذه الشبهة التي حملتهم على تأويل نصوص الأسماء والصفات يظهر للمتأمل جليا سبب وقوعهم في التأويل وهو ما يصرحون به كثيرا في أقوالهم وهو قولهم: إن من النصوص ما يوهم التشبيه، وإنها لما كانت معارضةً بالدلائل العقلية أوجبنا صرفها عن ظواهرها، وممن صرح بذلك الرازي حينما قال: ((إن آيات التشبيه كثيرة لكنها لما كانت معارضة بالدلائل العقلية لا جرم أوجبنا صرفها عن ظواهرها))[٢]

ويقول اللقاني[٣] في جوهرة التوحيد:

((وكل نص أوهم التشبيها أَوِّله أو فوضْ ورم تنزيها)) [٤]

وهذه الشبهة إنما تلقفتها الأشعرية من الجهمية والمعتزلة السابقين لهم في طريق التأويل المظلم يقول شيخ المعتزلة القاضي عبدالجبار [٥]: ((وإذا ورد في القرآن

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (5/ 24).

(٢) المطالب العالية(309ـ 310).

(٣) هو: برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني، المصري بلدا المالكي مذهبا، الأشعري عقيدة، توفي سنة (1041هـ) صاحب منظومة (جوهرة التوحيد) في العقيدة الأشعرية. انظر: معجم المؤلفين(1/ 2)، والأعلام للزركلي(28/1).

(٤) جوهرة التوحيد (56)،و عقيدة الأشاعرة (211)،و(جناية التأويل الفاسد (48)

(٥) هو القاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار بن أحمد بن خليل، قال عنه الذهبي: العلامة، شيخ المععتزلة، أبو الحس الهمداني، ... من كبار فقهاء الشافعية توفي سنة(415هـ).انظر: سير أعلام النبلاء (17/ 244).

آيات تقتضي بظاهرها التشبيهَ وجبَ تأويلُها؛ لأن الألفاظ معرضة للاحتمال، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال))[١]

وهذا القول منهم حينما يسمعه من لا يعرف حقيقة مذهبهم يتوهم أنهم من أعظم الناس تعظيما لله ـ عز وجل ـ ولكن أهل العلم بالكتاب والسنة أعلم بما يؤول إليه قولهم هذا، ومن أولئك العلماء الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فقد قال عن من عاصره من المعتزلة الجهمية:((فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله))[٢]

وهؤلاء الذين نقصد بالرد عليهم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فإنهم يتظاهرون بنصر السنة في مواضع كثيرة، وهم ـ في الحقيقة ـ لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا، بل الفلاسفة الملاحدة ألزموهم بسبب تأويلاتهم بلوازم فاسدة جزاء موافقتهم لهم في هذا التأويل الباطل كما سيظهر في الرد عليهم بإذن الله.

الرد على مذاهب أهل التأويل:

الرد على أصحاب التأويل الفاسد من جانبين:

الجانب الأول: الرد العام في بطلان التأويل المذموم:

الرد على بطلان التأويل، وفساد مذاهب القائلين به على وجه العموم سيكون من خلال ثلاثة وجوه:

---

(١) المحيط بالتكاليف (200).

(٢) الرد على الجهمية (106).

الوجه الأول: أدلة بطلان التأويل المذموم:

أ ـ دليل السمع: **1**ـ من النصوص الدالة على بطلان التأويل المذموم قول الله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (١)

هذه الآية أصل في النهي عن جميع أنواع تحريف النصوص الشرعية، والتأويل المذموم يدخل في ضمنها فيكون منهي عنه؛ إذ عدَّ الله تحريف الكلام عن مواضعه من أعمال اليهود الشنيعة التي بين الله قبحها في كتابه وحذر منها.

يقول ابن كثير رحمه الله ـ في بيان قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ ((أي يتأولونه على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله قصدا منهم وافتراء))(٢)

ومَنْ أَوَّلَ الشكور والشاكر أو غيرهما من الأسماء تأويلا باطلا فقد أولها على غير مراد الله وعلى غير ما كان عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وهذا لا شك في بطلانه، ومن قال به فقد خسر خسرانا مبينا.

2ـ قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١) ومثلها قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة آية (13).

(٢) تفسير ابن كثير(2/ 35،60).

فالآيتان تتضمنان وعيدا شديدا لكل من ألحد في أسماء الله أو ألحد في آياته، والتأويل المذموم من الإلحاد المنهي عنه المتوعد عليه بأعظم العقوبات وهذا يدل على بطلانه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((فهذه التأويلات من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، وهي من الكذب على الله، وعلى رسوله، وكتابه...))(٣)

ب ـ دليل الإجماع.

فكما أن التأويلات الباطلة مناقضة لما جاء في كتاب الله، ولما جاء في سنة رسول الله ﷺ ـ فهي أيضا مخالفة لما أجمع عليه سلف الأمة من وجوب إثبات الأسماء والصفات بمعانيها الحقيقة، وبما دلت عليه، والحذر الشديد من معارضتها بالتأويلات المبتدعة في دين رب العالمين، وهذا الإجماع نقله غير واحد من أهل العلم المعتبرين فمن ذلك:

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:في حديثه عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأنهم لم يختلفوا في مسائل العقيدة والأصول ثم قال((بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم،

---

(١) سورة الأعراف آية (180).

(٢) سورة فصلت آية (40).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (2/ 750).

وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين))[١]

وممن نقل الإجماع على ترك التأويل ابن قدامة ـ رحمه الله ـ فقد قال: ((وأما الإجماع فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة، والإجماع حجة قاطعة؛ فإن الله ـ تعالى ـ لا يجمع أمة محمد ـ عليه السلام ـ على ضلالة))[٢]

ج ـ أن التأويل الذي قال به أهل الكلام باطل لمخالفته لما عليه سلف الأمة :

وذلك أن التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين يطلق ويراد به:

صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح[٣]

والتأويل بهذا المعنى هو الذي كان يقرره الجهمية والمعتزلة السابقون لهؤلاء المتأخرين؛ إذ التأويل بهذا المعنى لم يكن معروفا لدى السلف، وإنما ظهر في القرن الخامس من الهجرة، حيث نشأ في أحضان أهل الكلام وعلى بنيانه أسسوا تحريفاتهم لنصوص الكتاب والسنة[٤]

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 49).

(٢) ذم التأويل (84).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لا بن تيمية (2/ 750)، ومختصر الصواعق لابن القيم (24/1).

(٤) انظر: التأويل في غريب الحديث لعلي السحيباني (154).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((...إن لفظ التأويل في عرف هؤلاء المتنازعين ليس معناه التأويل في التنزيل، بل ولا في عرف المتقدمين من مفسري القرآن؛ فإن أولئك كان لفظ التأويل عندهم بمعنى التفسير... وهم يثبتون الصفات، لا يقولون بتأويل الجهمية النفاة التي هي صرف النصوص عن مقتضاها ومدلولها ومعناها))(١)

وقال في موضع آخر:((والتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف الظاهر)) وقال: ((فتأويل المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل)) (٢)

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص، وما جاءت به السنة هو التأويل الفاسد))(٣)

والتأويل ـ بهذا المعنى عند المتأخرين ـ باطل لا يعتد به لأنه:

أولا/ مخالف لمعنى التأويل عند أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث.

فالمعنى الصحيح للتأويل هو المعنى الموافق لما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة وهو المعنى الذي يريده السلف عند إطلاقهم لكلمة (التأويل) فإن هذه الكلمة إذا أطلقت عند السلف فإنه يراد بها أحد معنيين:

1ـ تفسير اللفظ وبيان معناها

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير، والسلف من أهل الفقه والحديث؛ فمرادهم به معنى التفسير والبيان.

---

(١) درء التعارض (2/ 749).
(٢) مجموع الفتاوى (13/ 295ـ296).
(٣) الصواعق المرسلة (1/ 187).

ومنه قول ابن جرير وغيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا))[1]

2ـ حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وهو المراد بلفظ التأويل في القرآن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((ولفظ التأويل يراد به التفسير كما يوجد في كلام المفسرين ابن جرير وغيره.

ويراد به حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وهو المراد بلفظ التأويل في القرآن.

وهذان الوجهان لا ريب فيهما، والتأويل بمعنى التفسير والبيان كان السلف يعلمونه ويتكلمون فيه)) [2]

هذا هو تفسير السلف للتأويل ولا معنى له عندهم غير هذين المعنيين

ثانيا/ أن قولهم في معنى التأويل متناقض؛ فقد بنوه على أصلين فاسدين:

الأصل الأول: أنهم يقولون: لا بد من تأويل بعض الظواهر ثم أي نص خالف رأيهم جعلوه من هذا الباب.

الأصل الثاني: أنهم يأتون إلى نصوص صحيحة دالة على معان دلالة بينة، بل صريحة قطعية كنصوص إثبات الصفات؛ فيقولون: هذه تحتاج إلى تأويل كتلك!! وقد تبين استغناء كل من الصنفين عن التحريف؛ ولهذا لما لم يكن لهم قانون قويم، وصراط مستقيم، لم يوجد أحد منهم يمكنه التفريق بين النصوص التي تحتاج إلى تأويل، والتي لا تحتاج إليه [3]

---

(١) مختصر الصواعق (21/1).

(٢) درء تعارض العقل (2/ 653)

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (2/ 654ـ 657).

فظهر بذلك أن تعريف التأويل الذي قال به المتأخرون أنه (عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلام عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته)[(١)].

د ـ من أدلة بطلانه أيضا: أن التأويل شر من التعطيل

التأويل والتعطيل يتفقان في نفي حقائق أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، ولكن التأويل لتضمنه أربعة محاذير كان شرا من التعطيل وهي كما يلي:

المحذور الأول: اعتقاد المؤولة أن ظاهر كلام الله وكلام رسوله ﷺ ـ محال باطل ففهموا التشبيه أولا ثم انتقلوا إلى

المحذور الثاني: وهو التعطيل فعطلوا حقائق الأسماء والصفات بناء على زعمهم أنها توهم التشبيه.

المحذور الثالث: نسبة المتكلم الكامل العلم، الكامل البيان، التام النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد، وأن المتحيرين المتهوكين [(٢)] أجادوا العبارة في هذا الباب وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص وهذا لا ريب ضلال مبين فقد جعلوهم بهذا أعلم وأفصح وأنصح للأمة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر: المصدر نفسه (2/ 750).

(٢) التهوك: هو التهور، والوقوع في الشيء بغير مبالاة، والمتهوك المتحير. انظر: المعجم الوسيط(882).

المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها وتأويلاتهم شاهدة على صنيعهم، وما ترتب عليها من آثار سيئة، ولوازم باطلة يأتي ذكرها دالة على قبح فعالهم، وسيء مقالهم[1] وأن التأويل شر من التعطيل.

الوجه الثاني: دلالة آثار التأويل السيئة على بطلانه.

نصوص الكتاب والسنة إذا لم تُقابل بالإيمان والتسلم، وعُورضت بتأويلات عقلية عقيمة فلا شك أنه يترتب على ذلك ظهور آثار سيئة في الأمة وهي بمجموعها دالة على بطلان التأويل وضلال أهله فمن ذلك:

أ ـ أن التأويل الفاسد يجتث ويقتلع أصول الإيمان والإسلام.

وهذا الأثر من أعظم آفات التأويل وجناياته؛ فإنه لما سُلِطَ التأويل الفاسد على نصوص الأسماء والصفات وغيرها من أصول الإيمان التي يجب قبولها والتسليم لها؛ فإنه أحلها دار البوار فقد عَمِدَ المؤولة إلى أجلِّ الأخبار وأشرفِها التي جاء بها الرسول ﷺ ـ وأخبر بها عن الله من أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، فأخرجوها عن حقائقها، وما وُضعت له[2].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو يبين آثار التأويل على أصول الإيمان والإسلام :((ولو علموا أيَّ بابِ شرٍ فتحوا على الأمة بالتأويلات الفاسدة، وأي بناء للإسلام هدموا بها، وأي معاقل وحصون استباحوها لكان أحدهم أن يخرَّ من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتعاطى شيئاً من ذلك؛ فكل صاحب باطل قد جعل ما تأوله المتأولون عذرا له فيما تأوله هو وقال: ما الذي

---

(١) انظر:الصواعق المرسلة لابن القيم (1/ 296ـ 297)، ومختصر الصواعق للموصلي (1/ 101ـ 102).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (1/ 365).

حرَّمَ عليَّ التأويلَ وأباحه لكم؟ فتأولت الطائفة المنكرة للمعاد نصوص المعاد، وكان تأويلهم من جنس تأويل منكري الصفات، بل أقوى منه لوجوه عديدة يعرفها مَنْ وَازَنَ بين التأويلين، وقالوا: كيف نحن نعاقب على تأويلنا وتؤجرون أنتم على تأويلكم؟ قالوا: ونصوص الوحي بالصفات أظهر وأكثر من نصوصه بالمعاد، ودلالة النصوص عليها أبين فكيف يسوغ تأويلها بما يخالف ظاهرَها ولا يسوغ لنا تأويل نصوص المعاد؟ وكذلك فعلت الرافضة في أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة – رضي الله عنهم –، وكذلك فعلت المعتزلة في تأويل أحاديث الرؤية والشفاعة، وكذلك القدرية في نصوص القَدَرِ، وكذلك الحرورية وغيرهم من الخوارج في النصوص التي تخالف مذاهبهم، وكذلك القرامطة والباطنية طردت الباب، وطمث[١] الْوَادِي على الْقُرَي، وتأولت الدين كله، فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يُرِدْه الله ورسوله بكلامه ولا دل عليه أنه مُرَاده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟ وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل؟ فمن بابه دُخِلَ إليها، وهل أُرِيقت دماءُ المسلمين في الفتن إلا بالتأويل؟

(١) هكذا في الأصل ولعلها (وطمَّ الوادي على القرى)، كما أن المعنى لا يستقيم إلا بما ذكرت؛ لأن (الطمث) في اللغة بمعنى المس. يقال: وما طمث هذه الناقة حبل قط . أي ما مسها عِقَال. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد (7/ 412)، والصحاح للجوهري(1/ 286)، كما أن ابن القيم وشيخ الإسلام تكرر في بعض كتبهم استعمال هذا المثل على ما ذكرت. انظر: درء التعارض(6/ 222)، و مجموع الفتاوى(30/ 340)، وإعلام الموقعين لابن القيم (4/ 195). والله أعلم

الأديان السابقة إنما فسدت بالتأويل وليس هذا مختصا بدين الإسلام فقط، بل سائر أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد))[1].

فهذه الكلمات في بيان آثار التأويل الفاسد وما جره من مصائب وفتن عظام وهي من عالم جليل سَبَرَ غور هذا الطاغوت وعرف جناياته على الإيمان وأهله، فوجب إبطاله والحذر منه.

ب ـ أنه أصل لكل بدعة ظهرت في الإسلام.

أدلة الكتاب والسنة، والتمسك بها هي الحصن الحصين أمام كل بدعة وكل إحداث في الدين؛ لذا لما رأى المؤولة منعة هذا الحصن وقوته ما كان منهم إلا أن أتوا بمكيدة التأويل، وقاموا بلي أعناق النصوص لتتفق مع بدعتهم، وليسهل نشرها بين الناس، وما نراه من بدع خطيرة تعصف بالأمة كل حين لو تأملنا أصلها لوجدنا أنها أثر من آثار التأويل الفاسد، فما هُدمت سنة من السنن إلا بالتأويل الفاسد، وما حلت بدعة في الإسلام إلا وهي بمباركة التأويل وأهله، ولله در ابن القيم ـ رحمه الله ـ إذ يقول :

هذا وأصل بلية الإسلام من تأويل ذي التحريف والبطلان

وهو الذي قد فرق السبعين بل زادت ثلاثا قول ذي البرهان [2]

ج ـ من أثاره: اضطراب المؤولة وتناقضهم

هذه سنة جارية فكل من أعرض عن نصوص الوحي التي هي أصل الهداية،

(١) إعلام الموقعين (4/ 249ـ 250)

(٢) انظر: شرح القصيدة النونية لهراس (1/ 285).

وأساس الثبات إلا بُلِيَ بالضلال وعدم الهداية، وبالاضطراب والتناقض وعدم الثبات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية فإنه لا بد أن يضل ويتناقض، ويبقى في الجهل المركب أو البسيط[١]))[٢]

وأرباب التأويل لهم النصيب الأكبر في الاضطراب والتناقض ومن ذلك :

ـ أنهم لم يكن لديهم قانون قويم، ولا صراط مستقيم في النصوص فلا يفرقون بين ما يسوغ تأويله من آيات الصفات وأحاديثها، وما لا يسوغ، فلا يوجد أحد منهم يمكنه التفريق بين النصوص التي تحتاج إلى تأويل، والتي لا تحتاج إليه[٣]

ـ أنه ليس للواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل من يزعم أن العقل جوز، أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله؛ فمن ينفي الأسماء والصفات يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يثبت الأسماء وينفي الصفات يزعم ذلك أيضا فيما نفاه، ومن يثبت الأسماء وبعض الصفات حجته فيما نفى أن العقل أحالها، وأنه مضطر إلى التأويل فيما نفاه[٤].

---

(١) الجهل المركب: عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، وسمي مركبا لأنه جهلان جهل الإنسان بالواقع، وجهله بحاله حيث ظن أنه عالم وليس بعالم.
والجهل البسيط: عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما. انظر: التعريفات للجرجاني(80)، توضيح المقاصد (1/ 125)، شرح كشف الشبهات للعثيمين(14).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (5/ 356).

(٣) انظر: درء التعارض(240/5)، والصواعق المرسلة (1/ 111).

(٤) انظر: الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (261).

وهذه الحال المزرية كافية في الدلالة على فساد مسلك هؤلاء، وأنهم قد انحرفوا عن طريق الهداية الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من رب العالمين.

د ـ من آثاره: عجزهم من إقامة الدليل على مبطل أبدا.

وهذا بسبب مشاركة أهل التأويل لغيرهم في باطلهم؛ فحجتهم واحدة فمن أنكر شيئا من نصوص الشريعة فحجته أن العقل قد أحالها فاضطر إلى تأويلها؛ فلا يتمكن أهل التأويل رد هذه الحجة لأنهم هم الذين فتحوا باب التأويل لكل مبطل؛ فتخور قواهم عند ذلك، وقد ضرب ابن القيم أمثلة على ذلك حيث قال: ((فكل صاحب باطل قد جعل ما تأوله المتأولون عذراً له فيما تأوله هو وقال: ما الذي حرم علي التأويل وأباحه لكم؟ فتأولت الطائفة المنكرة للمعاد نصوص المعاد، وكان تأويلهم من جنس تأويل منكري الصفات، بل أقوى منه لوجوه عديدة يعرفها من وازن بين التأويلين، وقالوا: كيف نحن نعاقب على تأويلنا وتؤجرون أنتم على تأويلكم؟ قالوا: ونصوص الوحي بالصفات أظهر وأكثر من نصوصه بالمعاد، ودلالة النصوص عليها أبين فكيف يسوغ تأويلها بما يخالف ظاهرها ولا يسوغ لنا تأويل نصوص المعاد؟))(١)

وإلى غير ذلك من الآثار المترتبة على التأويل فما ذكرنا منها هنا إنما هو غيض من فيض، والقصد بيان بطلان التأويل المذموم بالنظر إلى آثاره السيئة والسعيد لمن جانب التأويل وعُصم من كل آفة وفتنة والله أعلم

(١) إعلام الموقعين (4/ 250)

الوجه الثالث: اللوازم الباطلة التي تلزم القائلين بالتأويل المذموم.

من القضايا المقررة أن فساد اللازم دليل على فساد الملزوم؛ ولما كان مذهب التأويل والتحريف فاسدا في أصله ومبناه ترتب عليه نتائج فاسدة تجعل المؤول أمام طريقين لا ثالث لهما وهما:

إما الالتزام باللازم الفاسد محافظة على الملزوم؛ فيقع فيما هو أعظم منه، وفي الشناعة البالغة، وإما رفض ذلك اللازم، والبراءة منه؛ فيكون بذلك قد رفض الملزوم وتبرأ منه، وهذه الطريقة من أحسن طرق المناظرة، وأقواها، وقد كان السلف يسلكونها في إبطال حجج الخصوم، لذا فإن التأويل خصوصا في باب الأسماء والصفات يستلزم عدة لوازم باطلة دالة على بطلانه فمن ذلك:

أ ـ القدح في الكتاب والسنة.

وهذا له صور متعددة ذكرها علماء الإسلام منها ما نقله الإمام ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ عليهما رحمة الله ـ فمما نقله أنه يلزم من ذلك [(١)]:

1ـ أن يكون الله ـ سحانه ـ قد أنزل في كتابه، وسنة نبيه ـ ﷺ ـ من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره، ويوقعهم في التشبيه والتمثيل.

2ـ أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب، ولم يفصح به، بل رمز إليه رمزا، وألغزه إلغازا لا يفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهيد.

3ـ أن يكون قد كلف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها، وظواهرها، وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تُفْهِم ذلك.

4ـ أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم، وأقرب إلى الصواب؛ فإنهم لم يستفيدوا منها علما ويقينا، وإنما استفادوا بنزولها التعرض للضلال،

---

(١) انظر: مختصر الصواعق للموصلي (1/ 106ـ 107).

ومثل هذه اللوازم المترتبة على قولهم هي التي جعلت شيخ الإسلام ابن تيمية أن يقول بعد أن ذكر بعض تأويلاتهم وما يترتب عليها :((ومضمون كلامهم: أن كلام الله ورسوله في ظاهره كفر وإلحاد من غير بيان من الله ورسوله للمراد، وهذا قول ظاهر الفساد، وهو أصل قول أهل الكفر والإلحاد))(١)

ب ـ القدح في النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا لازم لا محيد لأهل التأويل عنه، فقد اعتقدوا وجوب التأويل، وأنه من الدين، وأن عدمه نقص في دين الله بزعمهم!! فعلى قولهم يكون النبي ـ ﷺ ـ، وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ رحلوا من الدنيا بدين ناقص، وأن دين أهل التأويل أكمل من دينه ـ ﷺ ـ ودين أصحابه، وهذا لا يقوله مسلم ولا يلتزمه.

كما يلزم من قولهم في إيجاب التأويل: أن النبي ـ ﷺ ـ قد كتم شيئا من الحق، وأنه قد خان الرسالة، وأنه لم يمتثل أمر ربه في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٢) وأنه لم يصدع بما أمره الله ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٣) وحاشاه ـ بأبي هو وأمي ـ عليه الصلاة والسلام أن يكون كذلك، وقد شهد له ربه ـ جل وعلا ـ بأنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة حتى أتاه اليقين، وشهد له بذلك أصحابه، وكل مَنْ آمن به واتبعه ، من

(١) المصدر نفسه(2/ 654).
(٢) سورة المائدة آية (67).
(٣) سورة الحجر آية (94).

أمته ﷺ ـ واعتقاد خلاف ذلك كفر بالرسول ﷺ ـ، وبمن أرسله[1]، ووالله لولا ما نحن بصدده من بيان ما يلزم على القول بالتأويل من لوازم باطلة ما تجرأنا أن نتفوه بمثل هذا ونستغفر الله العظيم من ذلك.

ج ـ ومن اللوازم الباطلة أيضا: أن فيه اتهاما لأفضل الأمة وخير القرون.

لو كان الحق فيما يقوله أهل التأويل للزوم من ذلك(أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا عن قول الحق في هذا الباب العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان إما جهلا منهم، وإما كتمانا للحق وعدم بيانه.

ومما لا شك فيه أن من نسبهم إلى ذلك قد أساء الظن بمَنْ زكاهم الله في كتابه، وشهد لهم الرسول ـ ﷺ ـ بالسبق والفضيلة ونحن على ذلك من الشاهدين[2]

الجانب الثاني :الرد الخاص على تأويلات الأشاعرة للاسمين الشكور والشاكر.

تأويلات الأشاعرة لمعاني الاسمين (الشكور والشاكر) هي من التأويل المذموم الذي رده السلف وحكموا عليه بأنه من التأويل الباطل وبيان بطلانه يظهر من خلال مواقفهم السابقة من الاسمين، وذلك أن أقوالهم تدل على أنهم لا يثبتون حقائق الاسمين الشكور والشاكر لذا هم يعبرون عن ذلك عند تفسيرهم لمعناهما بطريقين: إما أن يقولوا هما مجاز في حق الله ـ تعالى ـ ومثل ذلك قول من قال في معناهما: بالاستعارة تمثيلية؛ لأن الاستعارة التمثيلية من أبلغ أنواع المجاز

---

(١) انظر: جناية التأويل الفاسد (33).

(٢) انظر: مختصر الصواعق للموصلي (1/ 107).

عندهم، وإما أن يفسروا الاسمين بلازم معناهما وينفون الصفة وبناء على ذلك سيكون الرد من وجهين:

الأول: الرد على زعمهم المجاز في الاسمين الشكور والشاكر.

القول بوقوع المجاز في كلام الشارع من الأقوال الجائرة؛ حتى أنه أصبح بابا لكل من أراد تحريف النصوص عن مواضعها متسترا بهذا الستار المحدث الذي سمي بالمجاز؛ خصوصا أنه يؤدي إلى إبطال نصوص الأسماء والصفات لذا فإن رده يكون من وجوه متعددة كل واحد منها كافٍ في إبطال القول بوقوعه في نصوص الشريعة(١) فمن ذلك:

1ـ أن القول بالمجاز قول محدث لم يعرف في القرون المفضلة.

وهذا مما جزم به المحققون من أهل العلم، وبنوا حكمهم هذا على أمور عدة عرفوها بالاستقراء والتتبع:

ـ **منها قولهم**: إن المجاز لم يرد في الشرع، ولم يرد في النصوص تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز.

ـ **ومنها** أن المجاز لم يتكلم به أحد من القرون المفضلة: لا من الصحابة ﷺ ـ ، ولا من التابعين، ولا من تابعي التابعين ـ عليهم رحمة الله ـ حتى من تلفظ بكلمة

(١) انظر: مجموع الفتاوى لا بن تيمية (5/ 125) وله أيضا رسالتان ضمن مجموع الفتاوى في المجاز الأولى:الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز في الصفات (6/ 211)، والثانية: الحقيقة والمجاز (20/ 220)، ومختصر الصواعق لابن القيم (2/ 690) ذكر خمسين وجها للرد على القائلين بالمجاز، ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز لمحمد الأمين الشنقيطي بين فيها أن الحق هو منع المجاز في القرآن ولغة العرب أيضا.

(مجاز) من المتقدمين كأبي عبيدة معمر بن المثنى [(١)] الذي كانت وفاته عام (210هـ)، والإمام أحمد بن حنبل ـ عليه رحمة الله ـ فإنهم لا يعنون بالمجاز ما يعنيه المؤولة، ولا يقصدون به تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، وإنما يعنون بالمجاز: ما يعبر به عن اللفظ ويفسر به كقول المفسر معنى الآية كذا، وتأويل الآية كذا.

ـ **ومنها**: أن هذا التقسيم لم يرد في كلام أحد من الأئمة المشهورين بالعلم، ولا الأئمة الأربعة، ولا أئمة اللغة العربية، ولا قال أحد من العرب قط: هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز،ولا يوجد هذا في كلام مَنْ نقل لغتهم عنهم مشافهة أو بواسطة[(٢)].

فإذا كان كذلك فهو من المصطلحات المحدثة التي لا يجوز القول بها لا في معنى الاسمين الشكور والشاكر ولا في غيرهما من نصوص الشرع.

2ـ أن القول بالمجاز يترتب عليه لوازم باطلة:

من هذه اللوازم:

ـ **أنه يؤدي إلى تحريف** النصوص الشرعية عن معانيها الحقيقة

وذلك أن القائلين بالمجاز مجمعون على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون مَنْ نفاه صادقا في نفس الأمر؛ لذا نراهم عند بيان معنى الاسمين في الأمثلة السابقة ينفون

---

(١) هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مولاهم، البصري، النحوي صاحب التصانيف، وُلد سنة (110هـ)، قال عنه يحي بن معين: ليس به بأس، وقيل: إنه يرى رأي الخوارج، وله مصنفات منها: (مجاز القرآن)،(غريب الحديث)، مات سنة:(210هـ) وقيل:(209هـ) انظر:سير أعلام النبلاء(9/ 445).

(٢) انظر: الإيمان الكبير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى(7/ 60)، ومختصر الصواعق لابن القيم (2/ 692ـ 700).

المعنى الذي يدل عليه الاسمان وهو إثبات صفة الشكر لله ـ تعالى ـ وبهذه الطريقة توصلوا إلى تعطيل الله عن صفة من صفات كماله؛ لأن ما كان مجازا جاز نفيه، ويكون النافي له صادقا بزعمهم وهو عند الله ورسوله، وعند المؤمنين من أكذب الكاذبين!! فكيف يكون من نفى ما ثبت في الكتاب والسنة من الصادقين؟.

ـ **ومنها**: أن المجاز يؤدي إلى أن لا يوصف الله بشيء من صفات كماله حقيقة، وأن أسماءه كلها مجازات.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((إن ههنا ألفاظا تطلق على الخالق والمخلوق أفعالها ومصادرها، وأسماء الفاعلين، والصفات المشتقة منها؛ فإن كانت حقائقها ما يفهم من صفات المخلوقين وخصائصهم، وذلك منتف في حق الله ـ تعالى ـ قطعا لزم أن تكون مجازا في حقه لا حقيقة؛ فلا يوصف بشيء من الكمال حقيقة، وتكون أسماؤه الحسنى كلها مجازات؛ فتكون حقيقة للمخلوق مجازا للخالق؛ وهذا من أبطل الأقوال، ومن أعظمها تعطيلا))[1].

ـ **ومنها**: أن القول بوقوع المجاز في نصوص الشرع اتهام للشارع بالعجز عن التعبير بالحقيقة

وذلك أنهم يقولون: إن المتكلم حينما يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إذا ضاقت عليه بعض طرق الكلام؛ فهذا لا يكون في كلام الله، ولا في كلام رسوله ﷺ ـ حتى يقال بوقوع المجاز في الكتاب والسنة[2]

(١) مختصر الصواعق(2/ 747).

(٢) انظر: جناية التأويل الفاسد (118).

ـ ومنها: أن المجاز كذب لأنه يتناول الشيء على خلاف حقيقته، ومن المعلوم بالضرورة أن كلام الله ـ تعالى ـ، وكلام رسوله ﷺ ـ كله حق وله حقيقة، وما كان كذلك لا يمكن أن يقال: بوقوع المجاز فيه [1]

فإذا ترتب على المجاز هذه اللوازم الباطلة، فإن ذلك يؤكد بطلانه من أساسه؛ لأن فساد اللازم دال على فساد ملزومه.

الثاني: الرد على تفسيرهم للاسمين بلازم معناهما مع نفي الصفة.

من الطرق التي يسلكها الأشاعرة في نفي معاني الأسماء التي لا يثبتون ما تدل عليه من الصفات: أنهم يفسرون الاسم بلازم معناه، كما جاء في تأويلاتهم السابقة في معنى الاسمين الشكور والشاكر؛ لدلالتهما على صفة من الصفات التي تتعلق بمشيئته الله وقدرته وهي صفة الشكر وهم لا يثبتون هذا النوع من الصفات؛ لذا هم عند ذكر المعاني يلجئون لذكر لازم الاسم فراراً من إثبات الصفة، وما حملهم على هذا إلا ظنهم الباطل أن إثبات صفة الشكر يستلزم مشابهة الله ـ جل جلاله ـ بخلقه، وأنها تقوم به كما تقوم بالمخلوق، وهذا بلا شك من سوء ظن المؤولة بربهم ـ تعالى ـ عن ذلك.

وصنيعهم هذا كما أنه دليل على تناقض القوم واضطرابهم؛ فإنه حجة عليهم!! فكيف يقولون بلوازم الأسماء والصفات، ولا يثبتون ما دل عليه من صفات الكمال؟

أما الرد عليهم إضافة لما سبق فإن جميع النصوص السابقة الدالة على إثبات الشكور والشاكر، وإثبات صفة الشكر دالة على الإثبات مهما حاولوا الفرار من

---

(١) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (1/ 459).

القول به، والخروج عن القول به فكما هو من الإلحاد بأسماء الله، وآياته فهو محادة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ومما يجب أن أنبه عليه هنا أن تفسير الاسم بلازم معناه لا ينكر إذا كان مع إثبات الصفة وعدم نفيها، وقد مر بنا عند ذكر معاني الاسمين أمثلة من أقوال السلف على هذا[1] فهم يذكرون في بعض الأحيان لوازم الأسماء عند بيان معانيها ولكن هذا ليس من التأويل المذموم لأنهم ـ رحمهم الله ـ يثبتون الصفات الواردة في الكتاب والسنة على خلاف طريقة الأشعرية ومن تبعهم الذين لا يثبتون الصفات الاختيارية، ويسلكون في نفيها هذه التأويلات الباطلة.

(١) انظر الصفحات (49ـ 52)، و(59ـ 61).

المبحث الثالث: ذكر مذهب من يشبه الله بخلقه في الاسمين (الشكور والشاكر) والرد عليه.

تشبيه الله بخلقه في الاسمين الشكور والشاكر هو من الإلحاد في أسماء الله الحسنى، وذلك أن من جعلهما دالين على تشبيه الله بخلقة فقد وقع في الإلحاد المنافي للإيمان بأسماء الله وصفاته،وهذا هو الإلحاد الذي يقع في مقابل إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه؛ فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه[(١)].

وفي هذا المبحث ـ بمشيئة الله تعالى ـ سأتكلم عن آفة التشبيه في الاسمين الشكور والشاكر وفي غيرهما من الأسماء بوجه عام لعدم اختصاصه بهما !! وسأقف على جوانب متعددة في هذا الموضوع، كبيان مفهوم التشبيه، وأقسامه، وذكر الطوائف القائلة به ومذاهبهم، ثم الرد عليهم فأقول وبالله استعين:

أولا:مفهوم التشبيه عند السلف:

التشبيه في مفهوم السلف يطلق لديهم على مَنْ مَثَّلَ الله ـ تعالى ـ بخلقه؛ كمن يمثل ذاته بذواتهم، أو صفاته بصفاتهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فالذي لم يَفْهم من صفات الباري ـ جل وعلا ـ إلا ما أَلِفَهُ الناس من صفاتهم،وقال: لله بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، أو وصفه بالنقائص فهو المشبهة الملحد في أسماء الله وآياته عند سلف الأمة [(٢)].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (1/ 186)، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ضمن مجموع رسائل الشيخ (4/ 24).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 24)، منهاج السنة (2/ 200)، ودرء تعارض العقل والنقل (4/ 145)، وشرح الطحاوية (1/ 178).

وهذا المفهوم لدى السلف في معنى التشبيه نجده يختلف لدى الطوائف المبتدعة الذين أطلقوا نفي التشبيه وهم يريدون به نفي صفات الكمال عن الله ـ عز وجل ـ أو نفي بعضها، ويصفون من أثبت صفات الله بالمشَبِّهة أو المجسمة أو غير ذلك من الألقاب المنفرة عن مذهب السلف.

وهذه جملة من أقوال علماء أهل السنة تبين مفهومهم للتشبيه وموقفهم من المشبهة:

قال إسحاق بن راهويه[1] رحمه الله ـ :((إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيدي، أو مثل يدي، أو سمع كسمعي أو مثل سمعي، فهذا تشبيه. أما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع؛ فهذا لا يكون تشبيها عنده قال الله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [2]))[3] ولما سئل الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ عن المشبهة ما يقولون: قال: ((من قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي فقد شبه الله ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [4]))[5]

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم التميمي المروزي، أبو يعقوب، عالم خرسان في عصره، وقال الإمام أحمد: لم يعبر الجسر إلى خرسان مثل إسحاق، وقال فيه أيضا الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، توفي رحمه الله سنة(338). انظر: سير أعلام النبلاء(11/ 385).

(٢) سورة الشورى آية (11).

(٣) ذكره الإمام الترمذي في سننه في كتاب الزكاة (3/ 51)، والذهبي في كتاب العلو للعلي الغفار (120ـ 121).

(٤) سورة الشورى آية (11).

(٥) ذكره عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (13/ 84)، وابن القيم في اجتماع الجيوش

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله - في بيان قول المشبهة المذموم لدى الأئمة :((مع أن مقالة المشبهة الذين يقولون: يد كيدي، وقدم كقدمي، وبصر كبصري، مقالة معروفة، وقد ذكرها الأئمة كزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، وأنكروها وذموها...))(١)

فهذه الأقوال السابقة تبين مفهوم التشبيه المنفي عن الله عند السلف، وأنهم إنما يريدون به تمثيل الله بخلقه، وذلك بأن تُجعل صفاته كصفات المخلوق، أو تكيف بكيفية مفضية إلى التمثيل، كما بَيَّنَتْ أن إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة مع نفي التمثيل لا يعد تشبيها بل هو الحق الذي جاء به الوحي لما فيه من الجمع بين الإثبات والتنزيه كما ورد في الآية التي استدلوا بها(٢)

ثانيا: الفرق بين التشبيه والتمثيل:

من أهل العلم من يرى أنهما بمعنى واحد، وأنه لا فرق بينهما، وأنه لا بأس أن يُعَبر بأحدهما عن الآخر؛ فيقال: التمثيل هو التشبيه، ويقال: مَثَّلَ الشيء بالشيء أي: ساواه به، وشبهه به، وجعله مثله، وعلى مثاله؛ فالشبيه والمثيل والنظير ألفاظ متقاربة.

ومنهم من يرى التفريق بينهما؛ فيرى أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه، والتشبيه يقتضي المشابهة، وهي المساواة في أكثر الصفات.

الإسلامية (2/ 212).

(١) درء تعارض العقل والنقل (2/ 103).

(٢) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها (1/ 80).

ومهما يكن من أمر فالأولى الالتزام بالتعبير القرآني وهو التمثيل [١]كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٢]

ثالثا: أقسام التشبيه.

التشبيه الذي ضل به من ضل يقسمه العلماء إلى قسمين:

القسم الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق.

ومعناه: أن يُثْبَت لله في ذاته وصفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق[٣].

ومن أمثلة ذلك:

يمثل أهل العلم لتشبيه ذات الله بذوات المخلوقين بقول بعض طوائف المشبهة الذين قالوا: إن الله جسم، وإن له جثة، وإنه على صورة الإنسان له لحم وشعر وعظم ... تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا[٤].

وأما مثال تشبيه صفات الله بصفات المخلوقين فهو كقول من يقول: إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين أو شكر الله مثل شكر المخلوقين أو غير ذلك [٥]

---

(١) انظر: القواعد المثلى ضمن مجموع رسائل ابن عثيمين (3/ 288ـ 289)، التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (28).

(٢) سورة الشورى آية (11).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 24)، وشرح الطحاوية (1/ 154).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (108)،والفرق بين الفرق (170)، والملل والنحل للشهرستاني(1/ 105).

(٥) انظر: كتاب العلو للذهبي (120)، ومنهاج السنة (627/2).

ويدخل في تشبيه الخالق بالمخلوقين: وصف الله ـ تعالى ـ بما ينزه عنه ـ جل وعلا ـ من صفات النقص المختصة بالمخلوق كما في أقوال اليهود ـ قبحهم الله ـ حين قالوا: إن الله فقير، أو بخيل، أو إنه تعب لما خلق السماوات والأرض تعالى الله عن قولهم[1]

القسم الثاني: تشبيه المخلوق بالخالق.

ومعناه: أن يُثْبَت لمخلوق من المخلوقين شيء مما يختص به الخالق ـ عز وجل ـ من الأفعال، والحقوق، والصفات[2].

ومن أمثلة ذلك:

أ ـ تشبيه المخلوق بالخالق في الأفعال: كفعل من أشرك بالله في الربوبية، ونسب شيئاً من خصائص الربوبية لغير الله؛ كمن يزعم أن الأولياء يُدَبِّرُون الكون، أو يشاركون الله في شيء من ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ب ـ تشبيه المخلوق بالخالق في الحقوق: وصور هذا كثيرة في أفعال المشركين مع آلهتهم، وكما يُفْعَلُ عند القبور مما يقوم به القبوريون من صرف حقوق الله لغيره من الذبح، والنذر، والسجود والدعاء وغير ذلك.

ج ـ تشبيه المخلوق بالخالق في الصفات: وهذا مثل صنيع النصارى الضالين مع عيسى نبي الله ـ عليه السلام ـ فقد وصفوه بصفات لا تليق إلا بالخالق ـ جل

---

(١) انظر: منهاج السنة (5/ 168)، ومجموع الفتاوى (10/ 55)، ومقالة التشبيه (1/ 163)، والمجلى في شرح القواعد الحسنى للكوراري (205).

(٢) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل ابن عثيمين (4/ 23).

وعلا ـ كقولهم: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقولهم: إن الله ثالث ثلاثة، وقولهم: المسيح ابن الله[1] .

رابعا: بداية ظهور التشبيه.

دلت النصوص على أن التمثيل نزعة يهودية الأصل؛ فهم (كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق، ويمثلونه به، حتى أنهم يصفون الله بالعجز، والفقر، والبخل، ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها، وهي من صفات خلقه)[2] كما في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ ﴾ [4]

وأما عن بداية ظهور التشبيه في هذه الأمة فيكاد أن يجمع كل من صَنَّفَ في مقالات الناس على أن بداية ظهور آفة التشبيه على يدي الرافضة الغلاة فهم أول من وقع في براثين التشبيه عليهم من الله ما يستحقون[5].

قال البغدادي:((وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة))[6]

---

(١) انظر: منهاج السنة (5/ 169)، و فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ضمن مجموع رسائل الشيخ (4/ 23)، ومقالة التشبيه (1/ 164).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (55/10).

(٣) سورة المائدة آية (64).

(٤) سورة آل عمران آية (181).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق (168)، والملل والنحل (1/ 105)، ومقالات الاسلاميين (1/ 106ـ 109)، ومنهاج السنة لابن تيمية (1/ 46).

(٦) الفرق بين الفرق (168).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((وأول من عُرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله جسم(١) هو هشام بن الحكم الرافضي))(٢)

بل شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن مقالات التشبيه بجميع أنواعها لم تنقل عن طائفة من الناس كما نقلت عن قدماء الرافضة حيث قال ـ رحمه الله ـ:((فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة))(٣)

فإذاً التشبيه بنوعية: تشبيه المخلوق بالخالق، أو تشبيه الخالق بالمخلوق فمصدره إنما هم الرافضة، فهم أرباب التشبيه وأهله، ويؤكد هذا قول الجاحظ فيهم كما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ حيث ذكر عنه أنه يقول:((ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله ...))(٤)

خامسا: القائلون بالتشبيه ومقالاتهم.

القول بالتشبيه كان رد فعل للمعطلة الجهمية؛ ففي مقابل قول الجهمية النافية للصفات ظهر قول المشبهة المغالية في إثبات الصفات إلى حد تشبيه الله بخلقه، وهم طوائف متعددة فمنهم:

---

(١) قيل هو القائم بنفسه، وقيل: هو الموجود، وقيل: هو جماعة البدن والأعضاء من الناس وغيرهم، وقيل هو الذي تصح رؤيته بالأبصار. انظر: مقالات الإسلاميين (2/ 4ـ8)، و منهاج السنة لابن تيمية (1/ 468ـ 477).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (1/ 47).

(٣) المصدر نفسه (1/ 496).

(٤) المصدر نفسه (1/ 46).

1ـ الهشامية: وهم فريقان[1]:

أ ـ أتباع هشام بن الحكم الكوفي[2].

ويقال لهم الهشامية الحكمية نسبة لهشام بن الحكم الرافضي الذي قال بالتشبيه فقد نقل أصحاب المقالات مقالته وأصحابه تبع له فيها فمما نقلوا عنه أنه كان يقول عن الله: هو جسم ذو أبعاض، له قدر من الأقدار ـ أي له مقدار في طوله وعرضه عمقه لا يتجاوزه... تعالى الله عن قوله وقول أتباعه [3]

ب ـ أتباع هشام بن سالم الجواليقي.

ويقال لهم: الهشامية الجوالقية نسبة لهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منوال هشام بن الحكم في التشبيه، وكان مع رفضه مفرطاً في التشبيه والتجسيم، حيث كان من متكلمي الشيعة الذين يزيدون في إثبات الصفات ويغلون في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل[4].

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (55).

(٢) هو هشام بن الحكم الكوفي الرافضي، صاحب المقالة في التشبيه، وكان من متكلمي الشيعة، وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في الكلام منها في التشبيه، وله تواليف كثيرة، وكان من الغلاة يقول بالجبر الشديد، قيل: مات بعد نكبة البرامكة بمديدة مستترا. وقيل: عاش إلى خلافة المأمون. انظر: سير أعلام النبلاء (10/ 543)، والملل والنحل(1/ 184).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين(1/ 106ـ 108)، والفرق بين الفرق (55، 169)، والملل والنحل (1/ 184).

(٤) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (1/ 45)، والفرق بين الفرق (57).

ومن تشبيهه ماذكره البغدادي عنه : أنه مفرط في التجسيم والتشبيه؛ لأنه زعم أن معبوده على صورة الإنسان، ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور ساطع بياضا تعالى عن قولهم علوا كبيرا [١]

2ـ الجواربية:أتباع داود الجواربي[٢]، وهم من غلاة الشيعة المشبهة.

قال البغدادي وهو يعدد مذاهب المشبهة :((ومنهم المشبهة المنسوبة إلى داود الجواربي)) [٣] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عنه:((أما داود الجواربي فقد عُرِفَ عنه القول المنكر ـ أي في التشبيه ـ الذي أنكره عليه أهل السنة))[٤]

ومن مقالته في التشبيه: أنه زعم أن الله جسم، وأنه جثة وأعضاء على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يدٍ ورجل ولسان ورأس وعين، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره .

---

(١) الفرق بين الفرق(57).

(٢) داود الجواربي كان رأسا في الرفض والتجسيم، قال الذهبي: قال أبو بكر بن أبي عون سمعت يزيد بن هارون يقول: الجواربي والمريسي كافران.

وقال الذهبي عنه وعن أمثاله من رؤوس الضلال: هذا الضرب لا أعلم له رواية ـ ثم عدد بعضهم فقال: فلكونهم لم يرووا الحديث لم أحتفل بذكرهم ولا استوعبتهم فأراح الله منهم، توفي سنة (320هـ).

انظر: ميزان الاعتدال (2/ 23)، وتاريخ الإسلام للذهبي أيضا (5/ 739).

(٣) الفرق بين الفرق (170).

(٤) منهاج السنة (2/ 215).

3ـ اليونسية: أتباع يونس بن عبدالرحمن الرافضي القمي[١] الذي أفرط في التشبيه وَصَنَّفَ لأتباعه كتابا في ذلك، وهم من طوائف الشيعة المشبهة الغلاة، [٢]
والقائلون بالتشبيه من الرافضة كثير فصل علماء المقالات مذاهبهم وبينوا ما تشتمل عليه من مخالفات[٣].

وممن نُسِبَ إليه التشبية من غير الرافضة، الكرامية [٤] و مقاتل بن سليمان [٥] ـ رحمه الله تعالى ـ الذي عَدَّه بعض أصحاب المقالات من المشبهة، والذي رجحه أهل العلم براءته مما نسب إليه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ. ((... وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله، والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب

---

(١) هو أبو محمد يونس بن عبدالرحمن القمي مولى آل يقطين، من متكلمي الإمامية، أفرط في التشبيه والتجسيم، توفي سنة (208هـ)، انظر: مقالات الإسلاميين (1/ 110)، والفرق بين الفرق(170)، والأعلام 8/ 261).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (59)، والملل والنحل (1/ 188).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (27)، والملل والنحل(1/ 174ـ 190).

(٤) الكرامية فرق متعددة أوصلها بعض أصحاب المقالات إلى اثنتي عشرة فرقة، وذكروا أن أصولها ستة وهي: العابدية، والمهاجرية، والإسحاقية، والواحدية، والهيصمية.
وعدهم العلماء من الطوائف المبتدعة الذين قالوا بالتجسيم ونسب إليهم التشبيه: وهم أتباع محمد بن كرام السجستياني المتكلم المنسوب هو وفرقته إلى الجهل والبدعة والضلال، وقد ذمهم أهل العلم وقالوا فيهم وفي التحذير منهم قولا عظيما، ومؤسس هذه الفرقة الكرامي خُذِلَ حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها. انظر: الفتاوى لابن تيمية (6/ 36)، سير أعلام النبلاء الفرق بين الفرق (27)، والملل والنحل(1/ 108)، والخطط المقريزية(4/ 183).

(٥) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي كبير المفسرين، روى عن مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، من مصنفاته: (تفسيره)، و(والأشباه والنظائر في القرآن)، توفي سنة (150). انظر: سير أعلام النبلاء(7/ 202)، و (الأعلام للزركلي (8/ 202).

المعتزلة، وفيهم انحراف على مقاتل بن سليمان؛ فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو نقولا عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد، وقد قال الشافعي: من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث ـ بخلاف مقاتل بن حيان فإنه ثقة ـ لكن لا ريب في علمه بالتفسير وغيره واطلاعه...))[١].

سادسا: الرد على من يشبه الله في خلقه في الاسمين الشكور والشاكر[٢]:

مما هو مقرر في معتقد أهل السنة والجماعة نفي التمثيل والتشبيه عن مقام الباري ـ جل وعلا ـ في أسمائه وصفاته وأفعاله، وقد دل على ذلك الأدلة الشرعية، وإجماع الأئمة، وأقوال علماء أهل السنة، والدلائل العقلية التي لا تقبل النقيض؛ فمن ذلك:

أولا: الأدلة الشرعية.

القرآن الكريم بحمد الله ملآن من توحيد الله ـ تعالى ـ وأنه ليس كمثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله[٣] فمن الآيات الدالة على هذا الأصل العظيم:

1ـ قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

---

(١) منهاج السنة (2/ 217).

(٢) سيكون بإذن الله الرد على شبهة المشبهة على وجه الخصوص عند عرض أصل شبهتهم عند ذكر قولهم في صفة الشكر في الفصل الثاني من هذا الباب ص (269ـ 283).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (27/ 194).

(٤) سورة الشورى آية (11).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في معنى الآية:((أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له))(١) .

ويقول السعدي ـ رحمه الله في تفسيره أيضا:((أي ليس يشبهه، ولا يماثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله))(٢).

وهذه الآية أصل من أصول أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات لما فيها من الرد على من حاد عن جادة الطريق من ممثلة ومعطلة لكونه ـ تعالى ـ جمع فيها بين النفي والإثبات؛ فنفى عن نفسه المثل، وأثبت لنفسه (سمعا وبصرا)، وما فيها من الإثبات يقرر معنى ما فيها من النفي؛ فَفُهِمَ أن المراد انفراده ـ سبحانه ـ بصفاته، وأنه ليس كمثله شيء في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في أفعاله، وكل هذا إنما يدل على المذهب الحق ليس هو نفي الصفات كما هو شأن المعطلة، ولا إثباتها مطلقا كما هو شأن الممثلة؛ بل إثباتها بلا تمثيل كما هو مذهب أهل السنة والجماعة (٣).

2 ـ قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) يقول إمام المفسرين ابن جرير ـ يرحمه الله تعالى في بيان معنى الآية:

((فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه؛ فإنه لا مِثْلَ له ولا شِبْه))(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (4/ 2561).
(٢) تفسير السعدي (4/ 412).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (1/ 166)، وشرح الواسطية لهراس (22).
(٤) سورة النحل آية (74).
(٥) تفسير الطبري (7/ 621).

والآية فيها رد على الممثلة لوقوعهم فيما نهى الله عنه فيها فقد نهي الله جميع عباده بأن لا يشبهوه بشيء من خلقه؛ وذلك لأن له المثل الأعلى الذي لا يشاركه فيه مخلوق؛ فمن شبه الله بخلقه فقد ضرب له الأمثال وقال على الله بغير علم [١].

3ـ قوله تعالى :﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [٢] روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ :((يقول هل تعلم للرب مثلا وشبيها))[٣].

والآية تدل على أنه ـ سبحانه ـ ليس له نظير من خلقه، لأنه الإله الحق الذي لا مثل له، ولا عدل، ولا شبيه؛ فلا أحد يساميه، ولا يستحق أن يسمى بما يختص به من الأسماء، ولا يساويه في معنى شيء من أسمائه لا الشكور، ولا الشاكر، ولا غير ذلك من الأسماء؛ فلا يساويه شيء، ولا يماثله شيء، ولا يعادله شيء جل في علاه[٤].

---

(١) انظر: شرح الواسطية لهراس (77)

(٢) سورة مريم آية (65).

(٣) تفسير الطبري (8/ 361).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير (8/ 361)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (27/ 194)، وشرح الطحاوية لمحمد خليل هراس (71).

4- قوله تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾[1]

هذه السورة تدل على ما دلت عليه الآيات قبلها من ناحية الدلالة على تفرد الله ـ عز وجل ـ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه ليس له شريك، ولا سمي له، ولا كفو، ولا ند، ولا نظير لاختصاصه بصفاته التي تناسب كماله ـ سبحانه ـ وهذا رد لجميع مقالات المشبهة الذين شبهوه بالمخلوق، أو شبهوا المخلوق به ويؤخذ هذا من السورة من موضعين:

أ ـ من قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قال العلماء: إن هذا اللفظ لا يطلق في الإثبات إلا على الله ـ عز وجل ـ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله؛ فيكون معنى الآية: أي هو الواحد الأحد الذي لا نضير له، ولا ند، ولا شبيه، ولا عدل[2].

ب ـ من قوله تعالى :﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ وكذلك قال العلماء: إن الآية تنفي عن الله ـ عز وجل ـ النظير والشبيه من كل وجه لأن (أحد) في الآية وقع نكرة في سياق النفي فيعم[3].

ثانيا: الإجماع.

(١) سورة الإخلاص (1 ـ4)

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (4/3190).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس(71).

إثبات الأسماء والصفات لله ـ سبحانه وتعالى ـ ونفي مماثلته وتشبيهه بالمخلوقات مما أجمع عليه علماء الأمة من أهل السنة والجماعة وقد حكى عنهم ذلك غير واحد من أهل العلم فمن ذلك :

ما حكاه حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر رحمه الله ـ في التمهيد في قوله :((أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئاً، ولا يحدون فيه صفة محصورة[١]، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج؛ فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله))[٢].

وحكاه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في قوله :((وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء، ولا كفوله في شيء من صفات الكمال، كما قال الله تعالى:

---

(١) أي لا يجعلون لصفاته نهاية وغاية بخلاف صفات البشر فإنها محدودة فلو وصف فلان بالعلم والكرم لكان لصفته غاية ونهاية بل قد يكون غيره أعلم وأكرم. انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى(232).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر (7/ 145)، وأورده الذهبي في العلو (181ـ 182).

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [1]))[2].

وحكاه أيضا ابن أبي العز الحنفي [3] رحمه الله ـ في قوله:((اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا صفاته، ولا في أفعاله))[4].

ولذلك جاء عنهم الإنكار على المشبهة بجميع طوائفهم، واختلاف مقالاتهم والتغليظ عليهم لشدة مخالفتهم لما جاء في الكتاب والسنة ومن ذلك:

ما جاء عن نُعَيْم بن حماد الخزاعي [5] رحمه الله ـ حيث قال:((من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه))[6].

---

(١) سورة الإخلاص (1 ـ4)

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (123).

(٣) هو أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين المعروف بابن أبي العز حنفي المذهب تابع للدليل، وقد ناله من الأذى ما نال شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم بسبب القول بالحق وإتباعه للدليل، وكان قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية، توفي سنة (792هـ).

انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (87/3)، والأعلام للزركلي(5/ 313).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (1/ 154).

(٥) هو نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، أبو عبدالله أول من جمع المسند في الحديث،وكان من أعلم الناس بالفرائض، أقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر ومات سنة (228هـ) انظر: سير أعلاء النبلاء (10/ 595).

(٦) أخرجه اللآلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة في سياق ما روي في تكفير المشبهة (3/ 532)، برقم (936)، والذهبي في كتاب العلو (116) وصحح إسناده الألباني في تحقيقه لمختصر العلو (184).

وبمثل قول نعيم بن حماد قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله ـ حيث قال:((ومن وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم))[١]

ويقول الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله ـ:((واعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله ـ سبحانه ـ لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا ولنهم لنا كبيرا))[٢]

ثالثا: مما يرد به على المشبهة أن يقال: أن تشبيه الخالق بالمخلوق، أو تشبيه المخلوق به هو حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله ﷺ ـ فَعَكَسَ الأمرَ مَنْ نَكَسَ اللهُ قلبَه، وأعمى بصيرته، وَأَرْكَسَه بلبسه الأمر، وجعل التوحيد تشبيها، والتشبيه تعظيما وطاعة))[٣].

ويدخل في هذا صور متعددة من الشرك الذي نهى الله عنه وجعله أعظم المحرمات كحال (من تشبه في خواص ربوبيته وإلهيته، وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده)[٤] .

---

(١) أخرجه اللآلكائي كسابقه في الجزء ورقم الصفحة، برقم (937)، وذكره شارح الطحاوية (1/ 179)

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (232).

(٣) الجواب الكافي (200).

(٤) المصدر نفسه (203).

أو ألحد في أسمائه واعتقد أنها دالة على تشبيهه بخلقه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وقال أيضا رحمه الله ـ عند ذكره لأنواع الإلحاد في أسماء الباري: ((والثالث: تشبيهه فيها بصفات المخلوقين ومعاني أسمائهم، وأن الثابت له منها مماثل للثابت لخلقه))[1] .

رابعا: أن أساس توحيد الله العلمي أن ينزه الباري ـ جل وعلا ـ عن مشابهة المخلوقين في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فتشبيه أسماء الخالق وصفاته بأسماء المخلوقين وصفاتهم هدم لهذا التوحيد، ونقض أساسه[2].

يقول ابن القيم رحمه الله ـ: ((التوحيد العلمي أساسه: إثبات الكمال للرب؛ ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل))[3].

وعلى هذا فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه، ولم يكن عابدا له في الحقيقة ، وإنما يعبد وثنا صوره له خياله، ونحته له فكره؛ فهو من عُبَّاد الأوثان لا من عباد الرحمن[4].

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا إن المشبه عابد الأوثان[5]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (3/ 662).

(٢) انظر: جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات للعلي(2/ 905).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (2/ 430 ـ 433).

(٤) انظر:الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للفوزان (134ـ135).

(٥) القصيدة النونية (202).

خامسا: أن القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق في الأسماء أو الصفات يستلزم نقص الخالق ـ جل وعلا؛ لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصا[١].

سادسا: أن قياس الله ـ تعالى ـ على عباده في أسمائه وصفاته من أفسد القياس.

يقول الإمام الدارمي ـ رحمه الله ـ:

((ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق؛ لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة، وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله صفاته، ليس شيء منها مخالف لصفاته، ولا شيء من صفاته مخالفا لأسمائه)) [٢].

وقال ابن القيم رحمه الله ـ:((هذا الأصل الفاسد ـ أي قياس الله على عباده ـ مما ردَّه عليهم[٣] سائر العقلاء، وقالوا: قياس أفعال الرب على أفعال العباد من أفسد القياس، وكذلك قياس حكمته على حكمتهم، وصفاته على صفاتهم))[٤].

ومن هذا الباب قياس أسمائه على أسمائهم فحكمها واحد فلا يحل لمؤمن أن يعتقد فيها ما يخالف ما يجب فيها كمن يمثل أو يشبه.

هذا ما أردت قوله وهناك ردود أخرى على بطلان التشبيه غير ما ذكرت ردَّ بها أهل العلم على المشبهة سيأتي ذكرها بالتفصيل في أثناء هذه الرسالة حين يأتي موضعها بإذن الله تعالى[٥].

---

(١) انظر: تقريب التدمرية ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (4/ 120).

(٢) نقض الإمام الدارمي على المريسي (48).

(٣) أي على مشبهة الأفعال

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (495).

(٥) انظر الصفحات:(286ـ 292).

الفصل الثاني

الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الشكر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مذاهب المخالفين المثبتين لصفة الشكر.

المبحث الثاني: مذهب النفاة لصفة الشكر.

المبحث الأول

مذاهب المخالفين المثبتين لصفة الشكر.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مذهب من يثبت صفة الشكر ويجعلها لازمة.

المطلب الثاني: مذهب من يثبت صفة الشكر ويجعلها حادثة بعد أن لم تكن.

المطلب الثالث: مذهب من يمثل صفة الشكر بصفات المخلوقين.

المطلب الأول: مذهب من يثبت صفة الشكر ويجعلها لازمة وفيه ثلاث مسائل:

هذا المذهب ذكره أهل العلم عن الكلابية[١] أتباع عبدالله بن كلاب[٢] وسيكون ـ بإذن الله ـ بيانه، والرد عليه من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الشكر.

الكلابية يَعُدُّهم العلماء من الصفاتية الذين يثبتون الصفات؛ فهم يُقِرُّون بأسماء الله وصفاته في الجملة مخالفين في ذلك الجهمية في نفيهم للأسماء والصفات، كما أنهم يخالفون المعتزلة الذين يثبتون الأسماء وينفون صفات الله تعالى[٣].

---

(١) الكلابية: من الفرق الإسلامية التي خالفت أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد الكلابية، وهم من طوائف أهل الكلام، وينسبون إلى أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب البصري، ولميلهم للبدع ومخالفة السنة ذمهم السلف وحذروا منهم، وكان من أبرز من يحذر منهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ـ فقد كان يحذر من ابن كلاب وأتباعه ، وهم وإن كانوا أقرب أهل الكلام لأهل السنة، فإن القول الذي جاء به ابن كلاب في الصفات بدعا من القول لم يسبق إليه فهو أول من قال به في الإسلام خالف فيه أهل السنة ووافق فيه الجهمية، والكلابية هم سلف الأشعرية؛ فقد اختفى اسم الكلابية وتبنى أفكارهم من بعدهم الأشاعرة. انظر:درء تعارض العقل والنقل (1/ 367).

(٢) هو رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان صاحب التصانيف، وكان يرد على الجهمية؛ ولكنه أقرب المتكلمين إلى السنة كما قال الذهبي ، وذكر له مصنفات منها: كتاب الصفات والرد على المعتزلة توفي بعد (240هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(11/ 174).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 312).

ولكن إثباتهم للصفات فيه نوع من التجهم والبدعة مما أفسد عليهم بعض ما قالوا في هذا الباب؛ لكونهم أثبتوا الصفات بذات الله ـ تعالى ـ، ولم يثبتوا قيام الأمور الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، وفي أقوال من حكى مذهبهم من العلماء التالية بيان لموقف الكلابية من صفات الباري ـ جل وعلا [١].

من أقوال العلماء في بيان منهج الكلابية في الصفات:

لمعرفة مذهبهم في صفة الشكر لا بد من الوقوف على ما قالوه في صفات الله خصوصا الصفات المماثلة لصفة الشكر في نوعها، وسيكون الاعتماد على ما ذكره مَنْ حكى مذهبهم، ومن كَتَبَ في مقالات الناس ومذاهبهم، وكذلك ما نقله عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقد نقل كثرا من أقوالهم في مواطن كثيرة من كتبه.

1ـ ذكر أبو الحسن الأشعري[٢] عن ابن كلاب أنه يقول: ((إن الله ـ سبحانه ـ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (12/ 197)، والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات لشيخنا د/ عبدالقادر عطا (2/ 12).

(٢) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وأبو الحسن الأشعري هو الذي تنتسب إليه الأشاعرة، وقد كان في بداية أمره على مذهب المعتزلة حيث قضى أربعين سنة من عمره معتزليا ثم انتقل إلى مذهب الكلابية، وألف في الرد على المعتزلة ناقضا ما كان ألفه في تصحيح مذهبهم لما كان عليه، ثم أظهر بعد ذلك رجوعه إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله كما في كتابه الإبانة (17)، ولكن الذي يظهر ـ والله أعلم بحاله ـ أن رجوعه لم يكن تاما بل بقيت عنده رواسب من مذهب ابن كلاب، وهذا الذي يفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه مثل قوله: ((والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية .(الفتاوى 16/ 260،)). انظر: سير أعلام النبلاء (15/ 85)

لم يزل قديما بأسمائه وصفاته، وإنه لم يزل عالما قادرا حيا سميعا بصيرا جليلا كبيرا عظيما جوادا متكبرا واحدا أحدا صمدا فردا مبغضا راضيا ساخطا ...قائلا متكلما بقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة ... وكرم وجود وبقاء وإلهية ورحمة ... وإن ذلك من صفات الذات، وإن صفات الله ـ سبحانه ـ هي أسماؤه، ولا تقوم بأنفسها، وإنه لا يجوز أن توصف الصفات بصفة، ولا تقوم بأنفسها، وإنها قائمة بالله))(١).

2ـ قال الإمام أبو نصر السجزي ـ رحمه الله ـ:((وينبغي أن يتأمل قول الكلابية والأشعرية في الصفات ليعلم أنهم غير مثبتين لها في الحقيقة، وأنهم يتخيرون من النصوص ما أرادوه، ويتركون سائرها ويخالفونه))(٢).

وقال في موضع آخر:((والكلابية والأشعرية قد أظهروا الرد على المعتزلة والذب عن السنة وأهلها... وقولهم في القرآن ... يَدَّعُون قرآنا ليس بعربي، وأنه الصفة الأزلية، وأما هذا النظم العربي فمخلوق عندهم...))(٣).

3ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان موافقتهم للجهم بن صفوان في نفي الصفات الاختيارية:((والكلابية، ومن وافقهم من السالمية (٤)، ومن سلك

(١) مقالات الإسلاميين (2/ 225).
(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (112).
(٣) المصدر نفسه (115).
(٤) هم أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري (ت 356هـ)، ومما ينسب إليهم القول بإثبات الله مع نوع من الحلول، وقولهم في كلام الله: إنه حروف وأصوات قديمة أزلية، لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبدا لا تتعلق بمشيئته وقدرته، فهم يجمعون في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام الجهمية. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير(7/ 303)، وشرح الأصبهانية (33)، ودرء تعارض العقل والنقل (1/ 78، 577).

مسلكهم من الفقهاء، وأهل الحديث، والصوفية، وافقوه ـ أي الجهم ـ في الصفات الاختيارية دون نفي أصل الصفات ...))[1].

4ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا في بيان مذهب ابن كلاب في صفة الكلام :((إنه يقول: إن الله لم يزل متكلما، وإن كلامه صفة قائمة به كعلمه وقدرته، وكذلك سائر الصفات التي يثبتها لله ـ تعالى ـ هي عنده قديمة قائمة بالله غير متعلقة بمشيئته وقدرته))[2]

5ـ ما ذكره ابن تيمية في بيان معنى قول السلف: القرآن كلام الله عند الكلابية ومن وافقهم أي:((... أنه صفة قديمة قائمة بذاته لا يتعلق بمشيئته واختياره وإرادته وقدرته.

وهذا اعتقدوه في جميع الأمور المضافة إلى الله أنها:

إما أن تكون مخلوقة منفصلة عن الله تعالى.

وإما أن تكون قديمة غير متعلقة بمشيئته وقدرته وإرادته.

ومنعوا أن يقال إنه يتكلم إذا شاء، أو إنه لم يزل متكلما إذا شاء، أو إنه قادر على الكلام، أو التكلم، أو إنه يستطيع أن يتكلم بشيء، أو إنه إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، أو إنه يقدر على الكلام والسكوت، كما يمتنع أن يقال: إنه يحيا إذا شاء، أو إنه يقدر على أن يحيا، وعلى أن لا يحيا، إذ الحياة صفة لازمة لذاته يمتنع أن يكون إلا حياً قيوماً ـ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

(١) الفتوى العراقية (2/ 1047).

(٢) التسعينية (2/ 481).

فاعتقد هؤلاء في الكلام والإرادة والمحبة والبغض والرضاء والسخط والإتيان والمجيء والاستواء على العرش والفرح والضحك مثل الحياة.

وأول من أظهر هذا القول من الموافقين لأهل السنة في الأصول الكبار هو عبد الله بن سعيد بن كلاب...))[١].

ومن خلال هذه الأقوال السابقة تتضح المعالم الرئيسة لمذهب الكلابية في صفات الباري ـ جل وعلا ـ والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا: أن الكلابية تأثرت بالأصل الذي أخذته من الجهمية؛ وهو الخوف من القول بحلول الحوادث بذات الله ـ تبارك وتعالى ـ فنفت الصفات الاختيارية دون نفي أصل الصفات.

ثانيا:أن ابن كلاب ومن اتبعه مع موافقتهم للجهمية والمعتزلة في انتفاء قيام الأفعال به فقد خالفوهم في قيام الصفات؛ فأثبتوا قيام الصفات به، وقالوا لا نسميها أعراضا؛ لأنها على حد قوله: (قديمة باقية لا تعرض ولا تزول، والعرض لا يبقى زمانين،أما صفات الله الذاتية الأزلية فهي باقية[٢].

ثالثا:أن ابن كلاب في موقفه من الصفات الاختيارية يسلك مسلكين اثنين وهما[٣]:

الأول: إثبات هذه الصفات على أنها صفة أزلية قديمة قائمة بذات الإله، لا تتعلق بمشيئته وإرادته؛ فلا يتجدد له فيها حال كما يشاء.

---

(١) الفتاوى الكبرى (6/ 438).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (1/ 290)، ومجموع الفتاوى (6/ 24).

(٣) انظر: شرح حديث النزول لابن تيمية(226).

فالشكر ـ مثلا ـ ليس بفعل يتعلق بمشيئة الله ـ عنده ـ بمعنى أنه يشكر من شاء متى شاء، بل هو أزلي من صفات الذات.

الثاني: جعل مقتضى الصفة مفعولا منفصلا عن الله، لا يقوم بذاته.

وابن كلاب سلك هذا المسلك في إثباته صفة الاستواء فزعم كما حكى عنه أبو الحسن الأشعري :((أن الباري لم يزل، ولا مكان، ولا زمان قبل الخلق، وأنه على ما لم يزل عليه، وأنه مستوٍ على عرشه كما قال، وأنه فوق كل شيء))[١]

فقوله: ((إن الله لم يزل، ولا مكان ...) يبن موقفه من صفة الاستواء فهو هنا يزعم أن الله فعل في العرش فعلا سماه استواء، والفعل هو المفعول؛ لأن هذه المعاني بزعمه حوادث مخلوقة، والله لا تحل به الحوادث المخلوقة[٢].

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن ابن كلاب، ومن وافقه من الأشاعرة: (... إذا قالوا هذه الأمور[٣] من صفات الفعل: فمعناه أنها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به.

ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات، وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات، وأحاديث الصفات)[٤]

رابعا: أن الكلابية لا يفرقون بين الصفات اللازمة والصفات الاختيارية، بل يجعلون صفاته صفات ذات أزلية بقدمه ـ تعالى ـ [٥]، وهذا ظاهر من كلام ابن

---

(١) مقالات الإسلاميين (1/ 351).

(٢) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (2/ 14ـ 15).

(٣) وذلك مثل: كلام الله، ورضاه، وغضبه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله... الخ.

(٤) شرح حديث النزول (226ـ 227).

(٥) انظر: الملل والنحل للاشهرستاني (1/ 92)، وآراء الكلابية العقدية وأثرها في

كلاب السابق الذي نقله عنه الأشعري فقد ذكر عددا من صفات الله: كالكرم والكراهية والبغض والرضا وغيرها ثم قال: وإن ذلك من صفات الذات.

تقرير قول الكلابية في صفة الشكر:

وبناء على ما سبق ذكره يظهر أن الكلابية من الفرق التي تثبت صفة الشكر؛ ولكن إثباتها لها فيه نوع من التجهم والبدعة، وذلك أنهم يثبتونها على أنها صفة ذاتية لازمة لذات الباري ـ سبحانه وتعالى ـ أزلا وأبدا، و لا تعلق لها بمشيئته واختياره وإرادته؛ فهي عندهم من صفات الذات لا من صفات الفعل كصفة الحياة تماما؛ فلا يفهم منها ما يدل على تعلق بمشيئة أو قدرة وهذا يخالف ما عليه مذهب السلف من أن صفة الشكر قديمة النوع حادثة الأفراد؛ فالله ـ جل وعلا ـ يشكر عباده على ما يشاء متى شاء؛ فهي من صفات الفعل لا كما زعمت الكلابية والله أعلم[1].

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

لما ناظر ابن كلاب الجهمية والمعتزلة ورد عليهم لم يهتدِ لفساد أصل الكلام المحدث الذي ابتدعوه في الإسلام؛ بل تَلْقَّفَهُ عنهم ووافقهم عليه؛ فسَلَّمَ لهم أصولاً هم وضعوها منها قولهم: (ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث).

وبنى على هذا الأصل امتناع قيام الصفات الاختيارية بذات الله ـ تعالى ـ، وقوله: بأزلية الصفات كلها دون تفريق بين صفات الذات، وصفات الفعل؛ زاعما أن الأفعال ونحوها من الصفات الاختيارية حوادث لا تقوم إلا بِمُحْدَثٍ؛

الأشعرية (123ـ 124).

(١) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم(2/ 13).

فلو قامت به لم يخل منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث؛ لأن ما قبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده[1].

وصيغة هذه الشبهة عند الكلابية وقدماء الأشاعرة [2]كالتالي:

قالوا: لو كان الباري ـ تعالى ـ قابلا لحلول الحوادث بذاته، لما خلا عنها، أو عن أضدادها وضد الحادث حادث، وما لا يخلو عن الحوادث؛ فيجب أن يكون حادثا، والرب ـ تعالى ـ ليس بحادث[3]

وهذا الأصل الذي قالوا به إنما هو متفرع عن دليل الأعراض وحدوث الأجسام الذي تلقفوه من الجهمية والمعتزلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((أما " الكلابية " فإنهم يقولون: نحن نقول تقوم به الصفات ولا نقول هي أعراض؛ فإن العرض لا يبقى زمانين، وصفات الرب ـ تبارك وتعالى ـ عندنا باقية بخلاف الأعراض القائمة بالمخلوقات؛ فإن الأعراض عندنا لا تبقى زمانين.... قالت " الكلابية ": وأما الحوادث فلو قامت به للزم أن لا يخلو منها؛ فإن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وإذا لم يخل

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (5/ 12، 170، 319)، و درء تعارض العقل والنقل (1/ 371)، و(2/ 660)، (3/ 324). هذه هي الحجة المشهورة لنفاة الحوادث، وقد ذكر شيخ الإسلام عن فحول النظار كالرازي والآمدي أنهم ذكروا أربع حجج لهم وبينوا فسادها كلها. انظر: هذه الحجج والرد عليها مجموع الفتاوى له (6/ 148ـ 145).

(٢) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (2/ 399).

(٣) انظر: المطالب العالية للرازي (1/ 108)

منها لزم أن يكون حادثا؛ فإن هذا هو الدليل على حدوث الأجسام. هذا عمدتهم في هذا الأصل ...))[1].

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

الرد على الكلابية فيما ذهبوا إليه في نفي الصفات الاختيارية بما فيها صفة الشكر سيكون ـ بإذن الله ـ من وجوه عدة منها:

الوجه الأول: نقض دليل الأعراض وحدوث الأجسام.

الكلابية بَنَتْ حجتها في نفي الصفات الاختيارية على **دليل الأعراض وحدوث الأجسام** ـ الذي تلقفته من الجهمية؛ فتحتم نقضه وإبطاله أولا ثم بعد ذلك نقض ما بني عليه.

وخلاصة هذا الدليل:

أنهم قالوا: لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف إثبات الصانع، و لا يعرف إثبات الصانع حتى يعرف حدوث العالم، ولا يعلم حدوث العالم إلا بما به يعلم حدوث الأجسام، ثم استدلوا على حدوث الأجسام بأنها لا تخلو من الحوادث ـ أو بعبارة أخرى مستلزمة للأعراض أو بعضها ـ ثم قالوا: وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، ثم إن هؤلاء احتاجوا إلى أن يقولوا: ما لم يسبق الحوادث فهو حادث، ثم منهم من تفطن إلى أن هذا لا يكفي لإثبات الصانع فاضطر أن يقول بإبطال حوادث لا أول لها؛فلما استقر الدليل عند هؤلاء.

قالت المعتزلة: يجب نفي جميع الصفات عن الله ـ تعالى ـ؛ لأن ما قامت به الصفات قامت به الأعراض، وما قامت به الأعراض فهو حادث.

---

(١) مجموع الفتاوى (5/ 319).

وقالت الكلابية ومن تبعهم: بإثبات الصفات، وقالوا: لا نسميها أعراضا، لكن الصفات الاختيارية حوادث فيجب نفيها طردا لهذا الدليل[1].

هذه هي خلاصة هذا الدليل المبتدع في الإسلام، وأما شرحه فيطول وهو مذكور في مصنفات أهل العلم [2] والمقصود هو ذكر ما يدل على بطلانه والذي يمكن إجماله فيما يلي:

أولا: أنه علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ - لم يدع أحدا بهذه الطريقة أبدا، ولا تكلم بها أحد من أصحابه، ولا التابعين لهم بإحسان، وإنما ابتدعت هذه الطريق في الإسلام بعد المائة الأولى وانقراض عصر أكابر التابعين، بل وأوسطهم؛ فكيف يقال: إن تصديق الرسول موقوف عليها؟!

وأعلم الذين صدقوه وأفضلهم لم يدعوا بها، ولم يتلكموا بها البتة[3]

فإذا ثبت هذا عُلِمَ أن هذه الطريق بدعة في الدين، وطريقة فاسدة في العقل مردودة على أصاحبها.

ثانيا: صعوبة هذه الطريق، حيث أن الذين سلكوها لم يتفقوا على مقدمة واحدة من مقدماتها؛ فالمحققون منهم على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل

(١) انظر:درء التعارض لابن تيمية (1/ 96، 97، 139،)،ومجموع الفتاوى (6/ 312، 199،) فقد ذكره مختصرا ورد على القائلين به.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية (155)، وشرح حديث النزول ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (5/ 314ـ 330).

(٣) شرح حديث النزول ضمن مجموع الفتاوى (5/ 314ـ 330)، و شرح الأصبهانية (155).

وتقسيم يمنع ثبوت المُدَّعَى بها مطلقا؛ فكيف تجعل واجبة على كل مكلف ـ كما زعم أصحابها ـ ؟ [١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((ولهذا فقد ذكر حذاق أهل الكلام ـ كالأشعري وغيره ـ بأنها ليست طريق الرسل ... وذكر أنها محرمة عندهم، بل المحققون على أنها طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقا))[٢].

ثالثا: أنه دليل طويل كثير المقدمات التي لا يفهمها كثير من الناس؛ فكيف يُدَّعى أنه أول ما يجب على العباد معرفته وهو بهذه المثابة[٣]؟.

رابعا: أن المُسْتَدَلَّ عليه (وهو وجود الله) أسهل وأوضح في فطرة الإنسان وعقله من الدليل عليه (وهو دليل حدوث الأجسام)، وهذا يدل على بطلان الدليل إذا كان المستدل عليه أسهل من الدليل، وعلى عدم الحاجة إليه إذا كان الأمر كذلك [٤].

خامسا: ما يترتب عليه من لوازم باطلة تدل على بطلانه ولا بد، وهذا ما حصل بالفعل مع القائلين بهذا الدليل من أهل الكلام؛ فإنهم التزموا لأجله أمورا باطلة ظاهرة البطلان خالفوا فيها الشرع والعقل معا..

ومن اللوازم الباطلة التي التزمها أرباب هذا الدليل لأجل تصحيحه ما يلي:

---

(١) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (2/ 208).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (1/ 97).

(٣) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (2/ 892).

(٤) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (210).

1ـ تقديم العقل على النقل، وجعل العقل هو المقياس في إثبات الله، وإثبات صفاته؛ فإنهم أثبتوا ما أثبتوا من أصول العقيدة استنادا على القياس العقلي، ونفوا ما نفوا كذلك بالقياس العقلي(١).

2ـ تعطيل الباري ـ سبحانه وتعالى ـ عن صفاته العلا، أو عن بعضها.

وهذا ظاهر وجلي في مواقف أهل الكلام من صفات الباري ـ جل وعلا ـ لما استمسكوا بدليل الفساد والضلال فالتزموا لأجله حدوث كل موصوف بصفة قائمة به، وقالوا بخلق القرآن، وأنكروا رؤية الله في الآخرة، وعلوا الله على عرشه، وغير ذلك من أنواع التعطيل الناشئة بسبب أخدهم بهذ الدليل الفاسد(٢) .

3ـ ولأجل هذا الدليل التزم الجهم بن صفوان القول بفناء الجنة والنار (٣)

4ـ ولأجله التزم أبو الهذيل العلاف انقطاع حركات أهل النار .

وكل ما سبق يدل على بطلان هذا الدليل وأنه ليس من الإسلام في شيء.

سادسا : الرد على قولهم: إن سلوك هذه الطريق واجب في معرفة الصانع تعالى.

وهذا القول مع بطلانه من أعجب ما يكون فكيف يكون سلوك هذه الطريق المبتدعة في دين الإسلام واجبا في معرفة الله، وفي إثبات ما يجب له، وفيما ينزه عنه وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام بطلانها ومخالفتها لدلالة نصوص الشريعة؟.

---

(١) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (2/ 260ـ 261).
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1/ 98).
(٣) المصدر نفسه (1/ 97)

ولهذا أنكر السلف والأئمة من علماء الأمة هذا الدليل، وعابوه لاشتماله على كلام باطل؛ فهو عندهم من الكلام المذموم الباطل الذي لا يمكن أن يوصل من تمسك به إلى الحق، وإنما يفضي به إلى الضلال المبين، وعبارتهم متواترة، ومقالاتهم متطابقة في ذم ما كان مثل هذا الكلام المذموم[1] فمن ذلك :

1ـ قول أبي حنيفة النعمان رحمه الله ـ لما سأله سائل: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ قال:(مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة)[2].

2ـ قول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: (يعيب الجدال كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم)[3]

أو قال:(كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نحن عليه إذاً لا نزال في طلب الدين)[4]

3ـ قول أبي يوسف[5] ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال لبشر المريسي: (العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة)[1].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1/ 293).

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني(1/ 105).

(٣) انظر: ذم الكلام وأهله (5/ 68)

(٤) انظر: ذم الكلام وأهله للهروي (5/ 69)، والعلو للعلي الغفار للذهبي(138).

(٥) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير الأنصاري الكوفي، ولد عام (113هـ)، صحب الإمام أبا حنيفة سبع عشرة سنة، وتفقه على يديه، وهو من أنبل تلامذته وأعلمهم، قال عنه الذهبي: (الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة) توفي سنة(182 هـ). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (28/1)،سير أعلام

وعنه أيضا أنه قال:(من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كُذِّبَ)(٢).

وقال:(لا نصلي خلف من قال: القرآن مخلوق، ولا يفلح من استحلى شيئاً من الكلام..)(٣).

4ـ قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)(٤).

5ـ قول الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ : (عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض في الجدال والمراء فإنه لا يفلح من أحب الكلام وقال: لا أحب لأحد أن يجالسهم ويخالطهم أو يأنس بهم فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة فإن الكلام لا يدعوهم إلى خير فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال وعليكم بالسنة والفقه الذي تنتفعون به ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء أدركنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام...)(٥).

النبلاء (8/ 353ـ 358)

(١) انظر: ذم الكلام للهروي (252)، وشرح الطحاوية (1/ 179).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء(537/8)، وشرح الطحاوية (1/ 17).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (8/ 538).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (1/ 17ــ 18).

(٥) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (2/ 539)، والسير (11/ 291).

وقال: (علماء الكلام زنادقة)[1]

والمنقول عن العلماء من السلف الصالح من ذم علم الكلام وأهله كثير مذكور في الكتب المطولة[2] وفي كل هذا رد على جميع مَنْ خرج عن نهج الأئمة وهو يزعم أنه من أتباعهم ثم هو يتمسك في عقيدته بشبه كلامية ويَدَّعِي وجوبها ولزوم الأخذ بها فهذا محال وبعيد عن الحق والصواب.

الوجه الثاني: نقض ما بنوه من شبه على دليل الأعراض.

ذكرنا فيما سبق صيغة شبهة الكلابية في نفيهم لصفة الشكر وما كان مثلها من الصفات الاختيارية وزعموا أنها حجج عقلية تُسَوِّغُ لهم نفي صفات الرب الاختيارية، ولم يتفطنوا لما هي عليه في حقيقة أمرها، وأنها أباطيل وحجج واهيات كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور.

لذا لا بد من الوقوف على حقيقتها، وبيان أمرها، وكشف ما تشتمل عليه من ضلال مبين، وبعدها عن المنهج القويم وهو ما سيظهر من خلال أوجه الرد التالية:

الأول: رد المتأخرين من أهل الكلام لحجة المتقدمين منهم.

وهذه من الغرائب؛ فإن الحجة التي تمسك بها الكلابية والمتقدمون من الأشاعرة، ورفعوا أصواتهم بها في نفيهم لصفات الباري ـ جل وعلا ـ الاختيارية،

---

(١) انظر: درء التعارض (2/ 205)، وإعلام الموقعين (4/ 248)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (83)، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين (156).

(٢) انظر في هذا الموضوع: ذم الكلام للهروي، وتحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة، وصون المنطق والكلام عن علم الكلام للسيوطي.

وقولهم:((إن القابل لشيء لا يخلو عنه وعن ضده))، لم تجد قبولا حتى عند أتباعهم المتأخرين، بل عند فحول وكبار الأتباع كالرازي، والآمدي لم يقروا ما قاله أشياخهم المتقدمون؛ فقد استقصوا هذه الشبهة، وبينوا بطلانها، وما يترتب عليها من لوازم، حتى ظهر لهم فسادها، وضعفها، ولم يتمكنوا أن يحكموا عليها بالصحة والقوة، وهم موافقون لهم في نفي الصفات !! بل حكموا بردها، وأنه لا دليل لمن ادعاها على دعواه

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((وفحول النظار كأبي عبدالله الرازي،وأبي الحسن الآمدي، وغيرهما ذكروا حجج النفاة لحلول الحوادث وبينوا فسادها))[1].

وقال أيضا: ((واعترف حذاقهم بضعف جميع هذه الحجج العقلية في هذا الباب ... والرازي وغيره يقولون: إن جميع طوائف العقلاء يلزمهم القول بقيام الحوادث به))[2].

كما نقل ـ رحمه الله ـ تضعيف الآمدي لهذه الحجة التي تمسك بها الكلابية وغيرهم من المتقدمين من الأشاعرة حين قال:((وقد احتج أهل الحق على امتناع قيام الحوادث به بحجج ضعيفة ...))[3].

الثاني: من ردود شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ.

لقد واجه شيخ الإسلام شبهة الكلابية ومن وافقهم من الأشعرية، وناقش قولهم:(القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وَبَيَّنَ أنه لا دليل لهم على حجتهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (148/6).
(٢) منهاج السنة النبوية (2/ 448ـ 449).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (2/ 327).

ومن ردوده ـ رحمه الله ـ أنه ذكر أن شبهتهم مبنية على مقدمتين، وأن في كلٍ من المقدمتين نزاعا معروفا بين طوائف المسلمين ثم بين أكثر فقال: فأما المقدمة الأولى وهي(أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده)؛ فذكر أن أكثر العقلاء على خلافها، بل بين أن كثيراً من أهل الكلام كالهشامية والكرامية، وكذلك من أتباع الأشعرية ... فقد منعوا هذه المقدمة، وبينوا فسادها، وأنه لا دليل لمن ادعاها على دعواه.

وقال في رده: بل قد يكون الشيء قابلا للشيء وهو خال منه ومن ضده، كما هو الموجود؛ فإن القائلين بهذا الأصل التزموا أن كل جسم له طعم ولون وريح وغير ذلك من أجناس الأعراض التي تقبلها الأجسام.

فقال جمهور العقلاء: هذه مكابرة ظاهرة ودعوى بلا حجة، وإنما التزمته الكلابية لأجل هذا الأصل.

وأما المقدمة الثانية وهي:(أن ما لايخلو من الحوادث فهو حادث)؛ فهذه يمنعها أئمة السنة والحديث القائلين بأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، والقائلين بأنه لم يزل فعَّالا كما يقوله البخاري وغيره، والذين يقولون: الحركة من لوازم الحياة فيمتنع وجود حياة بلا حركة أصلا كما يقول الدارمي وغيره[1].

الثالث: أن يقال: لو سلمنا أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده.

(فهو كقول القائل: القادر على الشيء لا يخلو عن فعله وفعل ضده.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (5/ 320)، ودرء التعارض(1/ 482ـ 483)، (2/ 335)

وأنتم تقولون: إنه لم يزل قادرا، ولم يكن فاعلا ولا تاركا؛ لأن الترك عندكم أمر وجودي مقدور، وأنتم تقولون: لم يكن فاعلا لشيء من مقدوراته في الأزل مع كونه قادرا، بل تقولون: إنه يمتنع وجود مقدوره في الأزل، مع كونه قادرا عليه.

وإذا كان هذا قولكم، فلأن لا يجب وجود المقبول في الأزل بطريق الأولى والأحرى؛ فإن هذا المقبول مقدور لا يوجد إلا بقدرته، وأنتم تجوزون وجود قادر مع امتناع مقدوره في حال كونه قادرا(١)

فالقول في المقبول كالقول في المقدور.

فكما أن الله تعالى لم يزل قادرا منذ الأزل، مع امتناع وجود مقدوره في الأزل؛ فكذلك قولوا في أفعاله الاختيارية: لم يزل متصفا بها مع عدم وجوب وجود المقبول في الأزل؛ لأن هذا المقبول مقدور لا يوجد إلا بقدرة الله تعالى.

وهو ـ جل وعلا ـ لم يزل خالقا، رازقا محييا، ومميتا ... مع أن الخلق لم يكونوا معه منذ الأزل ... فالقول فيما أثبتم كالقول فيما نفيتم (٢)

الوجه الثالث: نقض قولهم بنفي الصفات الاختيارية بحجة نفي حلول الحوادث.

مسألة الصفات الاختيارية التي يسميها الكلابية وأتباعهم بـ (حلول الحوادث) من أوضح المسائل وأبينها؛ لكثرة ما دلَّ عليها من أدلة السمع، وأدلة العقل، وأقوال أهل العلم؛ وجميعها تدل على بطلان قول هؤلاء النفاة وهذا ما سيظهر لك أيها القارئ الكريم من خلال ما يلي:

---

(١) انظر: منهاج السنة (2/ 67)، والأصول التي بنى عليها المبتدعة (2/ 400).
(٢) انظر:الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم (2/400ـ 401).

أولا: دلالة الكتاب والسنة على إثبات الصفات الاختيارية.

الصفات الاختيارية من أعظم الأصول التي دل عليها الكتاب والسنة، بل في كتاب الله أكثر من مائة موضع كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - كلها تدل على هذا الأصل.(١) فمن ذلك:

أ ـ آيات الكتاب

1ـ قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ (٢) فالآية تدل على أن الله ـ عز وجل ـ أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم ـ عليه السلام ـ لم يأمرهم في الأزل.

2ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) فالله ـ سبحانه ـ إنما قال له: كن بعد أن خلقه من تراب ولم يكن ذلك في الأزل.

3ـ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (6/ 134، 140).

(٢) سورة الأعراف آية (11).

(٣) سورة آل عمران آية (59).

يُرِيدُ ﴾[1] فبين ـ سبحانه ـ أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد، ويأمر بما يريد؛ فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهي متعلقا بإرادته.

4ـ قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[2] والآية تدل على أن أعمالهم أسخطته، فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها.

فهذه الآيات وما كان مثلها تدل دلالة واضحة وصريحة على قيام الأفعال الاختيارية بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا من أقوى الأدلة على بطلان قول من نفى الصفات الاختيارية عن الله من الكلابية وغيرهم[3] .

ب ـ من أدلة السنة على إثبات الصفات الاختيارية :

1ـ ما احتج به السلف كالإمام البخاري في صحيحه وغيره وهو ما رواه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

« إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة » [4]

---

(١) سورة المائدة آية (1).

(٢) سورة محمد آية (28).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 134ـ 135).

(٤) ذكره البخاري تعليقا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:(كل يوم هو في شأن).انظر الفتح (13/ 496)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (2/ 91)، من رواية ابن مسعود حديث رقم (3944)، وأبوا داود في كتاب الصلاة، باب رد السلام في الصلاة (1/ 234)، حديث رقم (924)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/ 384)، حديث رقم (1892).

2ـ وفي الصحاح كما في حديث الشفاعة وفيه « ... فيقول كل من الرسل إذا أتوا إليه: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله... »(١).

والحديث يدل على أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله، وهذا يبطل قول نفاة الصفات الاختيارية.

3ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قالَ:

« بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخذه (وفي رواية: فأخره)، فشكر الله له، فغفر له » (٢)

وهذا الحديث نص في المسألة دلالته كدلالة الأحاديث قبله؛ فإنه يدل على حصول الشكر من الله بعد رفع ذلك الرجل للغصن عن طريق المسلمين وهذا يبطل قول كل من نفى صفات الله الاختيارية والله أعلم.

ثانيا: دلالة العقل الصريح على إثبات الصفات الاختيارية.

فكما دل النقل الصحيح على ثبوت اتصاف الله ـ عز وجل ـ بالصفات الاختيارية فكذلك يدل العقل على ثبوتها وممن استدل به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ حيث قال:((ونفي هذه الصفات ـ أي الاختيارية ـ يتضمن النقص لكل من نفيت عنه سواء قيل: إنه قابل لها، أو لم يقل؛ فإنه من المعلوم بصريح

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) برقم:(3340)، وفي كتاب التفسير برقم(4712)، انظر: الفتح(6/ 371)، (8/ 395)، والإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعته ﷺ ـ يوم القيامة برقم (327)، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (3/ 429).

(٢) سبق تخريجه في ص(124).

العقل أن المتصف بالحياة والعلم والكلام والسمع والبصر أكمل ممن لم يتصف بذلك، وما قدر انتفاء ذلك عنه كالجماد فهو أنقص بالنسبة إلى من اتصف بذلك))[1].

ثالثا: من أقوال العلماء في إثبات الصفات الاختيارية .

أقوال علماء أهل السنة في إثبات الصفات الاختيارية كثيرة جدا نذكر منها بما يفي بالمقصود ـ بإذن الله ـ لبيان الحق والرد على المخالفين:

منها ما جاء عن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: ((إذا قال لك جهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء))[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان قول الفضيل:((أراد الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ مخالفة الجهمي الذي يقول: إنه لا تقوم به الأفعال الاختيارية فلا يتصور منه إتيان، ولا مجيء، ولا نزول، ولا استواء، ولا غير ذلك من الأفعال الاختيارية القائمة به. فقال الفضيل: إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أومن برب يفعل ما شاء. فأمره أن يؤمن بالرب الذي يفعل ما يشاء من الأفعال القائمة بذاته التي يشاؤها، لم يرد من المفعولات المنفصلة عنه))[3].

ومنها ما ذكره الإمام البخاري رحمه الله ـ عن شيخه نُعَيْم بن حماد رحمه الله ـ في قوله:((ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخَلْق، وأن العرب لا تعرف

(١) درء التعارض (2/ 333).

(٢) انظر: خلق أفعال العباد (36)، وبرقم (61)، وأخرجه اللآلكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة(3/ 452)، وبرقم (775).

(٣) شرح حديث النزول (154).

الحي من الميت إلا بالفعل، فمن كان له فعل فهو حي، ومن لم يكن له فعل فهو ميت، وأن أفعال العباد مخلوقة، فَضُيِّق عليه حتى مضى لسبيله، وتوجَّع أهلُ العلم لما نزل به، وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نُعَيْما ومن نحا نحوه ليس بمفارق ولا مبتدع، بل البدع والرَّئيس بالجهل بغيرهم أولى، إذ يفتون بالآراء المختلفة، ما لم يأذن به الله))[١].

ومن الأئمة الذين أنكروا مذهب الكلابية وكانت له معهم مواقف وحوارات بل ذمهم وكذبهم فيما يقولون وينقلونه عنه الإمام ابن خزيمة رحمه الله ـ فقد ذكر الإمام الذهبي في السير أن أبا علي الثقفي ـ وهو من الكلابية ـ قال للإمام ابن خزيمة رحمه الله ـ:((ما الذي أنكرت أيها الأستاذ من مذاهبنا حتى نرجع عنه؟ قال: مَيْلكم إلى مذهب الكلابية، فقد كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد بن كلاب، وعلى أصحابه مثل الحارث وغيره ...))[٢].

ومن العلماء الذين بينوا أن حقيقة قول الكلابية والأشعرية في الصفات هو نفيها وعدم إثباتها الإمام الحافظ أبو نصر السجزي رحمه الله ـ فقد قال:((وينبغي أن يتأمل قول الكلابية والأشعرية في الصفات؛ ليعلم أنهم غير مثبتين لها في الحقيقة، وأنهم يتخيرون من النصوص ما أرادوه، ويتركون سائرها ويخالفونه))[٤]

---

(١) خلق أفعال العباد (192)، ورقم(380).

(٢) سير أعلام النبلاء(14/ 380).

(٣) هو أبو نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي البكري السجستياني، شيخ الحرم، قال عنه الذهبي: الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة ... توفي بمكة في المحرم سنة (444هـ).انظر: سير أعلام النبلاء(13/ 270).

(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (112).

كما أنه رحمه الله ـ حكى اتفاق علماء السنة على إثباتها في قوله الذي نقله عنه الذهبي إذ قال:((وأئمتنا كسفيان، ومالك، والحمادين[١]، وابن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء))[٢].

وممن أكد أقوال العلماء السابقين من أهل السنة ورد على المخالفين في مسألة الصفات الاختيارية شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث قال: ((وقد بسط الكلام على " هذه المسألة " وما قال فيها عامة الطوائف في غير هذا الموضع وحكيت ألفاظ الناس بحيث يتيقن الإنسان أن النافي ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية؛ وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة لمذهب السلف وأهل الحديث؛ وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة مع " الكتب المتقدمة ": التوراة والإنجيل والزبور فقد اتفق عليها نصوص الأنبياء وأقوال السلف وأئمة العلماء ودلت عليها صرائح المعقولات؛ فالمخالف فيها كالمخالف في أمثالها ممن ليس

---

(١) هما حماد بن سلمة، وحماد بن زيد. وأما حماد بن سلمة فهو: حماد بن سلمة بن دينار البصري البزاز، وكنيته أبو سلمة، أحد أئمة المسلمين، وكان ثقة عابدا ثبتا إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وأما حماد بن زيد فهو: حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل الأزرق،وجده درهم من سبي سجستان، وكان ثقة ثبتا حجة كثير الحديث، وكان ضريرا يحفظ حديثه كله. انظر: تاريخ ابن معين(2/ 130)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال(7/ 250، 251)، وسير أعلام النبلاء(7/ 456، 444).

(٢) سير أعلام النبلاء (13/ 271).

معه حجة لا سمعية ولا عقلية بل هو شبيه بالذين قالوا:﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [1]))[2]

وممن رد أيضا على القائلين بنفي الصفات الاختيارية حذرا من حلول الحوادث بالرب ـ جل وعلا ـ ابن أبي العز الحنفي حيث قال:((وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن – فهذا نفي صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته – فهذا نفي باطل.

وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فَيُسَلِّم السُنِّي للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سَلَّمَ له هذا النفي ألزمه نفيَ الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو لازم له. وإنما أُتِيَ السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه))[3].

---

(١) سورة الملك آية (10).
(٢) مجموع الفتاوى (6/ 154).
(٣) شرح الطحاوية (1/ 189).

المطلب الثاني: مذهب من يثبت صفة الشكر ويجعلها حادثة بعد أن لم تكن وفيه ثلاث مسائل:

من الفرق الصفاتية التي ذهبت إلى أن صفات الله ـ تعالى ـ الفعلية صفات حادثة بعد أن لم تكن ومنها صفة الشكر: الكرامية ومن خلال المسائل التالية سيظهر مذهبهم في صفة الشكر والرد عليه ـ بإذن الله ـ:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الشكر.

لقد اضطرب الكرامية اضطرابا عظيما في باب صفات الباري ـ جل وعلا ـ بسبب دليل الضلال الذي تلقفوه من الجهمية والمعتزلة والمسمى (بدليل الأعراض وحدوث الأجسام) وهذه نهاية حتمية فإن (الكلام الباطل لا يدل إلا على باطل)[١] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ عن ابن كرام واضطرابه:((وتكلم أيضا في (مسألة الجسم)، ومسألة (حلول الحوادث) بكلام تناقض فيه؛ فلم يجرِ فيه على السنة قاعدة عقلية ولا سمعية، وتكلم بأمور أخرى أُنْكِرت عليه ...))[٢]

لذا فإن هذه الحال توجب علينا ذكر أصول مذهبهم في الصفات الاختيارية ليظهر لنا قولهم في صفة الشكر التي نحن بصدد دراستها وبيان موقفهم منها فمن أصول مذهبهم:

أولا: أنهم جعلوا القسمة العقلية للموجودات ثنائية؛ إما جسم، وإما عرض فقالوا: إنه لا يقوم في المعقول إلا جسم أو عرض، والقديم ـ تعالى [٣]ـ يستحيل أن

(١) درء التعارض (1/ 293).

(٢) شرح الأصبهانية (379).

(٣) هم يطلقون على الله ـ جل وعلا ـ الجسم القديم. انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (2/ 170).

يكون عرضا؛ فيجب أن يكون جسما، وهم بذلك يقيسون وجود الخالق ـ جل وعلا ـ على الموجود المشاهد(١)

ثانيا: أنهم يجوزون ثبوت جسم قديم أزلي لا أول لوجوده وهو خال عن جميع الحوادث؛ ولا يجوز عندهم أن تتعاقب عليه الحوادث؛ فإن ما تعاقبت عليه الحوادث فهو حادث(٢).

ثالثا: ومن أصولهم التي وافقوا فيها الجهمية والمعتزلة(٣):

أ ـ أن الأجسام لا تخلو من الحوادث.

ولكنهم خالفوا في تطبيق هذا الأصل؛ ففرقوا بين الجسم الأزلي ـ وهو الله عندهم ـ وبين الأجسام المخلوقة بقولهم: إن الجسم الأزلي يخلو عن الحوادث أزلاً .

ب ـ قولهم: ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ولكنهم قالوا: إن ذلك لا ينطبق على الجسم الأزلي الذي كان خاليا من الحوادث أزلا؛ فلا يدخل في عموم هذا الأصل، ولا يقاس على الأجسام المخلوقة التي لا تخلو من الحوادث مطلقاً.

ج ـ قولهم : إن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم، وقالوا: بأن الله ـ تعالى ـ جسم كالأجسام، ولكنهم فرقوا بينه وبين الأجسام الأخرى فيما يجب ويجوز ويمتنع ..

لذلك قالوا : بنفي زوال الحوادث بعد قيامها، دون نفي حدوثها بعد أن لم تكن.

---

(١) انظر : الأصول التي بنى عليها المبتدعة (2/ 170ـ 172).

(٢)انظر: منهاج السنة (1/ 194)، ومجموع الفتاوى (6/ 314).

(٣) انظر: منهاج السنة (1/ 194)، ومجموع الفتاوى (6/ 314)، الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات(2/ 170ـ 172) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((إن الكرامية يفرقون في الحوادث بين تجددها، وبين لزومها؛ فقالوا بنفي لزومها له، دون نفي حدوثها. كما قالوا في المخلوقات المنفصلة: إنها تحدث بعد أن لم تكن بمشيئته وقدرته))[1]

رابعا: أن ابن كرام وأصحابه: يثبتون أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يوصف بالصفات الاختيارية، ويتكلم بمشيئته وقدرته، ولكن عندهم يمتنع أنه كان في الأزل متكلما بمشيئته وقدرته لامتناع حوادث لا أول لها.

فلم يقولوا بقول السلف : إنه لم يزل متكلما إذا شاء؛ بل يقولون: إنه صار يتكلم بمشيئته وقدرته بعد أن لم يكن كذلك[2].

والكرامية حينما قالوا: إنه سبحانه متكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته أرادوا أن يتخلصوا بذلك من بدعتي المعتزلة والكلابية؛ لكنهم وافقوا أهل الكلام حين قالوا: إنه لم يكن يمكنه في الأزل أن يتكلم، بل صار الكلام ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عليه من غير حدوث سبب أوجب إمكان الكلام وقدرته عليه [3]

خامسا: أنهم يرون أنهم يوافقون أهل السنة والجماعة (في أن لله أفعالا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، ويقوم به غير ذلك من الإرادات والكلام الذي يتعلق بمشيئته وقدرته

---

(١) الفتاوى (6/ 314).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (13/ 314).

(٣) انظر: المصدر نفسه (12/ 170).

لكن قالوا لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث؛ فإن ما تعاقب عليه الحوادث فهو محدث، ووافقوا المعتزلة في الاستدلال بذلك على حدوث العالم)[١]

إذاً الحوادث التي تقوم بالله ـ تعالى ـ عندهم لا يخلو منها، ولا يزول عنها؛ لأنه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها، وإذا كان قابلا لذلك لم يخل منه، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث [٢]

وهذا الذي خالفوا فيه أهل السنة الذين قالوا: إنه تقوم به، وتتعاقب عليه وفق إرادته ومشيئته، ولم يمنعوا تجددها المتعلق بمشيئته وقدرته.

فالله ـ سبحانه ـ ما زال فاعلا وموصوفا بالصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته كما سيظهر عند الرد على هذه الطائفة بإذن الله تعالى[٣]

تقرير قول الكرامية في صفة الشكر :

عند استعراض ما سبق يتبين أن الكرامية يثبتون صفة الشكر لله ـ تعالى ـ، وأنها من الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته، ولكنهم خالفوا الحق لما قالوا: بأنها حادثة بعد أن لم تكن؛ وأن الله ـ عز وجل ـ في الأزل لم يكن موصوفا بها إلا بمعنى القدرة عليها لامتناع حوادث لا أول لها.

فهم بذلك ينفون أن تكون صفة الشكر قديمة النوع؛ لأنهم لو قالوا بقدمها لبطل عندهم دليل حدوث العالم الدال على وجود الله تعالى[٤]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 314).

(٢) انظر: المصدر نفسه(13/ 84).

(٣) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (2/ 180).

(٤) الفتاوى لا بن تيمية (6/ 314)، و(12/ 32، 150)، والفتاوى العراقية له (2/

ويظهر من قولهم أنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته وبمشيئته بعد أن لم يكن؛ أنهم يقيسون صفاته بصفات المخلوقين الحادثة بعد أن لم تكن، لأن من زعم أن الله ـ تعالى ـ متصف بصفة محدثة لم تكن فكانت فقد دخل في حكم التشبيه بالصفات التي هي محدثة في المخلوقين وموجودة فيهم بعد أن لم تكن [١]

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

الكرامية حين أثبتوا الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته وقالوا: إنها حادثة في ذات الله مسبوقة بالعدم بمعنى: أن الله لم يكن موصوفا بها، ومنها صفة الشكر؛ إنما ألجأهم إلى ذلك: هو خوفهم من القول بحوادث لا أول لها؛ فإن هذا يلزم منه التسلسل في الموجودات، والقول بقدم الأنواع فينسد عليهم طريق إثبات الصانع؛ لأنهم شاركوا الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في الاستدلال على حدوث العالم بدليل الأعراض المشهور بين المتكلمين ومبنى الدليل على منع التسلسل قالوا: فلو كان الباري تعالى متكلما في الأزل بكلام لا أول له، وفاعلا لأفعال لا أول لها لزمنا القول بالتسلسل؛ فبطل دليلنا الذي استدللنا به على حدوث العالم[٢]

ولهذه الشبهة اضطروا إلى أن يجعلوا لما يحدث في ذاته ـ تعالى ـ من الشكر أو الفعل ابتداءً؛ لكنه مع ذلك إذا حدث فليس قابلا عندهم للزوال والفناء لقولهم:

1047)، ومقالة التشبية وموقف أهل السنة منها (1/ 491).

(١) انظر : الفتاوى العراقية لابن تيمية (2/ 1047)، ومقالة التشبية (1/ 491).

(٢) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى (1/ 286)، وشرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس (1/ 122ـ 123).

(إن هذه الحوادث التي تقوم به ـ تعالى ـ لا يخلو منها ولا يزول عنها؛ لأنه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها، وإذا كان قابلا لذلك لم يخل منه، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث) [(١)]، وإنما كان كذلك لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ـ كما قالت الكلابية ـ، وإنما يقبل على أصلهم أنه تقوم به الحوادث فقط، فهم يقولون: عندما كان خاليا من الحادث في الأزل كان ساكنا، والسكون أمر عدمي؛ فإذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فإنما يعدم الحادث بإحداث يقوم به وهذا ممتنع؛ لأنه يمتنع عدم الجسم[(٢)]

يقول ابن القيم ~~رحمه الله~~ ـ في نونيته مبينا مستمسك الكرامية في قولهم في الصفات:

والقائلون بأنه بمشيئة	في ذاته أيضا فهم نوعان
إحداهما جعلته مبدوءا به	نوعا حذار تسلسل الاعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم	إثبات خالق هذه الاكوان
فلذاك قالوا إنه ذو أول	ما للفناء عليه من سلطان
وكلامه كفعاله وكلاهما	ذو مبدء بل ليس ينتهيان[(٣)]

المسألة الثالثة: الرد عليهم:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (13/ 84).

(٢) انظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم (148).

(٣) انظر: الكافية الشافية مع شرحها لهراس (1/ 122).

الكرامية لما عارضوا الوحي بشبهات كلامية وحجج فلسفية عظمت بليتهم، وبعدت طريقتهم عن منهاج السنة النبوية، وأخذوا يستدلون لتصحيح باطلهم بأدلة ما أنزل الله بها من سلطان وإنما هي من وحي الشيطان وحزبه فمن ذلك[1]:

أ ـ أنهم أسسوا مذهبهم على دليل الأعراض وحدوث الأجسام.

ب ـ احتجاجهم بشبهة(ما لا يسبق الحوادث فهو حادث).

ج ـ قولهم: إن الله لم يزل معطلا لا يتكلم، ولا يفعل شيئا ثم حدث ما حدث من كلام ومفعولات بغير سبب.

د ـ قولهم (بامتناع حوادث لا أول لها).

هـ ـ قياسهم وتشبيههم صفات الله بصفات خلقه الحادثة بعد أن لم تكن؛

فإذا كان الأمر كذلك فسيكون الرد عليهم من خلال الوجوه التالية:

الوجه الأول: نقض الدليل الذي أسسوا عليه مذهبهم.

سبق أن ذكرنا أنَّ مما أوقع الكرامية فيما قالوا من أقوال باطلة في صفات الله الاختيارية هو تمسكهم بدليل الأعراض وحدوث الأجسام وبسبب تصحيح هذا الدليل قالوا إن صفة الشكر وغيرها من الصفات الاختيارية: صفات حادثة بعد إن لم تكن.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 316)، و(12/ 32، 150)، وشرح الأصبهانية (379)، و الفتاوى العراقية (2/ 1047)، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها لجابر أمير (1/ 491ـ 2/ 97).

وهذا الأصل الذي جعلوه أصل دينهم قد بيَّنا بطلانه عقلا وشرعا في الرد على الكلابية مما يغني عن إعادته هنا[١]

الوجه الثاني: الرد على شبهة: ما لا يسبق الحوادث فهو حادث.

بناء على هذه الشبهة التزمت الكرامية بلوازم باطلة منها قولهم: إن صفة الشكر صفة حادثة في ذات الله بعد إن لم تكن، ونفوا أن تكون قديمة النوع حادثة الآحاد كما هو مذهب أهل السنة والجماعة لذا فإن رد هذه الشبهة وبطلانها يظهر بأمور عدة منها ما يلي :

أولا: يقال لهم: إن شبهتكم هذه باطلة من أساسها فلا تقوم بها حجة إذ منشؤها الكلام المذموم الذي اتبعتم فيه من سبقكم من أهل الضلال في هذا الباب كالجهمية والمعتزلة الذين ابتدعوا أمثال هذه الحجج الواهية وبنوا عليها أصول دينهم، وجعلوها أصل دين المسلمين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -:((وهذا الأصل الذي ابتدعه الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام، من امتناع دوام فعل الله، وهو الذي بنوا عليه أصول دينهم، وجعلوا ذلك أصل دين المسلمين، فقالوا: الأجسام لا تخلو من الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث، فهو حادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث؛ لأن ما لا يخلو عنها ولا يسبقها يكون معها أو بعدها، وما كان مع الحوادث أو بعدها فهو حادث...))[٢].

ثانيا: ويرد على شبهة الكرامية أيضا بما رد به علماء السلف على من جعل بعض الصفات الاختيارية حادثة بعد أن لم تكن كصفة الكلام فهي من جنس صفة

---

(١) انظر: الصفحات (244ـ 250) من هذه الرسالة.

(٢) شرح حديث النزول (161)

الشكر ومن ذلك رد الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - على القائلين بخلق القرآن ومن وافقهم:((... ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلامًا، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه. وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام))[١].

وقال - رحمه الله:((لم يزل الله عالما متكلما غفورا))[٢].

وكلام الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - وإن كان ردا على الجهمية فإنه يكون ردا على كل من أخذ بأصلهم كالكرامية وغيرهم الذين وافقوهم في مقالتهم؛ فقوله (لم يزل متكلما) فيه رد على الكرامية في موقفهم من الصفات الاختيارية التي قالوا بحدوثها بعد أن لم تكن تمسكا بشبهتهم ما لا يسبق الحوادث فهو حادث.

وهذه الشبهة وأمثالها مما يجب رده وإنكاره لما تتضمنه من التشبيه والكفر كما قال الإمام أحمد - رحمه الله - وأن الواجب في حق الله تنزيهه عن كل ذلك، وأن يثبت له صفات كماله سبحانه وتعالى من غير تعطيل أو تمثيل.

ثالثا:ومما يبين بطلان مستمسك الكرامية أنهم في مقالتهم هذه متناقضون أشد التناقض وأعظمه إذ أنهم لم يفرقوا بين ما لا يخلو عن نوع الحوادث، وبين ما لا يخلو عن عين الحوادث، ولا فرقوا فيما لا يخلو عن الحوادث، وبين أن يكون مفعولا معلولا، أو يكون فاعلا واجبا بنفسه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:((قلت: من أصولهم التي تلقوها

---

(١) الرد على الزنادقة الجهمية (276ـ 278).

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل، جمع عبدالإله الأحمدي (1/ 287).

عن المعتزلة أن ما لا يسبق الحوادث فهو حادث، وهذا متفق عليه بين العقلاء إلا إذا أريد به الحادث بالشخص، فإن ما لا يسبق الحادث المعين يجب أن يكون حادثاً، وأما ما لا يسبق نوع الحادث فهو محل النزاع بين الناس وعليه ينبني هذا الدليل.

وكثير من الناس لا يميز في هذا المقام بين ما هو بعينه حادث، وما تكون آحاد نوعه حادثة والنوع لم يزل، حتى أن كثيراً من أهل الكلام إذا رأوا أن الحركات حادثة، أو غيرها من الأعراض، اعتقدوا أن ما لا يسبق ذلك فهو حادث، ولم يميزوا بين ما لا يسبق الحادث المعين، وما لا يسبق النوع الدائم الذي آحاده حادثة، فهو لا يسبق النوع وإن سبق كل واحدٍ واحدٍ من آحاده))(١).

وفي موطن آخر بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ أن قول القائل: (ما لا يسبق الحوادث فهو حادث) له معنيان فليس هو على إطلاقه حيث قال:((إن القائل إذا قال:(ما لا يسبق الحوادث فهو حادث) فله معنيان:

أحدهما: أنه لا يسبق الحادث المعين، أو الحوادث المعينة أو المحصورة، أو الحوادث التي يعلم أن لها ابتداء؛ فإذا قُدِّرَ أنه أريد بالحوادث كل ما له ابتداء، واحداً كان أو عدداً، فمعلوم أنه ما لم يسبق هذا أو لم يَخْلُ من هذا لا يكون قبله، بل لا يكون إلا معه أو بعده، فيكون حادثاً.

وهذا مما لا يتنازع فيه عاقلان يفهمان ما يقولان،وليس هذا مورد النزاع.

ولكن مورد النزاع هو: ما لم يخل من الحوادث المتعاقبة التي لم تزل متعاقبة، هل هو حادث؟ وهو مبني على أن هذا هل يمكن وجوده أم لا؟ فهل يمكن وجود

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (4/ 210).

حوادث متعاقبة شيئاً بعد شيء دائمة لا ابتداء لها ولا انتهاء؟ وهل يمكن أن يكون الرب متكلماً لم يزل متكلماً إذا شاء؟ وتكون كلماته لا نهاية لها، لا ابتداء ولا انتهاء، كما أنه في ذاته لم يزل ولا يزال ابتداء لوجوده ولا انتهاء له؟ بل هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، فهو القديم الأزلي الدائم الباقي بلا زوال، فهل يمكن أن يكون لم يزل متكلماً بمشيئته، فلا يكون قد صار متكلماً بعد أن لم يكن، ولا يكون كلامه مخلوقاً منفصلاً عنه، ولا يكون متكلماً بغير قدرته ومشيئته، بل يكون متكلماً بمشيئته وقدرته، ولم يزل كذلك، ولا يزال كذلك.

هذا هو مورد النزاع بين السلف والأئمة الذين قالوا بذلك، وبين من نازعهم في ذلك ...))(١).

الوجه الثالث: **الرد على قولهم**: إن الله لم يزل معطلا لا يتكلم، ولا يفعل شيئا ثم حدث ما حدث من كلام ومفعولات بغير سبب.

فالرد على قولهم هذا:

أن يقال: إن هذا قول لم ينطق به شيء من كتب الله لا القرآن ولا التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا نقل هذا عن أحد من أنبياء الله ولا قاله أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولا التابعون لهم بإحسان.

ولكن الذي نطقت به الكتب والرسل أن الله خالق كل شيء فما سوى الله مخلوق ومحدث كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بعدم نفسه.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (1/ 155 ـ 156).

أما الرب ـ جل وعلا ـ لم يزل ولا يزال متصفا بصفات الكمال، لم يصر قادرا بعد أن لم يكن، ولا متكلما بعد أن لم يكن، ولا موصوفا بأنه خالق فاعل بعد أن لم يكن؛ بل لم يزل موصوفا بصفات الكمال المتضمنة لكماله في أقواله وأفعاله.

لأن وصف الباري ـ جل وعلا ـ بصفة من صفات الكمال كالشكر أو غيرها بعد أن لم تكن!!! وصف لله ـ تعالى بالكمال بعد النقص، وأنه ـ تعالى ـ اتصف بصفة كَمُلَ بها بعد نقصه!! ـ تعالى الله عن ذلك ـ فهذا ممتنع في حق الله ـ تعالى ـ، لأنه ـ عز وجل ـ متصف بصفات الكمال أزلا وأبدا منزه عن الاتصاف بصفات النقص ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[١].

كما يقال أيضا:(إن من لم يزل موصوفا بصفات الكمال أكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن موصوفا بها لو كان حدوثها ممكنا، فكيف إذا كان ممتنعا؟؛ فتبين أن الرب لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال، وكل هذا مبطل لشبهات أهل الزيغ والضلال)[٢]

الوجه الرابع: الرد على قولهم: بامتناع حوادث لا أول لها[٣].

هذه المسألة مسألة تسلسل الحوادث من المسائل العويصة التي حارت فيها عقول طوائف من أهل الكلام لما كان مستندهم فيها الكلام المذموم الذي حذر منه

---

(١) انظر: الصفدية (1/ 13 ، 14، 130).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (12/ 32)، وشرح الطحاوية (1/ 188).

(٣) انظر في مسألة تسلسل الحوادث: منهاج السنة لابن تيمية (1/ 91)، ودرء التعارض (1/ 289، 290، 301ـ 303، 331)، و مجموع الفتاوى (5/ 315، 16/ 218)، والصفدية (1/ 11ـ 52)، وشفاء العليل لابن القيم (319)، وشرح الطحاوية (1/ 194ـ 200)، وتوضيح المقاصد لابن عيسى(1/ 370).

السلف ـ عليهم رحمة الله ـ فوقع أكابر النظار من أهل الكلام في الاشتباه والالتباس فأسسوا مذهبهم فيها على شفا جرف هار فانهار بهم في قاع سحيق.

قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((إنها من محارات العقول))[١]

وقال أيضا:((فمن تدبر هذه الحقائق، وتبين له ما فيها من الاشتباه والالتباس تبين له محارات أكابر النظار في هذه المهامه [٢] التي تحار فيها الأبصار. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم))[٣]

والكرامية لما شاركوا الجهمية والمعتزلة في الاستدلال على حدوث العالم بدليل الأكوان المشهور المبني على منع التسلسل، وقالوا: بامتناع حوادث لا أول لها، ونتج عن ذلك مذهبهم في الصفات الفعلية ومنها صفة الشكر إذ أنهم وصفوا الله بها ولكنهم جعلوا لها أولا، وقالوا بأنها حادثة بعد أن لم تكن؛ لأنه لو كان متصفا بها في الأزل ـ بزعمهم ـ لأدى ذلك إلى أن تتعاقب عليه الحوادث، وما تعاقب عليه الحوادث فهو محدث؛ لأنه يفضي إلى القول بحوادث لا أول لها فيلزم من ذلك بزعمهم التسلسل في الموجودات والقول بقدم الأنواع فينسد عليهم طريق إثبات الصانع[٤]

لذا فإن رد شبهة الكرامية يقتضي الرد على ما بنيت عليه وهي مسألة امتناع تسلسل الحوادث، وسيكون ردها من طريقين :

---

(١) منهاج السنة (1/ 187).

(٢) المهامه: جمع مهمة وهي المفازة البعيدة الأطراف. انظر: لسان العرب، فصل الميم، (13/ 542).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (1/ 337).

(٤) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسي (1/ 286).

أولا: أن يقال: إن لفظ التسلسل الذي بنيتم عليه القول بامتناع حوادث لا أول لها هو عند أهل الحق من الألفاظ المجملة (التي لم يرد بنفيها، ولا إثباتها كتاب ناطق، ولا سنة متبعة فيجب مراعاة لفظها)[1]

ثانيا: أن يقال لهم: إن إطلاقكم منع التسلسل غير مسلم لكم، وذلك أن لفظ التسلسل إذا أطلق يراد به معنيان:

أحدهما: تسلسل في الفاعلين أو في العلل الفاعلة أو المؤثرات

وذلك مثل أن يقال: لفاعل العالم فاعل، وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له.

أو يقال: للخالق خالق، وللخالق خالق وهلمَّ جراً .

وهذا النوع من التسلسل باطل بصريح العقل، واتفاق العقلاء[2]

والتسلسل في المؤثرات والفاعلين يقترن به تسلسل آخر وهو التسلسل في تمام الفعل والتأثير وهو نوعان:

أ ـ تسلسل في جنس الفعل.

ب ـ تسلسل في الفعل المعين.

(فالأول مثل أن يقال: لا يفعل الفاعل شيئا أصلا حتى يفعل شيئا معينا، أو لا يحدث شيئا حتى يحدث شيئا أولا.

---

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم (319).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل(1/ 303، 325، 333ـ 335)، والصفدية (1/ 11ـ 24)، ومنهاج السنة (1/ 158)، وشفاء العليل لابن القيم (319).

أو لا يصدر عنه شيء حتى يصدر عنه شيء؛ فهذا باطل أيضا بصريح العقل و واتفاق العقلاء .....

والثاني:قد يراد بالتسلسل في حدوث الحادث المعين أو في جنس الحوادث:

أن يكون حدث مع الحادث تمام مؤثره، وحدث مع حدوث تمام المؤثر المؤثر. وهلم جرا.

وهذا أيضا باطل بصريح العقل واتفاق العقلاء، وهو من جنس التسلسل في تمام التأثير)[١].

فظهر بذلك أن التسلسل في الفاعلين، أو في العلل الفاعلة ممتنع، بل هو التسلسل المنهي عنه، والذي أمرنا النبي ﷺ ـ بأن نستعيذ بالله منه وأن يقول العبد لو ألقى الشيطان عليه بعض وساوسه في خالقه وموجده: (آمنت بالله ورسله)[٢] كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه[٣] فليستعذ بالله ولينته » [٤]

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1/ 334 ـ 335)، والصفدية (1/ 11).

(٢) نص الحديث كما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:« لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله » وفي رواية: « ورسله». انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (2/316،317) الحديثين رقم:212،213).

(٣) بلغه: الضمير راجع إلى مصدر يقول أي: إذا بلغ قوله:(من خلق ربك). انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (2/ 518).

(٤) أخرجه الإمام البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم:(3276)، صحيح البخاري (546)، والأمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الوسوسة

الثاني: التسلسل في الآثار وهو:

أن يكون الحادث الثاني موقوفا على حادث قبله، وذلك الحادث موقوف على حادث قبل ذلك وهَلُمَّ جرا، وهذا في الماضي[1].

أو: وجود حادث، وبعده حادث، وهكذا ـ في المستقبل[2].

فهذا جائز عند علماء أهل السنة، وكثير من النظار أهل الكلام والفلاسفة [3]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ في رده على الفلاسفة:

((أما جواز التسلسل فإن أرادوا به التسلسل المتعاقب في الآثار شيئا بعد شيء؛ فهم يقولون بجواز ذلك؛ وحينئذ فلا يمتنع أن يكون كل ما سوى الله محدثا كائنا بعد أن لم يكن...))[4]

وأهل السنة يوافقون أهل الكلام، ومن وافقهم في قولهم بحدوث العالم، ويخالفونهم في تعطيل صفات الباري جلها أو كلها، أو القول بأن صفات الله الاختيارية حادثة بعد أن لم تكن كما هو مذهب الكرامية استنادا إلى أصلهم (منع حوادث لا أول لها).

في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث رقم:(214)، صحيح مسلم بشرح النووي (2/ 317).

(١) انظر: درء التعارض (1/ 303).

(٢) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (2/ 329).

(٣) انظر: مرجع سابق (1/ 303، 335).

(٤) انظر: نفس المصدر(درء التعارض (1/ 337).

لأن مذهبهم في منع التسلسل في الآثار كما أنه مبني على دليل الأعراض فهو مشوب بظن سيء وعدم فهم حيث أنهم لم يفرقوا بين الكلام في تناهي الآثار، وبين الكلام في تناهي المؤثرات فضنوا أنهما بمنزلة واحدة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((ومن الناس من ظن أن الكلام في تناهي المؤثرات بمنزلة الكلام في تناهي الآثار كما ظن ذلك طائفة من أهل الكلام والجدل، ثم من هؤلاء من قال: فإذا كان تناهي الآثار لا يقوم دليل على فساده فكذلك تناهي العلل [1] .... وكثير من أهل الكلام من المعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية والكرامية ... لما سَوَّوْا بين النوعين اعتمدوا في نفي التسلسل في المؤثرات والآثار على طرق معروفة قد أفسدها كثير منهم، حتى أن الرجل من هؤلاء يذكر بعض الطرق في كتاب ويفسدها في كتاب آخر...))[2]

لذا لا بد من بيان أقوال الطوائف في هذه المسألة ليظهر الحق ويتبع، ويعرف سبيل المخالفين للبعد عنه؛ فأقوال:

إن أقوال الطوائف في مسألة تسلسل الحوادث تشعبت إلى ثلاثة أقوال[3]:

القول الأول:منع التسلسل في الآثار في الماضي والمستقبل جميعا.

---

(١) في الأصل (تتناهى العلل) ولعل الصحيح ما أثبته لدلالة سياق الكلام على ذلك والله أعلم

(٢) الصفدية (1/ 23).

(٣) انظر: الصفدية (1/ 10ـ11)، ودرء التعارض (1/ 290)، ومنهاج السنة (1/ 110)، وشفاء العليل لابن القيم (319).

وهو قول الجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف، وبناء على هذا القول زعم الجهم بن صفوان أن الجنة والنار تفنيان، وأبو الهذيل العلاف زعم أن حركات أهل الجنة تنقطع ويبقون في سكون دائم، ولأجل هذا القول حكم عليهما أئمة الإسلام بالضلال .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((والتسلسل في المستقبل جائز عند جماهير المسلمين، وغيرهم من أهل الملل، وغير أهل الملل؛ فإن نعيم الجنة وعذاب النار دائمان مع تجدد الحوادث فيهما، وإنما أنكر ذلك الجهم بن صفوان فزعم أن الجنة والنار تفنيان، وأبو الهذيل العلاف زعم أن حركات أهل الجنة تنقطع ويبقون في سكون دائم.

وذلك أنهم اعتقدوا أن التسلسل في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل؛ قالوا هذا القول الذي ضللهم به أئمة الإسلام))(١)

القول الثاني: منع التسلسل في الآثار في الماضي دون المستقبل.

وهذا قول أكثر أتباع جهم وأبي الهذيل، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية ومن وافقهم.

وبناء على هذا القول قالت الكرامية بحدوث الصفات الاختيارية بعد أن لم تكن وهذا التفريق بين الماضي والمستقبل لا دليل عليه لا من كتاب ولا من السنة.

فيرد عليهم وعلى من وافقهم من أهل الكلام: بأن يقال: إن ما ذكرتموه (من أن الله عز وجل ـ لم يزل معطلا لا يتكلم، ولا يفعل شيئا، ثم حدث ما حدث من

(١) منهاج السنة (1/ 91).

كلام ومفعولات بغير سبب حادث؛ فهذا قول لم ينطق به شيء من كتب الله لا القرآن ولا التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور، ولا نقل هذا عن أحد من أنبياء الله، ولا قاله أحد من الصحابة أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم، ولا التابعين لهم بإحسان؛ ولكن الذي نطقت به الكتب والرسل أن الله خالق كل شيء فما سوى الله من الأفلاك والملائكة وغير ذلك مخلوق ومحدث كائن بعد أن لم يكن؛ مسبوق بعدم نفسه وليس مع الله شيء قديم بقدمه في العالم...)[١]

الثالث: جواز التسلسل في الآثار مطلقا في الماضي والمستقبل.

وهذا قول أئمة السنة والحديث، وأساطين الفلاسفة.

لكن المسلمون، وسائر أهل الملل، وجمهور العقلاء من جميع الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن[٢]

وهذا التسلسل (إنما هو محال مطلقا عند كل من يقول بامتناع حوادث لا أول لها من أهل الكلام).

وأما أهل السنة فقد نصوا على جواز هذا التسلسل (في كلمات الله تعالى وأفعاله

فقالوا: إن الرب لم يزل متكلما إذا شاء، وكلمات الله دائمة قديمة النوع عندهم لم تزل ولا تزال أزلا وأبدا)[٣].

---

(١) انظر: الصفدية (1/ 11ـ 14).
(٢) انظر: المصدر نفسه (1/ 10).
(٣) انظر : المصدر نفسه

ويقولون:(إن الفعل من لوازم الحياة؛ فإن كل حي فعَّال؛ بل يصرح غير واحد منهم بأن كل حي متحرك، كما صرح بهذه المعاني من صرح بها من أئمة السلف والسنة والحديث)(١)

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :((والتسلسل الواجب ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب ـ تعالى ـ في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طَرَفِ الْأَزَلِ، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر فهذا واجب في كلامه؛ فإنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته؛ فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت بالفعل؛ ولهذا قال غير واحد من السلف الحي الفعال، وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال، ولم يكن ربنا سبحانه قط في وقت من الأوقات المحققة أو المقدرة معطلا عن كماله من الكلام والإرادة والفعل.

وأما التسلسل الممكن فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف كما يتسلسل في طرف الأبد فإنه إذا لم يزل حيا قادرا مريدا متكلما، وذلك من لوازم ذاته؛ فالفعل ممكن هذه الصفات له وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل.

ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدم لا أول له؛ فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له؛ فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن قالوا: وكل قول سوى هذا فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه))(٢)

---

(١) انظر: المصدر نفسه (1/ 52).

(٢) شفاء العليل (319).

ومما سبق نعلم أن إثبات التسلسل في الماضي لا محذور فيه؛ بل هو صحيح لازم ثابت لإثبات أفعال الله في الأزل؛ فليس في العقل والشرع ما ينفي دوام فاعلية الرب ـ سبحانه ـ وتعاقب أفعاله شيئا قبل شيء إلى غير غاية.

كما أن إثبات التسلسل في المستقبل لا محذور فيه لإثبات أفعال الله ـ عز وجل ـ في المستقبل؛ فلا يوجد في العقل والشرع ما ينفي تعاقبها شيئا بعد شيء إلى غير غاية.

وأن من منع ذلك في الماضي كالكرامية ومن قال بقولهم من المتكلمين؛ فقد وقع في التمثيل والتعطيل؛ لمنعه إثبات صفات الله الفعلية أزلا، وزعمه أنها حادثة بعد أن لم تكن.

كما أن من منعه في المستقبل التزم بلوازم فاسدة كالقول بفناء الجنة والنار كما فعل الجهم بن صفوان، والقول بانقطاع حركات أهل الجنة والنار كما فعل أبو الهذيل العلاف[1].

الوجه الخامس: أن قول الكرامية بإثبات صفة الشكر وجعلها حادثة بعد أن لم تكن يتضمن تشبيه الخالق الكامل بصفات المخلوق الناقص الذي وجدت فيه الصفات بعد أن لم تكن ـ تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ـ وهذه المسألة سيكون الرد عليها بالتفصيل عند الحديث عن قول قدماء الرافضة الذين يمثلون الله بخلقه في المطلب التالي ـ بإذن الله .

---

(١) انظر: شفاء العليل (318)، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها (2/ 115ـ 116).

المطلب الثالث: مذهب من يمثل صفة الشكر بصفات المخلوقين وفيه ثلاث مسائل:

تبين مما سبق بيانه أن تمثيل الله بخلقه لم ينقل عن طائفة من الناس كما نقل عن قدماء الرافضة[١]، وأنه لا يوجد على ظهر الأرض رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله[٢] ـ تعالى عن قولهم علوا كبيرا ـ،وما حُكِيَ عنهم من منكرات التجسيم والتشبيه لم يُعْرَفْ مثله عن الكرامية، ولا مَنْ نُسِبَ إليه التشبيه من غيرهم؛ ولهذا أفردت الحديث عنهم في هذا المطلب لنقف على مذهبهم في صفة الشكر من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الشكر.

مذهب قدماء الرافضة في صفة الشكر لا يخرج عن موقفهم من صفات الباري

(١) **المراد بقدماء الرافضة:** يطلق العلماء هذه التسمية على المتقدمين من شيوخ وأئمة الإمامية (الرافضة)،كهشام ابن الحكم، وهشام بن سالم الرافضيين وأمثالهما ممن كان على طريقتهما خصوصا في باب الأسماء والصفات ولعل هذه التسمية إنما يذكرها العلماء للتفرقة بين المتقدمين والمتأخرين من الرافضة الذين حرموا حقيقة التوفيق والصواب في باب الأسماء والصفات كما حرموه في غيره، وذلك لما بينهم من تناقض في موقفهم من الصفات؛ فقدماؤهم غلوا في التشبيه والتجسيم، ومتأخروهم غلوا في النفي والتعطيل؛ فدخلوا في أقوال الجهمية والمعتزلة دون سائر طوائف الأمة، وكان ذلك منهم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله ـ في أواخر المائة الثالثة، وأما قبل ذلك فكانوا من مثبتة الصفات إلا أنهم زادوا في الإثبات حتى غلوا وقالوا بما هو مشهور عنهم من التجسيم والتمثيل والتبعيض مما خالفوا به العقل والنقل . انظر: الأصبهانية (491)، ومنهاج السنة(1/ 407، 408، 498، 499)، 2/ 112)، والتسعينية (1/ 261).

(٢) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (1/ 47).

ـ جل وعلا ـ وذلك أن العلماء الذين نقلوا مقالتهم يعتبرونهم من الصفاتية الذين يثبتون الصفات ولكنهم خرجوا عن حد الإثبات الوارد في الكتاب والسنة حتى وصلوا إلى درجة الغلو فمثلوا الله بخلقه وبناء على هذا فهم يثبتون صفة الشكر ولكنهم يمثلونها بشكر المخلوقين؛ لأنهم لم يقنعوا بما كان عليه أهل السنة والجماعة بل غلوا حتى وقعوا في تمثيل الله بخلقه تعالى الله عن ذلك(١).

وهذا ما حكاه عنهم كل من نقل مقالتهم:

فقد ذكر أصحاب المقالات عنهم: أنهم يزعمون أن الله لم يزل غير سميع، ولا عليم، ولا بصير، ولا متكلم، ولا قادر، حتى خلق لنفسه ذلك؛ فصار عليما بصيرا متكلما قادرا (٢)

وهذا يبين أنهم يثبتون الصفات ولكنهم يمثلونها بصفات خلقه التي وجدت فيهم بعد أن لم تكن تعالى الله عن ذلك.

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

الشبهة التي عول عليها قدماء الرافضة وكل من مثل الله بخلقه: هي ظنهم الفاسد أن الاتفاق في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق وصفات المخلوقين موجبا لأن تكون صفات الخالق مماثلة لصفات المخلوقين لذا قالوا في شبهتهم المشهورة:

---

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (1/ 94)، والتسعينية لابن تيمية (1/ 261)، والأصبهانية (491).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين(1/ 111)، والفرق بين الفرق (58)، والملل والنحل (1/ 186)، والخطط للمقريزي (4/ 176).

إنه لا يعقل من الاشتراك في اللفظ والمعنى العام بين صفات الخالق، وصفات المخلقين إلا التمثيل.

وأكدوا ذلك بقولهم: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما خاطبنا بما نفهم ونعقل، ونحن لا نفهم، ولا نعقل إلا ما كان مشاهدا؛ فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد، وظنوا أن هذا هو مقتضى النصوص؛ كقوله تعالى:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(٣)]

المسألة الثالثة: الرد عليهم[(٤)]

أولا: بيان أن الاتفاق في الاسم والمعنى العام بين صفات الخالق والمخلوق لا يقتضي المماثلة.

لما كان أصل شبهة الممثلة إثبات القدر المشترك بين صفات الخالق والمخلوق ، وعدم التمييز بين ذلك؛ لذا فقد بين علماء السلف بطلان هذا الاعتقاد وقرروا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ له صفات مختص بها، والعبد لا يشركه في شيء من

---

(١) سورة البقرة آية (242).

(٢) سورة البقرة آية (219).

(٣) سورة ص آية (29).

(٤) تقدم معنا في المبحث الثالث من هذا الفصل ذكر مذهب من يشبه الله في خلقه في الاسمين الشكور والشاكر وفي الموضع المذكور تم الرد على الممثلة وبيان بطلان التمثيل بدلالة الأدلة الشرعية، والعقلية، والإجماع وأقوال العلماء، وأرجأنا التفصيل في الرد على الممثلة وذكر منشأ ضلالهم ورد شبهتهم إلى هذا الموضع.

ذلك، والعبد مختص بما هو من صفاته، والله منزه عن مشاركة العبد فيما هو من خصائصه، وإذا اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة فهذا المشترك مطلق كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه[1].

ويقول الإمام أبو عيسى الترمذي ـ رحمه الله ـ بعد أن بين منهج أهل السنة والجماعة في أحاديث الصفات والرد على من توهم التشبيه في نصوص الصفات ((وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث[2] وما يشبه هذا من الروايات من الصفات: ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال: كيف؟

هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف "، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه، وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فَسَّرَ أهلُ العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد هاهنا القوة ، وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد، وسمع، وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها،

---

(١) انظر: منهاج السنة (1/ 417)، والصفدية (1/ 99)،و شرح الطحاوية (1/ 190).

(٢) حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره» انظر: جامع الترمذي (3/ 50)، حديث رقم(662).

وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١]))[٢]

ويرد الإمام أبو القاسم التيمي ـ رحمه الله ـ على من يتوهم التشبيه في نصوص الصفات بقوله:((ومذهب أهل السنة: إثبات ما أثبت الله لنفسه من الوجه واليد، وسائر ما أخبر الله به عن نفسه، وليس قولنا: إن لله وجها ويدا موجبا تشبيهه بخلقه أصلا بل كل ما أخبر به عن نفسه فهو حق، وقوله الحق، نقول ما قال، ولا نزيد شيئا وحسبنا الله ونعم الوكيل))[٣].

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المسألة بضرب الأمثلة: فمن ذلك ضربه المثل بلفظ الوجود فقد قال: ((وإذا كان من المعلوم بالضرورة في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو محدث ممكن، يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود، وهذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره.

فلا يقول عاقل:إذا قيل: إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود أن هذا مثل هذا؛ لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود؛ لأنه ليس في الخارج شيء

---

(١) سورة الشورى، آية (11)
(٢) الجامع الصحيح للإمام الترمذي (3/ 50 ـ51).
(٣) الحجة في بيان المحجة (1/ 211).

موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا، هو مسمى الاسم المطلق.

وإذا قيل: هذا موجود وهذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما.

ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم، مضافة إليهم، توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين، وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص: اتفاقهما،تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمى الله نفسه حيا فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(١) وسمى بعض عباده حيا، فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾(٢) وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأن قوله: ﴿ ٱلْحَىُّ﴾ اسم لله مختص به، وقوله:﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

---

(١) سورة البقرة، آية (255)

(٢) سورة الروم، آية (19).

ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه ـ سبحانه وتعالى))[1]

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة ببيانه للتشبيه الممتنع بين الخالق والمخلوق وذلك عند قوله:((التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق، أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق، فإن الرب ـ تعالى ـ منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق، أو أن يكون له مماثلة في شيء من صفات كماله، وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره بوجه من الوجه.

بل يمتنع أن يشترك مخلوقان في شيء موجود في الخارج بل كل موجود في الخارج فإنه مختص بذاته وصفاته القائمة به، لا يشاركه غيره فيها البتة،وإذا قيل: هذان يشتركان في كذا، كان حقيقته أن هذا يشابه هذا في ذلك المعنى كما إذا قيل: هذا الإنسان يشارك هذا في الإنسانية، أو يشارك هذا الحيوان في الحيوانية، فمعناه أنهما يتشابهان في ذلك المعنى، وإلا فنفس الإنسانية التي لزيد لا يشاركه فيها غيره وإنما يشتركان في نوع الإنسانية المطلقة، لا في الإنسانية القائمة به، والإنسانية المشتركة المطلقة هي في الأذهان لا تكون في الأعيان مشتركة مطلقة، فما هو موجود في الخارج لا اشتراك فيه، وما وقع فيه الاشتراك هو الكلي المطلق الذي لا يكون كليا مطلقا إلا في الذهن، فإذا كان المخلوق لا يشاركه غيره فيما له من ذاته وصفاته وأفعاله، فالخالق أولى أن لا يشاركه غيره في شيء مما هو له تعالى، لكن المخلوق قد يماثل المخلوق ويكافئه ويساميه، والله سبحانه وتعالى ليس له

---

(١) مجموع الفتاوى (3/ 12).

كفؤ ولا مثيل ولا سمي، وليس مطلق الموافقة في بعض الأسماء والصفات الموجبة نوعا من المشابهة تكون مقتضية للتماثل والتكافؤ،بل ذلك لازم لكل موجودين، فإنهما لا بد أن يتفقا في بعض الأسماء والصفات، ويشتبها من هذا الوجه، فمن نفى ما لابد منه كان معطلا، ومن جعل شيئا من صفات الله مماثلا لشيء من صفات المخلوقين كان ممثلا،والحق هو نفي التمثيل ونفي التعطيل، فلا بد من إثبات صفات الكمال المستلزمة نفي التعطيل، ولا بد من إثبات اختصاصه بما له على وجه ينفي التمثيل))[1]

ثانيا::الرد على قولهم إن الله خاطبنا بما نعقل ونفهم ولا نعقل من نصوص الصفات إلا التمثيل.

فهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن يقال لهم: طريقتكم تدل على أنكم لم تفهموا ولم تعقلوا ما جاء عن الله؛ وذلك أنكم أخذتم جانبا من النصوص وتركتم الجانب الآخر وذلك لأنكم تمسكتم بنصوص الإثبات ولم تلتفتوا إلى نصوص التنزيه؛ إذ أنكم لو جمعتم بين نصوص الإثبات ونصوص التنزيه لسلمتم من ورطة التمثيل الذي وقعتم فيها، فالله سبحانه وتعالى الذي خاطبنا بما ذكرتموه من الأدلة التي قلتم أنكم لا تفهمون منها إلا التشبيه هو الذي قال عن نفسه سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا

---

(١) الصفدية (1/ 100ـ 101)

(٢) سورة الشورى، آية (11)

له أندادا فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]

وكلامه جل وعلا يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض[٢]

الثاني:أنه لا يمكن أن تكون المماثلة مرادة لله تعالى؛ لأن المماثلة تستلزم نقص الخالق جل وعلا، واعتقاد نقص الخالق كفر وضلال، ولا يمكن أن يكون مراد الله تعالى بكلامه الكفر والضلال كيف وقد قال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [٣]وقال:﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[٤]

الثالث:أن ما أخبر الله به عن نفسه إنما أخبر به مضافا إلى نفسه المقدسة، فيكون لائقا به لا مماثلا لمخلوقاته، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله تعالى، ولم يقدره حق قدره، ولم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق[٥].

---

(١) سورة النحل، آية (74).

(٢) انظر: المجلى في شرح القواعد المثلى (234)، ومقالة التشبيه (1/ 369).

(٣) سورة النساء، آية (176).

(٤) سورة الزمر، آية (7).

(٥) تقريب التدمرية ضمن رسائل وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (4/ 121).

المبحث الثاني:

مذهب النفاة لصفة الشكر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مذهب الفلاسفة في صفة الشكر.

المطلب الثاني: مذهب أهل الكلام في صفة الشكر.

المطلب الأول: مذهب الفلاسفة(١) في صفة الشكر وفيه ثلاث مسائل:

---

(١) التعريف بالفلاسفة:ـ 1ـ معنى الفلسفة:

ـ الفلسفة في اللغة بمعنى: محب الحكمة، أو إيثار الحكمة.

وأما الفلسفة في الاصطلاح:فقد قيل: أن الفلسفة هي: التشبه بالإله على قدر الطاقة

وقيل: وهو من أشهر الأقوال أن الفلسفة هي: البحث عن العلل، والمبادئ الأولى للموجودات، وإدراك الحقائق الثابتة بقدر الطاقة.

2ـ المراد بالفلاسفة: (الفلاسفة: اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه) بل إن الفيلسوف عند الفلاسفة هو من كان كافرا بالله وبكل ما يجب الإيمان به، ومن لم يكن كذلك فليس بفيلسوف في الحقيقة ومن قبح صنيعهم أنهم ينسبون من كان مؤمنا، ومن كان معتقدا بشريعة الإسلام إلى الجهل والغباوة)

3ـمن معتقدات الفلاسفة الباطلة:

1ـ منهم من ينكر وجود الله ﷻ ـ.

2ـ قولهم بقدم العالم وأول ما عُرِفَ هذا عن معلمهم الأول ـ أرسطو)ـ الذي له من التعظيم عندهم فوق ما يعظم به الأنبياء.

3ـ أما عن موقفهم من أركان الإيمان فهم من أعظم الناس جحدا لها وإنكارا.

4ـ يقولون:بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات وأنه لا يفعل بقدرة ومشيئة.

5ـ يقولون:بأن منزلة الفيلسوف كمنزلة النبي،والذي يظهر من حالهم أن الفيلسوف عندهم أفضل من النبي.

6ـ الجنة والنار عندهم إنما هي أمثال مضروبة وخيالات لتفهيم العوام، دون أن تكون لها حقيقة في الخارج.

7ـ ويرون أن العقل مقدم على الوحي ، وغير ذلك من عقائدهم الباطلة. انظر: الملل والنحل(2/ 58)، والصفدية (1/ 237ـ 239)، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان(2/ 256).

المسألة الأولى: ذكر قولهم في صفة الشكر.

الفلاسفة فرق وطوائف شتى لا يحصيهم إلا الله ـ عز وجل ـ وضلالهم في صفات الله ـ تعالى ـ ظلمات بعضها فوق بعض، فلا تكاد أن تجد منهم اثنين متفقين على رأي واحد، وذلك من تلاعب الشياطين بهم، بسبب إعراضهم عن سبيل المرسلين، وزيغهم عن طريق أتباع المرسلين من سلف الأمة الصادقين ، والتزامهم بما ورثوه وتلقفوه من نحاتة أفكار الفلاسفة اليونانيين، وتقديمهم لذلك على ما جاء في القرآن المبين ، فضلوا ضلالا بعيدا وأفسدوا فسادا كبيرا، فتكاثرت مقالاتهم على ذكر الذاكر لها على وجه التفصيل وفي الصفحات التالية سأكتفي بذكر ما يبين موقفهم من صفات الله ـ جل وعلا ـ بالقدر الذي يحدد قولهم في صفة الشكر، وقد سبق التفصيل في أقوالهم في أسماء الله ومسالكهم المتنوعة في مبحث من يعطل اسمي الجلالة (الشكور والشاكر) مما يغني عن إعادته هاهنا[1].

الفلاسفة لا يثبتون شيئا من أسماء الله وصفاته

غاية دأب الفلاسفة هو إثبات واجب الوجود، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق، لا صفة، ولا نعت، ولا فعل يقوم به، لم يخلق السماوات والأرض بعد عدمها، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

---

(١) انظر: الصفحات (168ـ 186).

فهم أهل التعطيل المحض؛ فكما عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له؛ فقد عطلوا الرب جل وعلا عن صفات كماله[١].

فهم لا يثبتون شيئاً من الأسماء والصفات بل يقولون بنفيها حذراً من التشبيه بزعمهم.

وقالوا: إنه لا يعرف مسمى بهذه الأسماء إلا جسم، كما لا يعرف موصوفا بهذه الصفات إلا جسم[٢].

وأوغلوا في الضلال حينما أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد لزعمهم أن إثباتها لله ـ تعالى ـ يستلزم تعدد الواجب.

يقول ابن القيم رحمه الله عنهم:((وأما متأخروهم فأعلم أن الله عندهم ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ كما يقول أفضل المتأخرين منهم والذي يقدمونه على الرسل ـ ابن سينا:هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئا باختياره ألبتة، ولا يعلم شيئا من الموجودات أصلا، لا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئا من المغيبات، ولا له كلام يقوم به، ولا صفة))[٣] .

ومن طريقتهم في صفات الله أنهم ينفونها عن الله ويردونها جميعا إلى صفة العلم والإدراك، فعندهم كونه عالما بالمسموعات هو معنى اسمه(السميع)، وكونه عالما بالمبصرات هو معنى اسمه(البصير)، وكونه حيا معناه: علمه بنفسه على ما

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (2/ 268).
(٢) انظر: الصفدية (1/ 88 ـ 89).
(٣) إغاثة اللهفان (1/ 260).

هو عليه، وكلامه لا يرجع إلى ألفاظ وعبارات، وإنما هو فيضان العلوم من الله على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكل ذلك يرجع إلى معنى العلم والإدراك.

كما أنهم لم يميزوا بين الصفات بل جعلوها كلها بمعنى واحد، فكونه (سميعا) هو نفسه كونه (بصيرا)، وكونه (متكلما) هو نفسه معنى كونه (قديرا).

وهم كذلك يجعلون صفاته هي عين ذاته تعالى، وذلك بردها إلى نفس الذات، إما بطريق السلب أو الإضافة أو بهما معا[1].

ومن ضلالهم أيضا: أنهم يجعلون الصفة هي الموصوف، فالعلم عندهم هو العالم، وهي كما يقول شيخ الإسلام مكابرة منهم للقضايا البديهيات، وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى، فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة، جحدا للعلوم الضروريات إلى غير ذلك من معتقداتهم التي خالفوا فيها كتاب رب العالمين، وعباده المرسلين وأتباعهم من المؤمنين[2] .

تقرير قولهم في صفة الشكر:

وعلى هذا فهم لا يثبتون صفة الشكر لله ـ تبارك وتعالى ـ، ولا يثبتون الأسماء الحسنى الدالة عليها (الشكور والشكر) بل يعطلون جميع الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي ذاته جل وعلا.

---

(١) انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (337)لأبي البركات الآلوسي، والتحفة المهدية (43، 45)، موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (379ـ 380)، ومحبة الله عند أهل السنة ومخالفيهم (393ـ 394).

(٢) انظر: جلاء العينين(337)، والتحفة المهدية (43، 45).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:((فقولهم يستلزم غاية التعطيل، وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات))[1]

المسألة الثانية: بيان شبهتهم وما تمسكوا به.

والشبهة التي اعتمد عليها الفلاسفة في نفيهم للصفات هي شبهة (التركيب).

فهي أعظم ما تمسكوا به حيث قالوا: إن الصفات أعراض، وإن إثباتها لله يستلزم التكثر والتعدد في ذاته، والتعدد يستلزم التركيب، والتركيب ممتنع في حق واجب الوجود.

وقالوا: إن الرب واحد والواحد لا يصدر عنه إلا واحد، ويعنون بكونه واحدا أنه ليس له صفة ثبوتية أصلا ولا يعقل فيه معان متعددة؛ لأن ذلك عندهم تركيب، ولهذا يقولون: لا يكون فاعلا وقابلا؛ لأن جهة الفعل غير جهة القبول، وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزمة للتركيب.[2]

فهذه هي الشبهة الرئيسة التي بنى عليها الفلاسفة منهجهم في باب الصفات، فخلصوا إلى أن واجب الوجود لا يجوز أن يكون مركبا، فأوصلهم ذلك إلى نفي أن يكون موصوفا بأي وصف ثبوتي؛ لأن ذلك بزعمهم يلزم منه التركيب.

المسألة الثالثة: الرد عليهم.

لا يخفى على كل ذي لب فساد وبطلان م ذهب الفلاسفة وما اعتقدوه في رب العالمين؛ فبطلانه معلوم من الدين بالضرورة لمخالفته لصريح المعقول وصحيح

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (3/ 10).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (17/ 158ـ 159).

المنقول مما كان سبباً في تصدي علماء الإسلام لها تحذيرا من معتقدهم الفاسد وإبطالا لحججهم الواهية لذا فمما يرد به عليهم:

أولا: بيان أن ما جاءوا به مع مخالفته لنصوص الوحي فهو متناقض في العقل.

وذلك بأن يقال: إن ما اعتمدتم عليه في نفي الصفات بدعة في الدين لم يأت به كتاب ولا سنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين، ومع ذلك هو متناقض في العقل لا يستقيم، فإنه ما من أحد ينفي شيئا من الأسماء والصفات خوفا من شبهة قامت لديه إلا قيل له فيما أثبته نظير ما قاله فيما نفاه، وقيل له فيما نفاه نظير ما قاله فيما أثبته.

فكونكم لم تقولوا بثبوت الصفات بحجة أن ذلك يستلزم كثرة المعاني فيه، وذلك يستلزم كونه جسما أو مركبا.

فإنه يقال لكم :هذا كما أثبتم أنه موجود واجب قائم بنفسه، وأنه عاقل ومعقول وعقل، ولذيذ وملتذ ولذة، وعاشق ومعشوق وعشق ونحو ذلك.

فإن قالوا: هذه ترجع إلى معنى واحد.

قيل: إن كان هذا ممتنعا بطل الفرق، وإن كان ممكنا أمكن أن يقال في تلك مثل هذه، فلا فرق بين صفة وصفة[1]

ثانيا: إبطال شبهة التركيب

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى لابن تيمية (6/ 46ـ 47)،ومجموع الرسائل والمسائل(5/ 43)

هذه الشبهة كما سبق هي أعظم ما تمسك بها النفاة من الفلاسفة وغيرهم حيث أخذوا يقولون : إثبات الصفات يقتضي التركيب والتجسيم، إما لكون الصفة لا تقوم إلا بجسم في اصطلاحهم، والجسم مركب في اصطلاحهم، وإما لأن إثبات العلم والقدرة ونحوهما يقتضي إثبات أمور متعددة وذلك تركيب[1].

ولقد جاء الرد على هذه الشبهة من قبل علماء السنة وغيرهم من وجوه متعددة فمن ذلك :

1ـ أنهم حين يقولون: إن إثبات العلم والقدرة مستلزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع، قيل لهم: وإذا قلتم: هو موجود واجب، وعقل وعاقل ومعقول، أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا؟ فهذه معان متعددة، متغايرة في العقل، وهذا تركيب عندكم، وأنتم تثبتونه توحيدا، فإن قالوا: هذا توحيد في الحقيقة، وليس هذا تركيبا ممتنعا، قيل لهم: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هو تركيبا ممتنعا[2].

2ـ ومنها أن يقال: إن هذه الطائفة بالغت حين نفت الصفات بحجة التركيب و حين قالوا:**إن التركيب خمسة أنواع**، وجميعها يجب نفيها عن الله وهي :

الأول: التركيب من الوجود والماهية [3]، فلا يكون له حقيقة سوى الوجود المطلق بشرط الإطلاق، لأنه لو كان له حقيقة مغايرة لذلك لكانت موصوفة بالوجود،

---

(١) انظر: الصفدية (1/ 104).

(٢) انظر: التدمرية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (3/ 20).

(٣) الماهية مشتقة من (ما هو)، وهي ما به يجاب عن السؤال بـ (ما هو)، وتطلق غالبا على الأمر المنفعل من الإنسان وهي أعم من الحقيقة؛ لأن الحقيقة تستعمل في الموجودات، والماهية في الموجودات وفي المعدومات.انظر: الكليات للكفوي(863).

وحينئذ فيكون الوجود الواجب لازما ومعلولا لتلك الحقيقة، فيكون الواجب معلولا.

الثاني:التركيب من العام والخاص، كتركيب النوع من الجنس والفصل[١]،وهذا يجب نفيه.

الثالث:التركيب من الذات والصفات، وهذا يجب نفيه.وهذه الثلاث تركيبات في الكيفية.

الرابع والخامس: التركيب في الكم، وهو تركيب الجسم من أبعاضه وهو:

إما من الجواهر المفردة [٢]، وهو التركيب الحسي.

وإما من المادة[٣] والصورة[٤] وهو التركيب العقلي.

فيرد عليهم فيما قالوا من أنواع التركيب[١]

---

(١)الجنس : هو عبارة عن لفظ يتناول كثيرا ولا تتم ماهيته بفرد من هذا الكثير كالجسم، وإن تناول كثيرا على وجه تتم ماهيته بفرد منه يسمى نوعا كالإنسان ثم هذا الفرد الذي تتم به ماهية النوع يسمى فصلا عند المتكلمين والمناطقة. انظر: الكليات (339).

(٢) الجوهر: هو الذات والماهية، والحقيقة كلها ألفاظ مترادفة والجوهر الفرد: قيل هو الجزء الذي لا يتجزأ. وقيل في (الجواهر المفردة): هي التي لا تقبل انقساما لا في الخارج ولا في الفرض العقلي.والجوهر خلاف العرض، الجوهر ما كان قائما بنفسه كالجسم، والعرض ما كان قائما بغيره كاللون.انظر: الكليات(346)، ومصطلحات في كتب العقائد (87).

(٣) المادة: أو الهيولى كما يسميها الفلاسفة: أصل الشئ، وهي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية. انظر: التعريفات (177ـ 178)، والكليات (865).

(٤) الصورة: بالضم الشكل وتستعمل بمعنى النوع والصفة وقال الكفوي أيضا: الصورة ما تنتق شبه الأعيان وتميزها عن غيرها انظر: الكليات (559).

1ـ أن هذه الأمور ليست تركيبا في الحقيقة.

2ـ وعلى فرض أن تكون تركيبا كما تدعون، فلا دليل لكم على نفيها، بل الدليل يقتضي إثبات المعاني التي سميتموها تركيبا.

هذا إجمالا أما من ناحية التفصيل في رد هذا أن يقال:

إنه لا دليل لكم على نفي هذه المعاني التي سميتموها تركيبا، وذلك أن غاية عمدتكم في نفي التركيب أنكم تقولون: إن المركب مفتقر إلى جزئه وجزء غيره، وواجب الوجود لا يكون مفتقرا إلى غيره.

وهذا الكلام من أبطل الباطل وبيانه كما يلي:

وذلك أن لفظ (التركيب) لفظ مشترك يحتمل معان عدة بحسب الاصطلاحات:

1ـ فيقال:المركب لما ركبه غيره كما قال تعالى:

﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(٢) ويقال ركبت الباب في موضعه ونحو ذلك، وهذا مفهوم المركب في اللغة.

2ـ وقد يقال: (المركب) لما كان متفرقا فجمع كجمع الأغذية والأدوية المركبة.

3ـ وقد يقال: (المركب) لما يمكن تفريق بعضه عن بعض كأعضاء الإنسان، وإن لم يعهد تفرقه في الابتداء.

---

(١) انظر: الصفدية (1/ 104ـ 105).

(٢) سورة الانفطار، آية (8).

4ـ وقد يقال:(المركب) لما يشار إليه كالشمس والفلك، قبل أن يعلم جواز الانفكاك عنه.

5ـ وقد يقال: (المركب) لما جاز أن يعلم منه شيء دون شيء، كما يعلم كونه قادرا قبل أن يعلم كونه سميعا بصيرا.

وإذا كان كذلك فمعلوم أنهم إذا قالوا: إن إثبات الصفات تستلزم التركيب، لم يريدوا به الأول والثاني، فإن إثبات الصفات لازم لله تعالى، فيمتنع زوال صفات الكمال عنه، ويمتنع أن يجوز عليه خلاف الصمدية كالتفرق ونحوه، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

وكذلك إذا قالوا: (إن المركب مفتقر إلى أجزائه، فلفظ (الجزء):

ـ قد يعنى به ما جمع إلى غيره حتى حصلت جملته، كالواحد من العشرة، وكجزء الطعام والثياب.

ـ وقد يعنى بالجزء ما كان بعضا لغيره، وإن لم يعلم انفراده عنه أو لم يكن انفراده عنه.

وقد يدخلون في هذه الحياة اللازمة للحي، والعلم اللازم للعالم، كما يقولون: الحيوانية والناطقية جزءا الإنسان، وهما نعتان لازمان له، لا يمكن وجوده بدونهما

وكذلك لفظ (الافتقار) لفظ مجمل يراد به معان منها:

ـ أن يراد به افتقار المعلول إلى علته والمصنوع إلى صانعه ونحو ذلك.

ـ ويراد به التلازم بمعنى أنه لا يوجد أحدهما إلا مع الآخر، وإن لم يكن أحدهما مؤثرا في الآخر، كاستلزام الموصوف لصفات كماله.

ـ ويراد به افتقار الصفة إلى محلها الذي تقوم به.

وكذلك لفظ (الغير):

ـ قد يراد به المباين للشيء.

ـ وقد يعنى به ما يعلم الشيء بدونه

لهذا لما تنازع الناس في صفات الله تعالى، بل في صفة كل موصوف، وبعض كل مجموع، هل يقال : إنه غير له أم لا ؟

امتنع السلف والأئمة أن يطلقوا على صفات الله: كلامه وعلمه ونحو ذلك أنه غير له أو أنه ليس غيره[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضا:((والمقصود هنا أن هذه الحجة التي ينفون بها الصفات ويعتمدون على نفي مسمى التركيب هي مبنية على ألفاظ مجملة مشتركة موهمة، فإذا قالوا: إثبات الصفات تركيب والمركب مفتقر إلى جزئه، وجزؤه غيره، والمفتقر إلى غيره ليس بواجب بنفسه.

قيل لهم: إن أردتم بالغير غيرا مباينا له فهذا باطل، وإن أردتم ما هو داخل في مسمى اسمه، كان حقيقة قولكم: المركب لا يوجد إلا بوجود جزئه، والمجموع لا يوجد إلا بوجود بعضه، والجملة لا توجد إلا بوجود أفرادها.

ومن المعلوم أن قول القائل إذا قال: الشيء لا يوجد إلا بوجود نفسه كان هذا صحيحا،وكذلك إذا قيل: لا يوجد إلا بوجود ما هو داخل في نفسه مما يسمى صفات وأجزاء ونحو ذلك..))[1]

---

(١) انظر: الصفدية (1/ 104ـ 107)،و موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (386)، ومحبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم (402ـ 404).

ثالثا: إبطال قولهم: إن صفاته بمعنى ذاته وأنها كلها بمعنى واحد.

(من المعلوم في صريح العقول، أنه ليس معنى كون الشيء عالما، هو معنى كونه قادرا، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالما قادرا، فمن جوز أن تكون الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة [٢]، ثم إنه متناقض؛ فإنه إن جوز ذلك، جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا، فيكون الوجود واحدا بالعين، لا بالنوع، وحينئذ فإذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب، كان وجود كل مخلوق يعدم بعد وجوده، ويوجد بعد عدمه، هو نفس وجود الحق، القديم، الدائم، الباقي، الذي لا يقبل العدم، وإذا قدر هذا كالوجود الواجب موصوف بكل تشبيه وتجسيم، وكل نقص،وكل عيب)[٣]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الرد على ذلك في موضع آخر:(إن جعل عين العلم عين القدرة، ونفس القدرة هي نفس الإرادة والعناية، ونفس الحياة هي نفس العلم والقدرة، ونفس العلم نفس الفعل والإبداع ونحو ذلك معلوم الفساد بالضرورة، فإن هذه الحقائق متنوعة، فإن جعلت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول: إن حقيقة السواد هي حقيقة الطعم، وحقيقة الطعم هي حقيقة اللون، وأمثال ذلك مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة)[٤]

---

(١) الصفدية (1/ 109ـ 110).

(٢) السفسطة : لفظ معرب مركب في اليونانية من كلمتين:(سوفيا) وهي الحكمة، و(اسطس) وهو المموه؛ فمعنى السفسطة: حكمة مموهة، ويراد بها: التموية والخداع، والمغالطة في الكلام. والغرض من ذلك تغليط الخصم وإسكاته، انظر: التعريفات للجرجاني (118)، ومصطلحات في كتب العقائد(119).

(٣) انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (382).

(٤) درء التعارض (1/ 275).

رابعا: الرد على قولهم: هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق

أو بشرط سلب الأمور الثبوتية،

أو هو الوجود المطلق لا بشرط[1].

هذا القول منهم كما يقول ابن تيمية رحمه الله: (مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج، وإنما يوجد في الذهن، وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني، وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق كإنسان مطلق بشرط الإطلاق، وحيوان مطلق بشرط الإطلاق، وجسم مطلق بشرط الإطلاق، ووجود مطلق بشرط الإطلاق: لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان...)[2].

وذكر رحمه الله أنهم إذا جعلوه سبحانه مطلقا بشرط الإطلاق، فإنه والحالة هذه لم يجز أن ينعت بنعت يوجب امتيازه، فلا يقال: هو واجب بنفسه، ولا ليس بواجب بنفسه فلا يوصف بنفي ولا إثبات؛ لأن هذا نوع من التمييز والتقييد.

وقال: وهذه حقيقة قول الذين يمتنعون عن وصفه بالنفي والإثبات، ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع، كما أن الجمع بينهما ممتنع.

وأما إذا قيد بسلب الأمور الثبوتية دون العدمية فهو أسوأ حالا من المقيد بسلب الأمور الثبوتية والعدمية؛ فإنه أصبح يشارك غيره في مسمى الوجود ولكن يمتاز عنه هذا الموجود بأمور وجودية، والله سبحانه على زعمهم يمتاز عنها بأمور

---

(١) الوجود المطلق بشرط الإطلاق: هذا يعني أنهم أثبتوا وجودا لا يتصف بصفة ثبوتية؛ كإنسان مطلق بشرط الإطلاق، وجسم مطلق بشرط الإطلاق، وهذا لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان. انظر: شرح الأصبهانية (321)، ودرء التعارض(1/ 196).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (1/ 276).

عدمية فيكون كل من الموجودات أكمل منه ـ سبحانه ـ فاتضح أن سلب الأمور الثبوتية دون العدمية، أو سلب الأمور الثبوتية والعدمية معا ممتنعا بالعقل، فيلزم أن يكون الوجود الواجب الذي لا يقبل العدم هو ممتنعا أيضا، والذي لا يتصور وجوده في الخارج، وإنما يقدره الذهن تقديرا، كما يقدر كون الشيء موجودا معدوما، أو لا موجودا ولا معدوما؛ فلزمهم الجمع بين النقيضين والخلو عن النقيضين، وهذا من أعظم الممتنعات باتفاق العقلاء(١).

(١) انظر: المصدر نفسه (1/ 276ـ 278).

المطلب الثاني: مذهب أهل الكلام في صفة الشكر.

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:مذهب الجهمية [١] في صفة الشكر وذكر شبهتهم والرد عليهم.

مذهبهم في صفة الشكر:

من البدع المحدثة في الإسلام التي اشتهرت بها الجهمية بدعة تعطيل أسماء الله وصفاته؛ فهم ينفون كل صفة وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ـ ﷺ ـ بل الله عز وجل عندهم لا يقوم به شيء من هذه الصفات ولا غيره، وكل ما يضاف إليه فإنما يعود معناه إلى أمر مخلوق منفصل عنه[٢].

---

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان سموا بذلك نسبة إليه، ثم أصبح هذا اللقب يطلق على الفرق الكلامية التي جاءت من بعدهم وأخذت بآرائهم، وعلى رأسهم المعتزلة.

وتعتبر الجهمية من أوائل الطوائف الكلامية التي عارضت الكتاب والسنة بالشبه العقلية.

من معتقداتهم التي خالفوا فيها أهل السنة:

1ـ إنكارهم لجميع الأسماء والصفات، وقولهم بخلق القرآن.

2ـ القول بالجبر في باب القدر: حيث أنهم ينكرون قدرة العبد واختياره في فعله، ويزعمون أنه مجبور على فعله.

3ـ يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة، وأن الكفر هو الجهل بالله، وهذا شر أقوال المرجئة.

4ـ ينكرون رؤية الخلق لله يوم القيامة وغير ذلك من أباطيلهم انظر: مقالات الإسلاميين(1/ 214)، والملل والنحل (76ـ 87).

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (1/ 59)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (3/ 8)، والفتاوى العراقية له أيضا (2/ 1050)، والتسعينية (2/ 418).

يقول ابن القيم رحمه الله ـ في بيان توحيد الجهمية ومصدر اشتقاقه :((توحيد الجهمية وهو توحيد مشتق من توحيد الفلاسفة، وهو نفي صفات الرب كعلمه، وكلامه، وسمعه، وبصره، وحياته، وعلوه على عرشه ... وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته))[١].

فبناء على ذلك فهم ينكرون صفة الشكر كما ينكرون سائر صفات الله تعالى فلا يصفونه بها،ولئن أطلقوا لفظها عليه فلا يعنون بها معناها بل يطلقونها لأجل مجيئها في القرآن ثم يلحدون في أسمائه ويحرفون الكلام عن مواضعه[٢].

شبهتهم في نفي صفة الشكر:

من أعظم الشبهات التي بنى عليها الجهمية مذهبهم في نفي صفة الشكر: هي دعوى تنزيه الله عز وجل فراراً من تشبيهه بخلقه، فقد ادعى الجهمية أن أي صفة أو اسم يطلق على المخلوق لا يصح ولا يجوز أن يطلق على الله؛ لأن ذلك في نظرهم يؤدي إلى تشبيه الخالق بالمخلوق.

يقول ابن خزيمة ـ يرحمه الله ـ:((والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله ـ عز وجل ـ وصف بها نفسه في محكم تنزيله؛ وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه فتوهموا لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه قد شبهه بخلقه، فاسمعوا ـ يا ذوي الحجا ـ ما أبين جهل هؤلاء المعطلة))[٣]

---

(١) مختصر الصواعق للموصلي (1/ 320).

(٢) انظر: الفتاوى (17/ 84)، و(16/ 173).

(٣) كتاب التوحيد (1/ 59).

الرد على شبهة الجهمية:

قد ينخدع بعض الناس بأقوال الجهمية حينما يقف على الشبهة التي تمسكوا بها ويظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله تعالى ولكن عند سبرها ومعرفة ما تنطوي عليه يجد أنهم قد عطلوا الرب سبحانه وتعالى عن صفات كماله ونعوت جلاله بأقوال فاسدة لم تستمد لا من الكتاب ولا من السنة ولم تؤثر عن سلف الأمة، بل يستخدمون في ذلك الألفاظ المجملة والعبارات المشتركة تمويها وتلبيسا.

يقول الإمام أحمد بن حنبل ـ يرحمه الله تعالى ـ:((فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله سبحانه، ولا يشعر أنهم إنما يعود قولهم إلى فرية في الله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر))[1]

أما عن رد الشبهة الرئيسة التي تشبث بها الجهمية والتزموا بسببها نفي صفة الشكر والتي سبق عرضها وهي:دعوى تنزيه الله ـ عز وجل ـ والفرار من تشبيه الله بخلقه، فقد ادعى الجهمية أن أي صفة أو اسم يطلق على المخلوق، لا يصح ولا يجوز أن يطلق على الله؛ لأن ذلك في نظرهم يؤدي إلى تشبيه الخالق بالمخلوق.

فهذه الشبهة قد سبق ردها، وبيان أن مجرد الاشتراك في الأسماء لا يقتضي الاشتراك في الحقائق وتم بحمد الله ذكر ذلك بالتفصيل مما يغني عن إعادته هنا[2].

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (212).

(٢) انظر: الصفحات (286ـ 292).

المسألة الثانية: مذهب المعتزلة [1] في صفة ال شكر وذكر شبهتهم والرد عليهم.

مذهبهم في صفة الشكر:

مذهب المعتزلة في باب الأسماء والصفات يجمع بين مادتين خبيثتين: فهم من ناحية سلكوا منهج الفلاسفة المشركين ، ومن ناحية أخرى تأثروا بالجهمية المعطلة السابقين لهم في نفي الصفات لذلك يطلق عليهم بعض العلماء بأنهم مخانيث الجهمية في الصفات[2].

---

(١)هم فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري.
وللمعتزلة أسماء أطلقها العلماء عليهم،كما أن لهم أسماء سموا بها أنفسهم ؛ فمن الأسماء التي أطلقت عليهم مثل:المعتزلة ـ والقدرية ـ والوعيدية ـ والمعطلة ـ والمعتزلة الجهمية.ومن الأسماء التي أطلقوها على أنفسهم مثل:أهل العدل والتوحيد أو العدلية وأهل الحق والفرقة الناجية ، ولهم أصول خمسة يقوم عليها مذهبهم بعد استقراره، ولا يسمى الشخص معتزليا حتى يقوم بها وهي إجمالا كما يلي: 1ـ التوحيد. 2ـ العدل. 3ـ الوعد والوعيد. 4ـ القول بالمنزلة بين المنزلتين.5ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ومن أقوالهم التي خالفوا بها السلف ما يأتي:
1ـ أنهم وافقوا الجهمية في إنكار الصفات الإلهية، وإنكار رؤية الله يوم القيامة، والقول بخلق القرآن.2ـ شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة الله في أفعال العباد، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم.3ـ القول بأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وأنه في منزلة بين منزلتين وأنه لا بد أن يدخل النار ويخلد فيها. 4ـ مشاركتهم للرافضة في الطعن في أصحاب النبي ﷺ ـ. انظر: الملل والنحل (1/ 44ـ 445)، والخطط المقريزية (4/ 164).
(٢) انظر: الملل والنحل (1/ 51)، والفتاوى العراقية (2/ 1047).

لهذا كان مذهبهم أنهم يثبتون لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، وذلك أنهم لما رأوا الجهمية قد نفوا أسماء الله الحسنى استعظموا ذلك لما فيه من تكذيب القرآن، فأقروا بالأسماء، ووافقوهم في نفي الصفات لما تمسكوا بشبهات توهموها فصاروا بذلك متناقضين[1]

وهذا التناقض كان سببا في تسلط أهل الضلال من الجهمية والباطنية والفلاسفة عليهم فألزموهم نفي الأسماء التي أثبتوها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:((ولو كانت المعتزلة تفقه لما قالوا بنفي الصفات الأمر الذي جعل نفاة الأسماء من الجهمية والباطنية والفلاسفة يستطيلون عليهم بقولهم بنفي الصفات، وأخذوا لفظ التشبيه بالاشتراك والإجمال، فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل ألزمهم أولئك بطرد قولهم فألزموهم نفي الأسماء الحسنى))[2]

والمعتزلة مجمعون على هذا المذهب وهو إثبات الأسماء الحسنى ونفي الصفات، وإن كانت لهم طرق متعددة في موقفهم من الصفات لكن النتيجة واحدة وهو القول بنفيها وعدم إثباتها.

فبناء على هذا فإنهم لا يثبتون صفة الشكر لله ـ تعالى ـ كما هو مذهبهم في سائر الصفات وهذا من ضلالهم وتكذيبهم لرسل الله عز وجل.

ذكر شبه المعتزلة والرد عليها:

---

(١) انظر: النبوات (63)، و الفتوى العراقية(2/ 1047).

(٢) الصفدية(1/ 103).

بنى المعتزلة مذهبهم الفاسد في نفي الصفات على شبهات متعددة منها شبهات خاصة بهم لم يشاركهم فيها غيرهم، ومنها شبهات قامت لديهم كما قامت عند غيرهم وفي هذه المسألة سأذكر بعض ما لديهم من شبهات رئيسة لمعرفتها والرد عليه بإذن الله تعالى:

1ـ شبهة تعدد القدماء

فهذه شبهة معتزلية محضة في نفي الصفات ، حيث يرى المعتزلة أن القدم هو أخص وصف الإله[١] ، وهو الكاشف عن حقيقته، وهو تعالى إنما يخالف مخالفه بكونه قديما فبه يعرف تميزه عن غيره، وهذه الصفات إما أن تكون محدثة أو قديمة، فإذا كانت محدثة فلا يصح أن يوصف الله تعالى بها؛ لأن ذاته ليست محلا للحوادث، وإن كانت قديمة فيجب أن تكون مثلا لله تعالى لإثبات معنى الألوهية ـ وهو القدم ـ للصفات، وهذا يوجب إذا كان الباري تعالى عالما قادرا لذاته أن تكون هذه المعاني عالمة قادرة أيضا، فتصبح هذه الصفات بزعمهم ذواتا مستقلة، وهذا هو تعدد القدماء وهو من الشرك المنافي للتوحيد[٢]، وممن نسب هذه الشبهة لعموم المعتزلة الشهرستاني[٣] وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[٤]

والرد عليهم في هذه الشبهة :

هذه الشبهة التي نفى المعتزلة من أجلها صفات الباري ـ جل وعلا ـ بما فيها صفة الشكر **يمكن ردها من عدة أوجه:**

(١) مرجع سابق (6/ 207).
(٢) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (283ـ 284).
(٣) انظر: الملل والنحل (1/ 44).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (6/ 207)

1ـ أن النصوص قد دلت على أن الله تعالى موصوف بالصفات العلية كقوله تعالى:﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾(٣) وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٤)

فهذه الآيات صريحة في اتصاف الله تعالى بصفات الكمال فلا يصح مطلقا أن ترد لأجل شبهات هي من وساس الشيطان وتزيينه فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا(٥)

2 ـ (ومن الردود على المعتزلة أيضا: أن قول القائل: الله تعالى ليس بعالم ولا قادر ولا حي، وقوله أن الله تعالى لا علم له بشيء، ولا قدرة له على شيء، ولا حياة له، ليس بينهما فرق عند أهل اللسان، فإذا كان الأول فاسدا، كما تقر به المعتزلة فكذلك الثاني لعدم وجود فرق بينهما، فبطل إثبات المعتزلة الأول ونفيها الثاني)(٦) .

3ـ أن يقال لهم:(إن إثبات الأسماء حق، وهو يستلزم إثبات الصفات، فإن إثبات حي بلا حياة، عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة، كإثبات متحرك بلا حركة، ومتكلم بلا كلام، ومريد بلا إرادة، ومصلٍ بلا صلاة ونحو ذلك مما فيه إثبات

---

(١) سورة البقرة، آية (158).
(٢) سورة البقرة، آية (209).
(٣) سورة البقرة، آية (255).
(٤) سورة الذاريات، آية (58).
(٥) انظر: حقيقة التوحيد (286).
(٦) انظر: تبصرة الأدلة (1/ 202) نقلا عن حقيقة التوحيد للسلمي (288).

اسم الفاعل ونفي مسمى المصدر اللازم لاسم الفاعل، ومن أثبت الملزوم كان قوله باطلا)[١].

2. شبهة الأعراض وحدوث الأجسام.

وهذه الشبهة التي نفوا لأجلها الصفات أشهر لديهم من شبهة التركيب التي أخذوها من الفلاسفة حيث ذكر أهل العلم عنهم أنهم يقولون: إن الصفات أعراض لا تقوم إلا بجسم،وما قام به الكلام وغيره من الصفات لا يكون إلا جسما، ولا يرى إلا ما هو جسم أو قائم بجسم[٢].

وهم يحاولون إيهام الناس أن قصدهم من تعطيل الله عن صفاته أنهم يريدون تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن أن يكون جسما، أو أن تحل به الحوادث.

وشبهتهم في تعطيل الباري عن صفاته بالاستناد إلى دليل الأعراض وحدوث الأجسام **تنحصر في أمرين**:

الأول: قولهم: إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيز والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلا لسائر الأجسام، وهذا هو التشبيه[٣] .

الثاني: قولهم: إن الله لا تقوم به الصفات والأفعال؛ لأنها أعراض حادثة لا تقوم إلا بجسم، فلو قامت به لكان جسما وهذا محال، ولو قامت به الصفات ـ وهي حوادث ـ لكان محلا للحوادث، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث[٤].

---

(١) الصفدية (1/ 103ـ 104).

(٢) انظر: منهاج السنة (1/ 411).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (3/ 46).

(٤) انظر: النفي في باب صفات الله عز وجل (572).

الرد على هذه الشبهة:

قد سبق بحمد الله تفنيد هذه الشبهة والرد عليها وبيان بطلانها وأن هذه الطريقة التي سلكها المعتزلة ومن وافقهم من المتكلمين في إثبات وجود الله عز وجل ثم التزموا من أجلها تعطيل الله عز وجل عن صفات كماله، أنها طريق مبتدعة مذمومة في شرع الله[1]

(١) انظر: الصفحات (244ـ 261).

المسألة الثالثة: مذهب الأشاعرة [1] في صفة ال شكر وذكر شبهتهم والرد عليهم.

مذهبهم في صفة الشكر:

مذهب الأشاعرة في صفات الباري ـ جل وعلا ـ قد اكتنفته أحوال عدة جعلته من أشد المذاهب اضطرابا وغموضا كتنقلات أبي الحسن الأشعري ـ مؤسس المذهب ـ بين المذاهب، ومرور مذهبهم بأطوار مختلفة واتجاهات متعددة دخلت عليه عبر القرون التي مر بها على أيدي أتباعه، وابتلائهم بعلم الكلام المذموم وغير ذلك من أمور جعلت هذا المذهب أشدَّ تعقيداً، وأبعدَ ما يكون عن الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة في صفات الله ـ عز وجل ـ

---

(١) هم طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتكلم الذي كان معتزليا، ثم انتقل إلى مذهب ابن كلاب، وقيل بعد ذلك أنه انتقل إلى مذهب أهل السنة، وهذا اللقب ينصرف عند الإطلاق إلى أولئك الذين اتبعوه في فترة انتسابه إلى ابن كلاب. ومن هنا يطلق على الأشعرية بأنهم كلابية لانتسابهم لأبي الحسن الأشعري في هذه الفترة والتي جمع فيها الأشعري بين منهجين مختلفين وهو منهج أهل السنة وآخر باطل وهو منهج الجهمية! إقتداء بابن كلاب فنتج عن ذلك مذهب ومنهج خليط مركب لا هو سني خالص، ولا كلامي عقلي خالص ؛ ثم مرت الأشعرية بأطوار مختلفة في كل طور من أطوارها تزداد بعدا عن الكتاب والسنة ومنهج أهل السنة والجماعة لاسيما حينما أدخل فيها أربابها تلك الأسس والمعتقدات الدخيلة من:الفلسفة، والتصوف، والمنطق ، والكلام، والجدل، حتى أصبحت عقيدة الأشاعرة مزيجا من تلك الأخلاط ، فنتج عن ذلك وقوعهم في كثير من المخالفات العقدية والبدع والشركيات.انظر:الفتاوى (5/ 65)، والخطط المقريزية(4/ 185)، وبحوث في عقيدة أهل السنة(64).

ولما كان الأمر كذلك فإني سأسلك طريق الإيجاز والاختصار في بيان موقفهم من الصفات، والتركيز على ذكر مذهبهم بعد استقراره؛ لأن المقصود هنا بيان مذهبهم في صفة الشكر دون الخوض في الجذور التاريخية لمذهب الأشاعرة وما مر به من تطورات أو الدخول في اختلافات الأشاعرة في صفات الله تعالى، فهذا باب شائك يندر الخروج منه بفائدة فإنك تجد الواحد منهم ممن يقول بالتأويل يضطرب فيه ضطرابا عظيما فتارة يوجب التأويل، وتارة يحرمه، وتارة يسوغه وهكذا بلا حجة ولا برهان ومن غير مستند إلى كتاب أو سنة[١].

وخلاصة القول أنه يمكن تحديد مذهبهم بعد استقراره في النقاط التالية:

أولا: أنهم اتفقوا على إثبات الصفات السبع العقلية التي يسمونها بصفات المعاني، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والخلاف قائم بينهم في صفة البقاء، أما ما عداها من الصفات فيجب تأويلها.

قال البغدادي:((أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل، وعلمه، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلامه، صفات أزلية))[٢]

ويقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:((ثم أقرب هؤلاء الجهمية الأشعرية يقولون إن له صفات سبعا: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، وينفون ما عداها، وفيهم من يضم إلى ذلك اليد فقط، ومنهم من يتوقف في نفي ما سواها، وغلاتهم يقطعون بنفي ما سواها))[٣] 0

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (5/ 237).

(٢) أصول الدين (113).

(٣) انظر: الفتاوى (6/ 215).

ثانيا: ومما اتفقوا عليه أيضا نفي الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، وهي التي تسمى عندهم بمسألة حلول الحوادث، وذلك مثل: صفة ال شكر، والكلام، والرضا، والغضب، والفرح، والمجيء، والنزول، ، والإتيان، وغيرها وهذا كما هو ظاهر هو أصل مذهب ابن كلاب الذي تبعه عليه الأشعري وأصحابه.

وإذا ورد شيء من هذه الصفات في النصوص فهم إما أن يثبتوها بما لا يتعارض مع هذا الأصل، وإما أن يؤولوها وهذا هو الغالب على مذهب كثير من الأشاعرة[1].

يقول شيخ الإسلام في بيان أصل ابن كلاب وأتباعه من الأشاعرة في الصفات:((: إن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث، ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان، وأتباعه من الجهمية والمعتزلة، صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الرب، على أحد قولين:

إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه. فيقولون: كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به كلام، وكذلك رضاه، وغضبه، وفرحه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله وغير ذلك، هو مخلوق منفصل عنه، لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم.

وإذا قالوا هذه الأمور من صفات الفعل، فمعناه: أنها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنها صفات قائمة به.

ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات.

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1034).

وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية، ويقولون نزوله ومجيئه، وإتيانه وفرحه وغضبه، ورضاه،ونحو ذلك: قديم أزلي، كما يقولون: إن القرآن قديم أزلي))(١)

ثالثا:وأما الصفات الخبرية التي لم تثبت إلا من طريق السمع، كالوجه واليدين والعينين فقد اختلفت أقوال الأشاعرة فيها:

أ ـ فالمتقدمون منهم يثبتونها في الجملة(٢)

ب ـ والمتأخرون منهم يتأولون هذه الصفات.

هذا الذي استقر عليه المذهب الأشعري، وإن كان المتأخرون صاروا يحكون القولين في مذهبهم:

ـ التأويل وهو الذي يرجحونه.

ـ أو الإثبات لكن بشرط التفويض(٣).

وهذا حقيقة من غرائب هذا المذهب كيف لا يتورعون عن الجمع بين المتناقضات ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فالحاصل أن القوم يثبتون بعض الصفات، وينفون ويؤولون البعض الآخر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الأشاعرة :((وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم))(٤)

---

(١) مجموع الفتاوى (5/ 246).

(٢) انظر: الإبانة (129ـ 140)، ومجموع الفتاوى (3/ 71).

(٣) انظر: وسطية أهل السنة (357ـ 358)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (1033ـ 1037).

(٤) مجموع الفتاوى (6/ 35).

فمن خلال ما سبق ذكرهمن مذهبهم في الصفات يتضح أن صفة الشكر من الصفات التي اتفق الأشاعرة على نفيها وعدم إثباتها على ظاهرها.

لذلك لما وجدوا في الأدلة وصف الله بهذه الصفة وعجزوا عن ردها وإنكارها قاموا بتأويل هذه الصفة، وقد تقدم ذكر شيء من تأويلات الأشاعرة لهذه الصفة في مبحث التأويل، وقد أطلت هنالك في الرد عليهم على وجه الخصوص، وعلى أهل التأويل الفاسد عموما، وما ذكرته هناك يكفي ويشفي بإذن الله تعالى[1]

ذكر شبه الأشاعرة في نفي صفة الشكر والرد عليها:

الأشاعرة ليس لديهم حجة منفصلة عن غيرهم فيما نفوه من صفات الباري جل وعلا أو فيما أولوه، وغاية ما لديهم إنما هي شبه عقلية نفوا بسببها الصفات ومن الشبهة الرئيسة التي لأجلها نفوا صفة الشكر هي:

1. شبهة الأعراض وحدوث الأجسام.

وهذه الشبهة مبنية على أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وعلى امتناع حوادث لا أول لها، إذ قالوا: يجب تنزيه الله عز وجل عن أن تحل به الحوادث ليسلم لهم دليلهم على إثبات الصانع، وفسروا نفي حلول الحوادث بنفي جميع ما يتعلق بالله من الصفات الفعلية والاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، وبالطبع منها وصفه تعالى بصفة الشكر فهي كما سبق من الصفات الاختيارية.

وهذه الشبهة احتج بها الفخر الرازي في المطالب العالية حيث قال :((واحتج القائلون بامتناع قيام الحوادث بذات الله تعالى بوجه:

---

(١) انظر: (195ـ 214) من هذه الرسالة.

الحجة الأولى: أن نقول: كل ما كان قابلا للحوادث فإنه لا يخلو عنها،وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ...)).

ثم أخذ يشرح ، ويستدل على هذه الشبهة بأدلة عقلية عارية من الاستدلال بدليل الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ؛ ثم تجده بعد أسطر يؤكد كلامه على أن هذه الحجة مما اتفق عليه المتكلمون مما يلزم القول على حد زعمه بلوازمها الفاسد حيث قال:((ثم من المتفق عليه بين المتكلمين: أن كل ما لا يخلو عن المحدث فهو محدث، فيلزم القطع بأن كل ما يقبل الحوادث فإنه يكون محدثا، ولما ثبت أنه تعالى منزه عن الحوادث ثبت أنه يمتنع كونه قابلا للحوادث))[1]

الرد على هذه الشبهة :

قد سبق الرد على هذه الشبهة بالتفصيل عند الرد على الكلابية أسلاف الأشاعرة القدماء ولكن هنا أود أن أوضح أمرا أرى أ همية ذكره في هذا الموضع و فيه رد أيضا على الأشاعرة في اعتمادهم على دليل الحدوث ألا وهو:

موقف أبي الحسن الأشعري من دليل الأعراض وحدوث الأجسام:

أبو الحسن الأشعري يخالف المتكلمين عموما في استدلالهم بدليل الأعراض والحدوث ويصف طريقتهم بأنه ا طريقة مخالفة لمنهج النبوة فقد قال:((وكان ما يستدل به من أخباره ـ عليه السلام ـ على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة، ومن تبعها من القدرية، وأهل البدع المنحرفين عن الرسل ـ عليهم السلام ـ))[2].

---

(١) المطالب العالية (2/ 72ـ 73).

(٢) رسالة لأهل الثغر(185).

فهذا هو موقف من ينتسبون إليه من هذا الدليل الذي يعد من أقوى الأدلة لديهم في نفي الصفات لما التزموا به فإلى متى وهم متمسكون به وهو كما قال الأشعري من طرق أهل البدع المنحرفين عن طريق منهج رسل الله جميعا.

2ـ شبهة الكمال والنقصان.

وهذه من الشبه التي تمسك بها القوم فيما نفوه من صفات الله، أو قاموا بتأويلها خصوصا الصفات الاختيارية ويبين الرازي هذه الشبهة زاعما أنها حجة من الحجج التي تدل على ما ذهبوا إليه فيقول:((إن الصفة التي حدثت في ذات الله تعالى: إما أن تكون من صفات الكمال، وإما أن لا تكون من صفات الكمال، فإن كانت من صفات الكمال كانت تلك الذات قبل حدوث تلك الصفة فيها خالية عن صفة الكمال، والخلو عن صفة الكمال نقصان فيلزم كون تلك الذات ناقصة والنقصان على الله محال، وإن كانت تلك الصفة ليست من صفات الكمال، كان إثباتها في حق الله تعالى حالا [١] لحصول الاتفاق على أن صفات الله تعالى بأسرها يجب أن تكون من صفات الكمال والمدح))[٢]

الرد على هذه الشبهة:

هذه الحجة التي احتجوا بها من أضعف الحجج كما يقول شيخ الإسلام[٣]

لذا فهي باطلة من وجوه:

(١) لعل الصحيح محالا لدلالة السياق على ذلك والله أعلم.
(٢) المطالب العالية (2/ 73).
(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (1/ 481).

أحدها: لا نسلم أن عدم هذه الأمور قبل وجودها نقص، بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصا، مثال ذلك: تكليم الله لموسى ـ عليه السلام ـ ونداؤه له، فنداؤه حين ناداه صفة كمال، ولو ناداه قبل أن يجيء لكان ذلك نقصا، فكل منها كمال حين وجوده، ليس بكمال قبل وجوده.

الثاني: لا نسلم أن عدم ذلك نقص؛ فإن ما كان حادثا امتنع أن يكون قديما، وما كان ممتنعا لم يكن عدمه نقصا، إنما النقص فوات ما يمكن من صفات الكمال.

الثالث: أن هذا يرد في كل ما فعله الرب وخلقه فيقال: إن كان نقصا فقد اتصف بالنقص، وإن كان كمالا فقد كان فاقدا له.

فإن قال المخالف: صفات الأفعال عندنا ليست بنقص ولا كمال.

قيل: إذا قلتم ذلك أمكن المنازع أن يقول: هذه الحوادث ليست بنقص ولا كمال[1].

الرابع: أن يقال: إذا عرض على العقل الصريح ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها، وذات لا يمكنها ذلك البتة بل هي بمنزلة العاجز الذي لا يمكنه فعل يقوم به باختياره؛ فإن العقل الصريح يقضي بأن هذه الذات أكمل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:((وهذه الطريقة هي من أعظم الطرق في إثبات الصفات، وكان السلف يحتجون بها ويثبتون أن من عبد إلها لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، فقد عبد ربا ناقصا معيبا... ويثبتون أن هذه صفات كمال، فالخالي عنها ناقص، ومن المعلوم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه يثبت

---

(١) انظر: المرجع السابق (1/ 588)

للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق، فالخالق سبحانه أحق بتنزيهه عنه))[1] .

الخامس: أن يقال: الحوادث التي يمتنع كون كل منها أزليا ولا يمكن وجودها إلا شيئا فشيئا إذا قيل: أيهما أكمل: أن يقدر على فعلها شيئا فشيئا أو لا يقدر على ذلك؟ كان معلوما بصريح العقل أن القادر على فعلها شيئا فشيئا أكمل ممن لا يقدر على ذلك، وهم يقولون: إن الرب لا يقدر على شيء من هذه الأمور، ويقولون: إنه يقدر على أمور مباينة له[2].

هذا ما أردت ذكره من شبهات الأشاعرة والرد عليها ولهم شبهات أخرى تعرضت للرد عليها عند الحديث عن شبهات الطوائف السابقة والله أعلم.

(١) المصدر نفسه (1/ 511، 590).

(٢) انظر: دعوي المناوئين لشيخ الإسلام لعبد الله العصن(259)، ولمعرفة المزيد عن هذه المسألة انظر: درء التعارض(1/ 467، 479، 504، 521، 585).

الباب الثالث

المسائل العقدية المتعلقة بشكر العباد لربهم.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: معنى الشكر وحكمه وأنواعه ومسائله وفوائده.

الفصل الثاني: منزلة الشكر من العقيدة ودلالته على أقسام التوحيد الثلاثة وزيادة الإيمان بالله.

الفصل الثالث: ذكر بعض المخالفات العقدية المتعلقة بشكر الله تعالى .

الفصل الأول

معنى الشكر وحكمه وأنواعه ومسائله وفوائده

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : معنى الشكر، وحقيقته، وأركانه.

المبحث الثاني : الفرق بين الشكر والحمد.

المبحث الثالث : حكم الشكر.

المبحث الرابع : أنواع الشكر، وبيان أقسام أهله.

المبحث الخامس: نماذج من شكر الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث السادس: الشكر والابتلاء بالخيرات.

المبحث السابع: العلاقة بين الشكر والصبر، وأيهما أفضل.

المبحث الثامن: قلة الشكر في العباد، وأسبابه.

المبحث التاسع: شكر العباد والعلاقة بينه وبين شكر الله.

المبحث العاشر: فوائد الشكر وثماره على الفرد والمجتمع.

المبحث الأول: معنى الشكر، وحقيقته، وأركانه.

الشكر لغة: هو عرفان الإحسان، ونشره، وحَمْدُ مُوليه [١].

وقيل: هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف[٢]

ويقال: شَكَرْتُهُ، وشَكَرْتُ له، وباللام أفصح.

والشكران: خلاف الكفران.

ورجل شكور: أي كثير الشكر، والشكور من الدواب: ما يَسْمَنُ بالعلف اليسير ويكفيه[٣].

فإذاً الأصل في معنى الشكر في اللغة هو النماء والزيادة و الظهور، وعند مقارنة هذا مع حقيقة الشكر المأمور به نجد أن في الجميع معنى الزيادة والنماء والظهور[٤]

يقول ابن القيم رحمه الله -:((وأصل الشكر في وضع اللسان ظهور الغذاء في بدن الحيوان ظهورا بينا، وكذلك حقيقته في العبودية...))[٥]

الشكر اصطلاحا :

---

(١) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (5/ 292)، باب الكاف والشين والراء معهما، ولسان العرب (4/ 423)، والقاموس المحيط (390).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (512)، والصحاح (2/ 436).

(٣) انظر: كتاب العين(5/ 292)، و مقاييس اللغة (512)،والصحاح (2/ 436)، ولسان العرب (4/ 423).

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (1/ 322)، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (478).

(٥) مدارج السالكين (2/ 254).

أما معنى الشكر المأمور به وبيان حقيقته فقد جد العلماء في بيانه ووردت عنهم أقوال كثيرة جدا في بيان معناه وحقيقته فمن ذلك:

قيل الشكر: هو تقوى الله ـ تعالى ـ والعمل الصالح، وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل[١].

وقيل: الشكر ترك المعصية[٢].

وقيل الشكر:هو القيام له بطاعته، والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرا وباطنا[٣]

وقيل الشكر: هو عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره والثناء عليه[٤]

وقيل: الشكر تصور النعمة وإظهارها، ويضاده الكفر الذي هو نسيان النعمة وسترها[٥].

ويقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في بيان حقيقته: ((وحقيقة الشكر: الاعتراف بنعمة المنعم على سبيل الخضوع،وقالوا ذلك لأن الرجل قد يعترف بنعمة غيره على سبيل الاستهزاء فلا يقال: إنه يشكره))[٦]

---

(١) وهذا قول محمد بن كعب القرظي كما ذكره ابن جرير في تفسيره وابن كثير في تفسيره انظر: تفسير الطبري (10/ 356)، وتفسير ابن كثير (3/ 528).

(٢) وهذا قول محمد بن لوط الأنصاري، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر(85).

(٣) انظر: الفوائد لابن القيم (126).

(٤) انظر: مدارج السالكين (2/ 254).

(٥) انظر: المفردات للراغب (265).

(٦) الاسنى (1/ 323).

وحقيقة الشكر عند ابن القيم رحمه الله ـ مثل ما قال الإمام القرطبي رحمه الله ـ حيث قال:((... حقيقته في العبودية: وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة))[١]

ويقول السعدي رحمه الله ـ:((وحقيقة الشكر: هو الاعتراف بجميع نعم الله، والثناء على الله بها، والاستعانة بها على طاعة المنعم))[٢]

وكل هذه الأقوال السابقة متوافقة إذ الاختلاف بينها ليس باختلاف تضاد، وإنما هو اختلاف تنوع؛ فكل منهم يذكر نوعا من أنواع الشكر المأمور به، أو يقول قولا عاما يشمل جميع أنواعه.

أركان الشكر:

شكر العبد لربه المنعم ـ جل وعلا ـ مبني على ثلاثة أركان لا يكون شاكرا إلا بمجموعها[٣]:

أحدها: الاعتراف بنعمة الله باطنا.

وذلك بأن يقر بقلبه ويعترف أن ما به من نعمة، أو بأحد من خلقه فمن الله وحده لا شريك له فهذا يحمله على الذل والخضوع للمنعم ـ جل وعلا ـ فيمتلئ قلبه محبة وإنابة له ـ سبحانه وتعالى.

(١) مدارج السالكين (2/ 254).
(٢) تفسير السعدي(5/ 614).
(٣) انظر: الأسنى (1/ 328)، والوابل الصيب من الكلم الطيب (8)، وعدة الصابرين (479).

ويشهد لهذا ما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: مطر الناس على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: « أصبح من الناس شاكر ، ومنهم كافر ، قالوا: هذه رحمة الله ، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا »[1]

ويقول ابن القيم رحمه الله ـ:((والشكر للقلب محبة وإنابة، وللسان ثناء وحمد، وللجوارح طاعة وخدمة))[2]

الثاني: والتحدث بنعمة الله والثناء عليه بها ظاهرا.

وذلك بأن يعترف بنعم الله عليه بلسانه، ويثني عليه بها، وأن يظهر الشكر لله بالتحميد، وإظهار الرضا عن الله تعالى.

ويشهد لهذا ما جاء عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لا يشكر الناس، لا يشكر الله، ومن لا يشكر القليل، لا يشكر الكثير، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة بركة والفرقة عذاب»[3]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، حديث رقم (127)، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (2/ 247).

(٢) الفوائد (127).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسند أبي سعيد برقم (11703)، المسند (4/ 147)، وأبو داود برقم (4811)، في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، سنن أبي داود (4/ 255)،و الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم(1954، 1955)، سن الترمذي(4/ 298)، والبخاري في الأدب المفرد رقم(219) وصححه الألباني انظر: صحيح الأدب المفرد (99)، والصحيحة (2/ 272) ورقم(416، 667)، وأخرجه بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر لله عز

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ـ:((من شكر النعمة أن تحدث بها))[1]

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ـ:أيضا ((ذكر النعم شكر))[2]

وذكر ابن القيم رحمه الله ـ أن الثناء على الله المتعلق بالنعمة نوعان:

عام وخاص:

فالعام: وصفه بالجود والكرم، والبر والإحسان، وسعة العطاء، ونحو ذلك.

والخاص: التحدث بنعمته والإخبار بوصولها إليه من جهته كما قال الله تعالى:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[3] [4]

الثالث: الاستعانة بها على مرضاته وطاعته.

وذلك بأن يسخر ما أنعم الله عليه به في طاعته، وفيما يقرب إلى مرضاته، وأن لا يستعمل نعمه في معاصيه كما قال تعالى:﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ ﴾[5]

قال ابن جرير رحمه الله ـ:((أي: اشكروا ربكم بطاعتكم إياه، وأن العمل بالذي رضي الله، لله شكر))[1]

وجل (95) ورقم (63)،والخرائطي في كتاب فضيلة الشكر لله على نعمه(62)، ورقم (82).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر(92).

(٢) المصدر نفسه (93).

(٣) سورة الضحى، آية (11).

(٤) انظر: مدارج السالكين (2/ 258)

(٥) سورة سبأ، آية (13).

وقال أبو عبدالرحمن السلمي [٢] ـ رحمه الله ـ :((الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله ـ عز وجل ـ شكر، وأفضل الشكر الحمد))[٣]

فإذا فعل العبد هذه الأركان وحققها فقد شكر نعمة الله تعالى عليه مع تقصيره في شكرها[٤].

(١) تفسير الطبري (10/ 356).

(٢) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، حيث ولد في حياة النبي ﷺ ـ قال عنه الذهبي:(مقرئ الكوفة، الإمام العلم... قرأ القرآن وجوده، ومهر فيه، وعرض القرآن على عثمان وعلي وابن مسعود ... وأخذ عنه القرآن عاصم بن أبي النجود)، وقيل: إنه أقرأ القرآن أربعين سنة، وحدد بعضهم بأنه أقرأ القرآن من خلافة عثمان رضي الله عنه ـ إلى أن توفي في زمن الحجاج، وقيل أنه توفي سنة (74هـ)، وقيل:(73هـ) انظر: سير أعلام النبلاء(4/ 267).

(٣) تفسير ابن كثير (2356/3).

(٤) انظر: الوابل الصيب (8).

المبحث الثاني: الـفــرق بــين الشــكــر والــحــمــد.

اختلف أهل العلم في هذه المسالة على قولين:

القول الأول: منهم من ذهب إلى أنهما بمعنى واحد، وحكى هذا القول الإمام القرطبي عن بعض علماء اللغة، وبين أنه قول غير مرضي[1].

القول الثاني: أن لكل واحد من الشكر والحمد معناه الخاص الذي يفارق به الآخر.

وهذا قول كثير من أهل العلم، الذين أكدوا قولهم ببيان ما بينهما من الفروق وهي كما يلي:

أولا: أن الشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه؛ فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكرا[2].

وحقيقة الأمر أن الشكر والحمد بينهما عموم وخصوص بالنظر لأسباب كل منهما، وأنواعهما:

---

(١) حيث قال:(فذهب الطبري والمبرد إلى أنهما سواء). انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (1/ 322)، أما قول الطبري فقد قال في تفسيره:(ولا تَمانُع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم ـ لقول القائل: الحمد لله شكرا ـ بالصحة. فقد تبين ـ إذ كان ذلك عند جميعهم صحيحا ـ أن الحمد لله قد ينطق به في موضع الشكر، وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد. انظر: تفسيره (1/ 90)، وما ذهب إليه ابن جرير رحمه الله ـ رده ابن كثير حيث قال:(وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية). انظر: تفسير ابن كثير (1/ 100).

(٢) انظر: لسان العرب(4/ 423)، وشرح النونية لمحمد خليل هراس (2/ 75).

فمن جهة الأسباب الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله ـ تعالى ـ يحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، وأفعاله ونعمه، وما خلقه في الآخرة والأولى.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه.

ومن جهة الأنواع فالشكر أعم؛ لأنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾[1]

والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيه رحمه الله ـ:((... إن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص؛ فالحمد أعم من جهة أسبابه التي يقع عليها؛ فإنه يكون على جميع الصفات، والشكر لا يكون إلا على الإحسان.

والشكر أعم من جهة ما به يقع؛ فإنه يكون بالاعتقاد، والقول، والفعل،والحمد يكون بالفعل أو بالقول، أو بالاعتقاد))[3].

ثانيا: أن الشكر يكون عند السراء، والحمد يكون على كل حال.

---

(١) سورة سبأ، آية (13).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (11/ 79)، و مدارج السالكين لابن القيم (2/ 256ـ 257)، وعدة الصابرين (483).

(٣) مجموع الفتاوى (11/ 85)، وفي مختصر الفتاوى المصرية قال:(والحمد إنما يكون بالقلب واللسان) انظر: مختصر الفتاوى المصرية(94).

ولهذا جاء في هديه ﷺ ـ ما روت عائشة رضي الله عنها ـ حيث قالت: « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا رأى ما يحب قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"، وإذا رأى ما يكره قال: "الحمد لله على كل حال »[1]

ثالثا: ومن الفروق: أن الشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال[2].

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب (55) فضل الحامدين، حديث رقم(3803)، (ج2/ 1174)، وابن السني في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا رأى ما يحب ويكره (ص 334)، والبغوي في شرح السنة، باب جامع الدعاء حديث رقم(1380)،(5/ 180) والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح (1/ 677)، حديث رقم (1840) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني: وأقره الذهبي وحكم عليه بالصحة. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة(1/ 472)، حديث رقم(265)، وصحيح الجامع الصغير وزيادته(850/2)، وحديث رقم (4640).

(٢) انظر: عدة الصابرين (483).

المبــحــث الثـالــث: حــكــم الشــكـــر.

دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن عبادة الشكر من أجل العبادات، ومنزلتها من أرفع المنازل، وجاء عن غير واحد من السلف ـ عليهم رحمة الله ـ: أن الإيمان نصفان نصف شكر، ونصف صبر [١] وعبادة بهذه المكانة لا خلاف في وجوبها على كل مكلف، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يجب أن يشكر عقلا وشرعا على آلائه العظيمة، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

قال الإمام القرطبي رحمه الله ـ:((فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله ـ سبحانه ـ هو الشاكر والشكور على الإطلاق، وأن شكره ـ تعالى ـ واجب على كل مكلف من غير خلاف))[٢]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله ـ: ((إنه سبحانه يجب أن يشكر، ويحب أن يشكر عقلا وشرعا وفطرة؛ فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب، وكيف لا يجب على العباد حمده، وتوحيده، ومحبته، وذكر آلائه وإحسانه، وتعظيمه وتكبيره والخضوع له، والتحدث بنعمته والإقرار بها بجميع طرق الوجوب...))[٣]

هذا من حيث الجملة وإلا فإن النصوص الواردة في الشكر تدل على أنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: الشكر الواجب: وهو مقام أصحاب اليمين: وهو أن يأتي بجميع الواجبات ويترك جميع المحرمات وهذا لا بد منه.

---

(١) انظر: كتاب الشكر لابن أبي الدنيا (93)، ومدارج السالكين (2/ 252).

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (1/ 326).

(٣) شفاء العليل (450).

قال ابن رجب رحمه الله ـ:((... الشكر على درجتين:

أحدهما: واجب، وهو أن يأتي بالواجبات، ويجتنب المحارم فهذا لا بد منه، ويكفي في شكر هذه النعم ...))[١]

ومما يدل على هذا القسم ما يلي:

الأدلة على ذلك كثيرة جدا في الكتاب والسنة منها ما يلي:

أ ـ ما يدل على وجوب عبادة الشكر من القرآن.

1ـ أن الله أمر به خيرة خلقه عليهم السلام.

فقال في حق موسى عليه السلام ـ:﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٢]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله ـ ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ((: لله على ما آتاك من رسالته، وخصك به من النجوى، بطاعته في أمره، ونهيه، والمسارعة إلى رضاه))[٣]

وقال سبحانه أمرا نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم:

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [٤]

---

(١) جامع العلوم والحكم (494).
(٢) سورة الأعراف، آية (144).
(٣) تفسير الطبري(6/ 57).
(٤) سورة الزمر، آية (66).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله ـ ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ أي: لله على نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان(١).

بل أمر ـ جل شأنه ـ جميع الرسل ـ عليهم السلام ـ بأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، وأن يعملوا صالحا شكرا على ما أنعم به عليهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(٢)

والآية دالة على وجوب الشكر؛ لأنه داخل في العمل الصالح المأمور به في الآية(٣).

2ـ أن الله أمر جميع خلقه أن يشكروه جل وعلا .

وهذا الأمر جاء في مواضع متعددة من كتاب الله ـ عز وجل ـ كقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(٤) قال ابن كثير رحمه الله ـ: ((أمر الله بشكره، ووعده على شكره بمزيد الخير...))(٥)

والشيخ ابن عثيمين رحمه الله ـ عند تفسيره للآية السابقة بين أنها تدل على وجوب شكر النعمة وتحريم كفرانها وجحودها(٦)

---

(١) تفسير الطبري (23/11).

(٢) سورة المؤمنون، آية (51).

(٣) انظر: تفسير السعدي (81).

(٤) سورة البقرة، آية(152).

(٥) تفسير ابن كثير (1/ 338).

(٦) انظر: تفسير ابن عثيمين (2/ 165).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (١) قال السعدي ـ عليه رحمة الله ـ:((هذا أمر للمؤمنين خاصة ... فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه باستعمالها بطاعته...))(٢)

وما ورد في الآية من باب الاحتجاج والإلزام، والمعنى إن عبادتكم لله تستلزم شكركم له؛ بل هي الشكر نفسه؛ فإن كنتم ملتزمين لعبادته داخلين في جملتها فكلوا من رزقه، واشكروه على نعمه(٣).

وقوله تعالى:﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (٤) قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: ((يقول الله ـ تعالى ـ آمرا عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب، وبشكره على ذلك؛ فإنه المنعم المتفضل به ابتداءً، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له))(٥)

وغير هذا كثير في كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ فكم من الآيات التي جعل الله فيها الشكر هو الغاية من خلقه وأمره وإنعامه على عباده فكيف لا يكون واجبا وهو بهذه المكانة؟!

---

(١) سورة البقرة، آية (172).
(٢) تفسير السعدي (81).
(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (1/ 54).
(٤) سورة النحل، آية (114).
(٥) تفسير ابن كثير (2/ 1657).

كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢)

ب ـ ما يدل على وجوب عبادة الشكر من السنة.

أدلة السنة على وجوب شكر الله على نعمه كثيرة أيضا لا تحصر إلا بكلفة، وذلك أن حياة النبي ـ ﷺ ـ كلها طاعة وشكر لله ـ تعالى ـ فسنته القولية والفعلية والتقريرية كلها دالة على وجوب الشكر، ومن تأمل أذكار النبي ـ ﷺ ـ وأدعيته وأقواله وأفعاله يجد أنها كلها دالة على ذلك؛ فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) سورة النحل، الآيات(14ـ 18).
(٢) سورة النحل، آية (78).

1ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تَرْبَعُ[١]، وتَرْأَسُ، فأين شكر ذلك »[٢]

2ـ ما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم، أن يقال له: ألم نُصِّحَ جسمك، ونروك من الماء البارد »[٣].

3ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: « إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل – أو قال البقر، شك إسحاق – إلا أن الأبرص، أو الأقرع، قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني

---

(١) تربع: أي تأخذ ربع الغنيمة. يقال ربعت القوم أربعهم: إذا أخذت ربع أموالهم، يريد ألم أجعلك رئيسا مطاعا؛ لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه، ويسمى ذلك الربع: المرباع.انظر:النهاية في غريب الحديث (2/ 186).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الزهد حديث، رقم (2968) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي(18/ 401ـ 402).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الهاكم التكاثر، (5/ 418)، ورقم(3358)، والبغوي في شرح السنة، باب الاجتناب عن الشهوات، (14/ 311) ورقم(4120)، والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم(539)، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته(1/ 406)، ورقم (2022).

الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملا، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرا، أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا، فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك »[1].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، حديث رقم (3464)، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث أبرص وأعمى وأقرع من بني إسرائيل. انظر: صحيح البخاري(583)، والإمام مسلم حديث رقم(2964)، كتاب الزهد. انظر: الإمام مشلم بشرح النووي (18/ 398).

هذا الحديث فيه من العظة والعبرة العظيمة لمن تأمله ومنها دلالته على وجوب شكر نعم الله والحذر الشديد من جحدها وعدم شكرها، وهذه الدلالة من هذا الحديث جاءت في أقوال علماء الحديث وغيرهم فمن هؤلاء ابن حبان ـ يرحمه الله تعالى ـ عند ذكره لهذا الحديث في صحيحه صدره بقوله:((ذكر الأخبار عما يجب على المرء من الشكر لله ـ جل وعلا ـ بأعضائه على نعمه، ولاسيما إذا كانت النعمة تعقب بلوى تعتريه))[١]

ويؤيد هذا ما أثر عن أم المؤمنين ـ عائشة رضي الله عنها ـ في قولها:((ما من عبد يشرب الماء القراح فيدخل بغير أذى، ويخرج بغير الأذى إلا وجب عليه الشكر))[٢]

ويقول شيخ الإسلا رحمه الله ـ:((ومن أكل من الطيبات بدون الشكر الواجب فهو مذموم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [٣] أي عن شكر النعم))[٤].

ولقد أحسن من قال:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ[٥]

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان (2/ 13).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (162)، ورقم (188)، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (470).

(٣) سورة التكاثر، آية (8).

(٤) مختصر الفتاوى المصرية (335).

(٥) ذكر هذين البيتين ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ونسبها لمحمود الوراق (104)

القسم الثاني: الشكر المستحب.

وهو مقام السابقين المقربين: وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض، واجتناب المحرمات بنوافل الطاعات، والقربات التي أرشدت إليها النصوص وأنها من شكر الله ـ عز وجل ـ ومن هذا شكر الأنبياء عليهم السلام ـ وفي مقدمتهم نبينا ﷺ ـ فقد قام حتى تفطرت قدماه فلما قيل له: لما تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول ﷺ ـ « أفلا أكون عبدا شكورا»[1].

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: ((الدرجة الثانية من الشكر: الشكر المستحب، وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم بنوافل الطاعات، وهذه درجة السابقين المقربين، هي التي أرشد إليها النبي ـ ﷺ ـ في هذه الأحاديث...))[2]

وأدلة هذا القسم كثيرة جدا ويأتي ذكرها بأمثلتها في المبحث التالي بإذن الله تعالى.

ورقم (82)، وأوردها أيضا الخرائطي في كتاب فضيلة الشكر لله على نعمه (47) ورقم (45)، وابن القيم في عدة الصابرين (420).

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي ـ ﷺ ـ الليل، حديث(1130)، صحيح البخاري(181)، والإمام مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث (2819)، صحيح مسلم بشرح النووي (17/ 296).

(٢) جامع العلوم والحكم (495).

المبحث الرابع: أنواع الشكر وبيان أقسام أهله.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع الشكر:

اجتهد العلماء في توضيح أنواع الشكر وحصرها وتقريبها للعباد فقد ذكروا أن الشكر على ثلاثة أنواع شاملة لجميع أنواع العبادة وهي[١]:

أولا: شكر القلب.

ذكر أهل العلم في بيان شكر القلب أقوالا منها[٢]:

قيل هو: تصور النعمة[٣].

وقيل هو: أن يقصد الخير، ويضمره للخلق كافة[٤].

وقيل هو: أن تعلم أن النعم كلها من الله عز وجل[٥].

وقيل هو: معرفة المنعم ومحبته[٦].

---

(١) عدة الصابرين (483)، وشعب الإيمان (4/ 135)، ومطالع الأنوار على صحاح الآثار (6/ 47)، ونضرة النعيم (6/ 2396).

(٢) انظر: عدة الصابرين (483)، ومطالع الأنوار (6/ 47).

(٣) انظر: المفردات للراغب(265)، وتاج العروس للزبيدي (12/ 225)، والكليات للكفوي(534)، وفيض القدير للمناوي(4/ 285).

(٤) انظر: شعب الإيمان (4/ 135)، ومطالع الأنوار على صحاح الآثار (6/ 47).

(٥) الفوائد لابن القيم (204).

(٦) انظر: مدارج السالكين (2/ 257)، وعدة الصابرين (479).

وقيل شكر القلب هو: التسليم قال الله ـ تعالى ـ ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1].

ومن أفضل مَنْ بين هذا النوع من الشكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ حيث جعل أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع والذل والمحبة وهو قول جامع في بيان المراد بشكر القلب فقد قال:((فإن أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقرَّ بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضِ به وعنه لم يشكرها أيضا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقرّبها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها. فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم- وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له،كما في صحيح البخاري عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ ـ:« سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " قال: «ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح،

---

(١) سورة النحل، آية (53).

فهو من أهل الجنة»[١]، فقوله:« أبوء لك بنعمتك علي» يتضمن الإقرار والإنابة إلى الله بعبوديته...))[٢]

أمثلة على شكر الله بالقلب:

يتعلق شكر القلب بأعمال القلوب من التوحيد الإيمان والاستسلام والإخلاص، والمحبة والرجاء والخوف، والخشوع والإخبات والإنابة،والتعظيم والإجلال والتذلل والخضوع وغيرها.

ومما ينبغي أن يعلم أن شكر القلب هو أصل الشكر وأساسه، وعليه تنبني

أنواع الشكر الأخرى، وهو الذي يتطلب من العبد المؤمن أن يبذل جهده ومستطاعه في تحقيقه؛ لأن التفاضل الذي يقع بين الناس، ويفارق بينهم إنما يكون في تحقيق أمثال هذه الأحوال المنيفة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((... ثم أحوال القلوب وأعمالها مثل: محبة الله، والتوكل عليه، والصبر على حكمه، والشكر له، والإنابة إليه، وإخلاص العمل له؛ مما يتفاضل فيها الناس تفاضلا لا يعرف قدره إلا الله ـ عز وجل ـ ومن أنكر تفاضلهم في هذا فهو إما جاهل، وإما معاند))[٣]

ويقول تلميذه ابن القيم رحمه الله ـ:((ويا عجبا: أي مقام أرفع من الشكر الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان؛ حتى المحبة والرضا والتوكل وغيرها! فإن الشكر لا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، حديث(6306)، صحيح البخاري(1097).

(٢) طريق الهجرتين (117ـ 118).

(٣) كتاب الإيمان (319).

يصح إلا بعد حصولها! وتالله ليس لخواص أولياء الله، وأهل القرب منه سبيل أرفع من الشكر ولا أعلى))[١]

ثانيا: شكر اللسان.

وقيل المراد به هو: الثناء على المنعم والتحدث بالنعم[٢].

وقيل هو: إظهار الشكر لله بالتحميد[٣].

وقيل هو: دوام الحمد عليه[٤].

أمثلة على شكر الله باللسان:

شكر المنعم ـ جل وعلا ـ باللسان أمثلته كثيرة جدا لدخوله في باب الذكر والثناء على الله بما هو أهله وهذا يصعب حصره وتسطيره وإنما أضرب له بعض الأمثلة مما ورد في الكتاب والسنة، وما جاء عن علماء الأمة فمن ذلك:

1ـ قول هذا من فضل ربي.

وهذا مما يجب على الإنسان إذا أنعم الله عليه بنعمه أن يعترف بها بلسانه، وأن يرد فضلها للمنعم ـ جل وعلا ـ ولا ينسبها لغيره وهذا مما جاء في القرآن العظيم تعليما للعبد على لسان نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ لما رأى عرش ملكة سبأ بين يديه فقال ما قصَّ الله عنه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ

---

(١) مدارج السالكين (2/ 259).

(٢) انظر: مدارج السالكين(2/ 258)، والموسوعة القرآنية (8/ 299).

(٣) انظر: عدة الصابرين (483).

(٤) عدة الصابرين (483)،و (شعب الإيمان (4/ 135)،ونضرة النعيم (6/ 2396).

أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ [1]

2ـ قول هذا رحمة من ربي.

وهذا الشكر القولي جاء أيضا في كتاب الله كما قصه الله عن الملك الصالح ذي القرنين لما مكنه الله من بناء السد وإحكامه على يأجوج ومأجوج لئلا يفسدوا في الأرض قال لما فرغ منه ما قصَّه الله بقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ [2]

قال العلامة السعدي في تفسيره رحمه الله ـ ((فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا مَنَّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه

(١) سورة النمل، الآيات (38 ـ 40).
(٢) سورة الكهف، الآيتان (97ـ 98).

السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم أشراً وبطراً؛ كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة- قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾[١]))[٢]

3ـ قول ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وهذا ورد في وصية الرجل المؤمن لصحابه الذي أنعم الله عليه بجنتين عظيمتين فلم يقم بشكر ما أنعم الله عليه فقال له صاحبه المؤمن :؛ ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [٣]أي هلا إذا أعجبتك جنتك حين دخلتها، ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وشكرته على ما أعطاك من المال والولد ما لم يعط أحدا غيرك وقلت: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ لما فيها من الحمد والثناء على الله ـ عز وجل ـ والاعتراف بفضله وبقوته، والإقرار بضعف العبد وعجزه، وكل هذا من الشكر[٤] .

---

(١) سورة القصص، آية (78).

(٢) تفسير السعدي (486ـ 487).

(٣) سورة الكهف، آية (39).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (3/ 1773)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (5/ 874).

ولهذا جاء عن غير واحد من السلف الدعاء بهذا الدعاء [1] إذا أعجبوا بشيء مما أنعم الله به عليهم من أهل وولد ومال أخذاً بما جاء في الآية الكريمة يتأولون ما جاء فيها ويعدون ذلك من أفضل الدعاء[2] فمن ذلك:

ما جاء عن أنس رضي الله عنه ـ أنه قال:(من رأى شيئا من ماله؛ فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يصب ذلك المال آفة أبدا وقرأ ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [3])[4]

كما ذكر أن الإمام مالك . رحمه الله ـ دخل بيته وقال:(ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فقيل له: لما تقول هذا؟؛ قال: ألا تسمع الله يقول: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

---

(١) وري في هذا حديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت)، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط(4/ 301)، برقم (4261)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (315)، ورقم (357)، والبيهقي في الأسماء والصفات (1/ 417)، ورقم (338)، لكنه ضعيف الإسناد انظر: تخريج الألباني للكلم الطيب (125)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (2012)، وضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم (5026).

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي(1/ 447)، وشرح السنة للبغوي (12/ 116)، وشعب الإيمان (3/ 513)، ومصنف عبدالرزاق (5/ 139)، والشكر لابن أبي الدنيا (169).

(٣) سورة الكهف، آية (39).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (3/ 1773)، و تفسير ابن أبي حاتم (7/ 2362)، ورقم (12819).

وكان ابن شهاب[1] إذا دخل أمواله قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله[2]

وهذه الجملة من الدعاء من أعظم، وأفضل الدعاء لما صح أنها كنز من كنوز الجنة وذلك في حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس ارْبَعُوا[3] على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا، وهو معكم» قال وأنا خلفه، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال يا عبد الله بن قيس: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة، فقلت: بلى يا رسول الله قال: " قل: لا حول ولا قوة إلا بالله »[4]

4ـ قول الحمد لله والثناء عليه.

---

(١) ابن شهاب هو: الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب، أحد الفقهاء والمحدثين الأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقيل أنه قد حفظ علم الفقهاء السبعة، توفي ـ رحمه الله ـ في سنة (124هـ)، وقيل: في (123، وقيل: 125). انظر: سير أعلا النبلاء(5/ 326)، ووفيات الأعيان (4/ 177)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (34/ 451)، وتاريخ الثقات للعجلي (412).

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (5/ 391).

(٣) ارْبَعُوا:أي ارفقوا بأنفسكم، واخفظوا أصواتكم.انظر: مسلم بشرح النووي(17/ 192)

(٤) أخرجه الإمام البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم (4202)، صحيح البخاري (713)،والإمام مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم (2704)، مسلم بشرح النووي (17/ 191).

حمد الله والثناء عليه بما هو أهله على ما أنعم وتفضل به على عباده من الشكر القولي، وذلك لما فيه من الثناء على الله، والشكر له، والإقرار له بنعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى[١] .

والحمد لله هي كلمة الشكر التي أحبها الله، ورضيها لنفسه، وأحب قولها من عباده.

كما أثر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال:((الحمد لله: كلمة الشكر،وإذا قال العبد: الحمد لله، قال: شكرني عبدي))[٢] .

وذكر ابن كثير أثرا عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما أنه قال:((إن الرجل إذا قال: ... الحمد لله: فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها))[٣]

وعند تأمل ما جاء من ألفاظ الحمد في الكتاب والسنة نجد أنه أطلق كثيرا منها في مقابل النعم من باب شكرها.

فمن شكر أهل الجنة عند دخولها قولهم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[٤]

ومن شكر إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ حمده لله تعالى على نعمة الولد عند

(١) انظر: تفسير ابن كثير (1/ 100).
(٢) أورده بسنده ابن أبي حاتم في تفسير، برقم (8)، في تفسير سورة الفاتحة(1/ 26)، وابن كثير في تفسيره أيضا (1/ 100).
(٣) تفسير ابن كثير (3/ 1719).
(٤) سورة الزمر، آية (74).

قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (١)

ومن أحاديث السنة الدالة على هذا المعنى:

ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: « إذا رأى أحدكم مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني عليك وعلى كثير من عباده تفضيلا ، كان شكر تلك النعمة»(٢)

وما جاء من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ »(٣)

ومعنى قوله:« إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ » كما نقل ابن كثير في تفسيره عن القرطبي وغيره: ((أي لكان إلهامه الحمد لله أكبر نعمة عليه من نعم الدنيا؛ لأن ثواب الحمد لا يفنى، ونعيم الدنيا لا يبقي قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ

---

(١) سورة إبراهيم، آية (39).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (4129)، والبزار في مسنده برقم (9106)، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (159) ورقم (183)، وغيرهم وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته(1/ 157) ورقم(555).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين(2/ 1250)، ورقم(3805)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (350)، والخرائطي فضيلة الشكر (33)، ورقم(1) ، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر لله عز وجل (64)، ورقم (1)، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته(2/ 975) ورقم (5562).

وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾[1]))[2]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه ورفعت مائدته كما صح عنه قال : «الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي ولا مكفور[3]» وقال مرة: «الحمد لله ربنا، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه، ربنا»[4]

ومثله عن أبي أيوب الأنصاريِّ، قال:كانَ رسولُ الله ﷺ - إذا أكلَ أو شَرِبَ قال: « الحمدُ لله الذي أطعَمَ وسَقَى وسَوَّغهُ وجَعَلَ له مَخْرَجَاً »[5]

وبينت السنة كذلك أن حمد الله وشكره عند الأكل والشرب من أسباب رضوان الله عن العبد فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

---

(١) سورة الكهف، آية (46).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (1/ 101).

(٣) كفانا: من الكفاية وهي أعم من الشبع والري، و(أروانا: من الري: وهو أخذ الكفاية من الماء، ولا مكفور: غير مجحود فضله ولا تنكر نعمته. انظر: كتاب العين (5/ 258)، والنهاية (2/ 291، 4/ 182)، وتهذيب اللغة (10/ 115).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه (972)، برقم (5459).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن، (3/ 366) كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، حديث (3851)، والنسائي في السنن الكبرى، باب القول بعد الشرب(6/ 208)، حديث (6867)، والبغوي في شرح السنة (11/ 279)، حديث(2830)، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع(2/ 856)، حديث (4681) وهو في الصحيحة (2/ 322) حديث (705).

الله عليه وسلم: « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فَيَحْمَدُهُ عليها »(١)

وأثر عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لأحد جلسائه: «تدري ما حق الطعام؟» قلت: وما حقه؟ قال: «تقول بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا»، ثم قال: « تدري ما شكره؟» قلت: وما شكره؟ قال: تقول: « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا»(٢)

5ـ التحدث بنعمة الله .

من شكر الله ـ عز وجل ـ باللسان أن يتحدث المرء بنعمة الله مظهراً ما أنعم الله به عليه من النعم العظيمة، والفضائل الجليلة التي يعجز لسانه عن حصرها أو عَدِّها؛ كأن يقول: (هذا من فضل ربي)، أو (هذا رحمة من ربي)، أو كما جاء في حديث سيد الاستغفار(أبوء لك بنعمتك علي)، أو أي لفظ يدل على اعترافه بنعمة الله بلسانه وأن ما به من نعمة فمن الله وحده هذا من جهة.

ومن جهة أعم يدخل في التحدث بنعم الله وصفه جل وعلا بصفات الكرم والجود والبر والإحسان وسعة العطاء ونحو ذلك(٣).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (17/ 210) حديث 2734) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة(2/ 705)، ورقم (1207)، والطبراني في الدعاء (95)، ورقم (235)، ابن أبي شيبة في مصنفه (5/ 139)، وبرقم (24509).

(٣) انظر: مدارج السالكين (2/ 258).

وكل هذا مما ورد الحث عليه والترغيب فيه في نصوص الوحي، وأقوال أهل العلم والفضل:

يقول الله تعالى:﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(١)

وفي هذه الآية يأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه ﷺ ـ أن يحدث بما أنعم الله عليه من النعم الدينية والدنيوية شكرا لله تعالى.

يقول العلامة السعدي رحمه الله ـ في تفسير الآية السابقة:((وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية (فحدث) أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داعٍ لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن))(٢).

ومما يدل على أن من شكر النعم التحدث بها وذكرها حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ـ وقد سبق وفيه« ... والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر ...»(٣)

ومن أقوال العلماء في الحث على التحدث بنعم الله :

1ـ ما رواه ابن جرير الطبري رحمه الله ـ في تفسيره بسنده عن أبي نضرة رحمه الله ـ أنه قال:

---

(١) سورة الضحى، آية (11).

(٢) تفسير السعدي (7/ 643ـ 644).

(٣) سبق تخريجه ص(331)

(٤) أبو نضرة: هو منذر بن مالك بن قطعة العبدي العوقي من العوقة بطن من عبدالقيس، ثم البصري، مشهور بكنيته، روى عن علي وابن عمر وابن عباس وأبي

((كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها))[١]

2ـ قول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ـ ((تذكروا النعم؛ فإن ذكرها شكر، والرضا بقضاء الله شكر))[٢]

3ـ ما قاله الفضيل بن عياض رحمه الله ـ ((من شكر النعمة أن تحدث بها))[٣]

6ـ شكر صنائع المعروف.

من الشكر القولي: أن تشكر من صنع إليك معروفا من الناس بالثناء عليه، والدعاء له بقول: جزاك الله خيرا، أو بقول: شكر الله سعيك،أو أشكرك على هذا العمل ؛ لأن هذا من شكر الله فهو الذي أجرى هذا الخير والمعروف على أيديهم.

ولما لهذا الخلق الكريم من الآثار العظيمة في عاجل حياة الناس وآجلها حث النبي ﷺ ـ أمته عليه، ورغبها فيه لتكون أمته أرقى الأمم أخلاقا، وأعلاها شأنا وقدرا فمما ورد في ذلك:

هريرة، وكان من كبار علماء البصرة، وفصحائها، وكان ثقة كثير الحديث، قال عنه الإمام أحمد: ما علمت إلا خيرا، وقال الذهبي: الإمام المحدث الثقة. وقيل: أفلج في آخر عمره فتغير حفظه، توفي في سنة ثمان أو تسع ومائه. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (7/ 155)، سير أعلام النبلاء (4/ 529)، والتاريخ وأسماء المحدثين وكناهم (170)، تاريخ الثقات للعجلي (439)، ومشاهير علماء الأمصار للبستي(155)، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم (2/ 250).

(١) انظر: تفسير الطبري (12/ 625).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (93).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (92).

عن الأشعث بن قيس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« إن أشكر الناس لله ـ عز وجل ـ أشكرهم للناس » (١)

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أعطي عطاء... وفي رواية: (من صُنِعَ إليه معروف) فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ به ، فإن لم يَجِدْ ما يَجْزِيه ، فَلْيُثْنِ عليه فإن من أثنى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر » (٢)

وعند الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ أَتِيَ إليه معروف، فَلْيُكَافِئْ به، ومن لم يستطع، فليذكرْه، فمن ذكره، فقد شكره، ومن تشبع بما لم ينل، فهو كلابس ثوبي زور »(٣)

بل بيت السنة أن الدعاء لصانع المعروف بقول (جزاك الله خيرا) هو أبلغ الثناء فعند الترمذي وغيره من رواية أسامة بن رضي الله عنهما ـ قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (8/ 197) حديث (21905)، والطبراني في المعجم الكبير(1/ 171) وحديث (425)، والخرائطي في فضيلة الشكر (61) وحديث (79)، والحديث صححه الألباني في الصحيحة (1458)، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 233) وحديث (1008).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، (4/ 332)، حديث (2034)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 303)، حديث (12031)وغيرهما، والحديث قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحكم عليه الألباني بالصحة في صحيح الجامع الصغير(2/ 1030)، وفي صحيح الأدب المفرد(98)، حديث (157)، وهو في الصحيحة برقم (617).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (9/ 378)، حديث رقم (24647).

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « من صُنِعَ إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء » [١]

شكر الوالدين:

ومن أعظم ما يندرج تحت هذا الباب هو شكر الوالدين، وهذا من الشكر الواجب الذي أمرنا الله به في قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٢]

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ في هذه الآية: ((من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر الوالدين)) [٤]

---

(١) أخرجه الترمذي، وهو كسابقه برقم (2035)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (221) برقم (180)، وابن حبان في صحيحه (8/ 202) برقم (3413)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (242)، برقم (275)، والحديث صحيح قال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(2/ 1089).

(٢) سورة لقمان، آية (14).

(٣) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي ثم المكي، ولد بالكوفي سنة(107هـ)، ونشأ في مكة وتوفي بها سنة(196هـ)، وهو من العلماء الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين، قال عنه الذهبي:(الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام). انظر: السير(8/ 454)، والثقات لابن حبان (6/ 403)، والطبقات الكبرى لابن سعد (1/ 35)، والثقات للعجلي (194)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (1/ 32).

(٤) تفسير البغوي (6/ 287).

وقال السعدي رحمه الله ـ في بيان شكر الوالدين الموصى به في الآية :((ولوالديك: بالإحسان إليهما بالقول واللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما، وإجلالهما، والقيام بمؤونتهما، واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل))[1]

فالوالدان حقهما على الأبناء عظيم، وكثيرا ما يقرن الله في القرآن حقهما بحقه كما في هذه الآية فقد قرن شكرهما بشكره، وما ذاك إلا لعظيم ما قاما به من معروف تجاه الولد؛ فهما سبب وجوده في الحياة، وكم سهرا وتعبا في تربيته وتغذيته؟

فمن قابل ذلك بالعقوق والإساءة لم يقم بشكرهما، ومن كان كذلك فإنه بعيد كل البعد عن شكر الله الذي أجرى النعمة على أيدي الوالدين وتنعم بها الولد؛ وقد قال ﷺ ـ:« لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[2]

ثالثا: شكر الجوارح.

ومن الأقوال الواردة في بيان معنى هذا النوع ما يلي[3]:

قيل شكر الجوارح: أن لا تستعمل جارحة من جوارحك إلا في طاعته أن عافاك الله.

وقيل: هو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه. بمعنى استعمالها فيما خلقت له.

---

(١) تفسير السعدي (648).

(٢) سبق تخريجه في ص (358).

(٣) شعب الإيمان (4/ 135)، الأسنى (1/ 326)، مدارج السالكين (2/ 264)، وتفسير ابن رجب (1/ 130) ومطالع الأنوار على صحاح الآثار (6/ 47).

وقيل: هو استعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معاصيه.

وقيل الشكر بالعمل هو: الدوام على الطاعة.

ونأخذ من هذه الأقوال أن على كل جارحة من جوارحنا نوعا من الشكر، وأن القيام به يكون بأمرين:

أحدهما: استعمال كل جارحة فيما خلقت له من الطاعات التي تخصها.

والثاني: أن لا تستعمل كل جارحة من جوارحك في غير ما خلقت له من الطاعة.

وبهذين الأمرين تمام حقيقة الشكر لله ـ تعالى ـ إذ حقيقة الشكر كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((وإن جزء حقيقته ـ أي الشكر ـ الاستعانة بنعم المنعم على طاعته ومرضاته))[1].

ويوضح هذا ما كتبته عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلى معاوية ـ رضي الله عنه ـ:((إن أقل ما يجب للمنعم على من أنعم عليه: أن لا يجعل ما أنعم عليه سبيلا إلى معصيته))[2].

وهذا الذي أكده الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ حين قال: ((...ثم أعلم أن على كل جارحة شكرا يخصها... وشكر كل جارحة إنما باستعمالها بتقوى الله ـ العظيم ـ في امتثال ما يخصها من الطاعات، واجتناب ما يخصها من العصيان؛ فشكر البدن أن لا تستعمل جوارحه في غير طاعته... حتى قال: وشكر المال أن لا تنفقه في غير رضاه ومحبته ووراء ذلك تطوعات للشاكر والشكور...))[3].

---

(١) مدارج السالكين (2/ 264).

(٢) المصدر نفسه

(٣) الأسنى (1/ 326).

أدلة الشكر بالجوارح:

1ـ أن الله سبحانه وتعالى سمى العمل شكرا.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١) وهذا الشكر المأمور به في الآية عام يشمل الشكر القولي والشكر العملي: القولي قول القلب واللسان، والعملي عمل القلب والجوارح.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية:((وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين،وشكرا: مصدر من غير الفعل، أو أنه مفعول له، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية))(٢).

وقد دلت الآية على أن آل داود ـ عليه السلام ـ كانوا قائمين بشكر الله قولا وعملا، وهذا الذي بينته السنة وذلك فيما ورد أن داود ـ عليه السلام ـ كان قائما بشكر الله قولا وعملا ففي الصحيحين من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما، ويفطر يوما»(٣).

2ـ دلالة السنة على أن قيام الليل من شكر الله تعالى.

---

(١) سورة سبأ، آية (13).

(٢) تفسير ابن كثير (3/ 2356).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب من نام عند السحر(181)، حديث (1131)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر، حديث (1159) . انظر: صحيح مسلم بشرح النووي(231/8).

وذلك كما في حديث عا ﵂ ـ فقد قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا»[1]

والنبي ﷺ ـ في هذا الحديث قام بأظهر أنواع الشكر وهو الشكر العملي المتمثل في سجوده وصلاته حتى تفطرت قدماه شكرا على نعمة مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر

قال القاضي عياض ﵀ ـ عند شرحه لقوله . ﷺ ـ « أفلا أكون عبدا شكورا»:((... والشكر بالفعل أظهر منه بالمقال، وشكر العباد لله: اعترافهم بنعمه، وثناؤهم عليه، وتمام ذلك مواظبتهم على طاعته...))[2]

وقال ابن القيم ﵀ ـ في قول ﷺ ـ : « أفلا أكون عبدا شكورا»: ((فسمى الأعمال شكرا، وأخبر أن شكره قيامه بها، ومحافظته عليها))[3]

3ـ ومن الأقوال الدالة على شكر الجوارح

1ـ قال أبو عبدالرحمن الحُبُلِي[4] ﵀ ـ :

---

(١) سبق تخريجه ص (370).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/ 355).

(٣) طريق الهجرتين (409).

(٤) هو عبدالله بن يزيد المعافري، أبو عبدالرحمن الحبلي المصري، تابعي ثقة، روى عن جماعة من الصحابة، وكان صالحا فاضلا، شهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير، ثم استوطن القيروان، وانتفع به جماعة من الأفارقة، وبث فيهم علما كثيرا، مات سنة(100هـ). انظر: تهذيب الكمال (16/ 316)، وتهذيب التهذيب(6/ 81)، والثقات لابن حبان (7/ 10)، والثقات للعجلي(283)، وتاريخ ابن يونس (

((الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله ـ عز وجل ـ شكر، وأفضل الشكر الحمد))(١)

2ـ قول محمد بن كعب القرظي رحمه الله ـ فقد قال: ((الشكر تقوى الله والعمل الصالح))(٢)

3ـ قول ابن جرير رحمه الله ـ في تفسير آية سبأ السابقة:((يقول تعالى ذكره:

وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصَّكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمَّكم بها مع سائر خلقه))(٣)

أمثلة على شكر الله بالجوارح:

1ـ أداء الفرائض والواجبات.

وهذا النوع من أعظم أنواع الشكر وأحبها إلى الله ـ تعالى ـ ولو لم تكن كذلك لما افترضها الله على عباده، و هذا يشمل جميع العبادات الواجبة التي نقوم بها امتثالا لأمر الله ـ عز وجل ـ من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد، وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغيرها ومما يشهد لذلك ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت

(290/1).

(١) تفسير ابن كثير (2356/3).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (10/ 356)، وتفسير ابن كثير (3/ 2357).

(٣) تفسير ابن جرير (10/ 356).

سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته »(١)

2ـ الصلاة والنحر.

من أعظم أنواع شكر الباري ﷻ ـ ما أُمر به النبي ﷺ ـ وأمته تبع له في ذلك وهو شكر الله عز وجل بالإخلاص له في عبادتين عظيمتين وهما: الصلاة والنحر على وجه الخصوص وجاء ذلك في سورة الكوثر. قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾(٢)

أقوال المفسرين في بيان الشكر المأمور به في سورة الكوثر:

الأول/ قول إمام المفسرين ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ:

فإنه بعد ترجيحه أن المراد بالكوثر هو نهر أعطاه الله نبيه محمدا ـ ﷺ ـ في الجنة ذكر أقوال العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ فقال مرجحا:

((وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له، وخصك به، من إعطائه إياك الكوثر.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (1127)، حديث(6502).

(٢) سورة الكوثر، الآيتان (1ـ 2).

وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بما أكرمه به من عطيته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ، فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له، والنحر على الشكر له، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه، بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض وجه، إذ كان حثا على الشكر على النِّعَم.

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر، إنعاما منا عليك به، وتكرمة منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافا لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان))[١].

الثاني/ الشيخ عبدالرحمن بن سعد: رحمه الله ـ:

قال:((ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات.

ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به))[٢].

الثالث قول الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ في إتمام أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (12/ 724).

(٢) تفسير السعدي (7/ 679ـ 680).

قال:((قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، في هذا مع ما قبله ربط بين النعم وشكرها، وبين العبادات وموجبها، فكما أعطاه الكوثر فليصل لربه سبحانه ولينحر له))[1]

الرابع: تفسير ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

حيث قال في تفسير قوله تعالى :((﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ شكراً لله على هذه النعمة العظيمة، أن تصلي وتنحر لله، والمراد بالصلاة هنا جميع الصلوات، وأول ما يدخل فيها الصلاة المقرونة بالنحر وهي صلاة عيد الأضحى لكن الآية شاملة عامة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ الصلوات المفروضة والنوافل. صلوات العيد والجمعة

﴿وَٱنْحَرْ﴾ أي: تقرب إليه بالنحر))[2]

3ـ . صيام عاشوراء.

يوم عاشوراء يوم عظيم حصلت فيه نعمة عظيمة، وذلك حين أنجى الله موسى عليه السلام ـ وقومه، وأغرق الله فيه فرعون الطاغية وجنده، وصامه نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ شكرا لله ولما بُعِثَ النبي محمد ﷺ ـ أحيا سنة الأنبياء في أمته فصام عاشوراء شكرا وأمر بصيامه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما، يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) تتمة أضواء البيان (9/ 571).

(٢) تفسير جزء عم، لابن عثيمين (331).

«ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه»(١)

قال القاضي عياض رحمه الله ـ:((وقوله: « فصامه موسى شكرًا لله فنحن نصومه » : فيه جواز فعل العبادات للشكر على النعم ...وأن الشكر بالعمل والطاعة، وبالقول والثناء))(٢)

4ـ العقيقة عن المولود.

من النعم العظيمة نعمة الولد ذكر أم أنثى خصوصا حينما يولد سويا كامل الخلقة معافىً لا عاهة به ولا نقص وقد امتن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على العباد بهذه النعمة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ (٣) وصح عن عائشة رضي الله عنها ـ (إذا ولد فيهم مولود – يعني: في أهلها – لا تسأل: غلاما ولا جارية، تقول: خلق سويا؟ فإذا قيل: نعم، قالت: الحمد لله رب العالمين)(٤)

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب صوم عاشوراء، حديث(1130). انظر: مسلم بشرح النووي (8/ 202).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (4/ 84).

(٣) سورة النحل، آية (72).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد حديث (1256)، وقال عنه الألباني: حسن الإسناد موقوفا. انظر: صحيح الأدب المفرد (485).

فإذا تقرر هذا فإن من شكر نعمة الولد أن يُعق عنه في يوم سابعة امتثالا لأمر النبي ﷺ ـ كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها ـ «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقيقة عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة»

وقد عدَّ العلماء ذبح العقيقة عن المولود من أنواع الشكر العملي بسبب النعمة الحاصلة بولادة المولود، وقالوا: إنها سنة ونسيكة مشروعة يسن القيام بها شكرا لله ـ تعالى ـ على تجدد نعمته على الوالدين بولادة المولود حتى أنهم تحدثوا عن حكمة التفريق بين الذكر والأنثى في مقدار العقيقة وقالوا: إن النعمة على الوالد بالذكر أتم والسرور والفرحة به أكمل فكان الشكر عليه أكثر[1] والله أعلم.

5ـ إظهار أثر نعمة الله على العبد.

إذا أنعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عبده بنعمة من النعم سواء كانت من الأموال أو الأرزاق أو ملبس أو مسكن أو مركب فإنه ـ تعالى ـ يحب أن يرى أثر نعمته وكرامته على عبده، وذلك بأن يظهرها وينشرها شكرا لله تعالى على بره وفضله وإحسانه، أما إذا كتم نعمة الله عليه وأخفاها فقد كفرها وجحدها[2].

وهذا مأخوذ من قوله ﷺ ـ «إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[3] .

---

(١) انظر: المغنى مع الشرح الكبير(3/ 585)، وتحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (64)، الملخص الفقهي للفوزان (1/ 153)، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام للبسام (6/ 86).

(٢) انظر: مدارج السالكين (2/ 236)، و الفوائد (184).

(٣) الحديث عنه قال الألباني بعد تصحيحه له: (رواه ابن سعد(4/ 391، 3/ 10)، والطحاوي في المشكل (4/ 151)، والبيهقي في الشعب (2/ 321). انظر: الصحيحة(3/ 280) حديث (1290) وهو في صحيح الجامع الصغير أيضا(1/

وعلى هذا عمل الصحابة ﷺ ـ فقد جاء عند الإمام أحمد ﷺ ـ بسنده عن أبي رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مِطْرَفٌ مِنْ خَزٍّ لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنعم الله عليه نعمة، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه»[١]

كما أن إظهار نعمة الله بلبس أجمل الثياب وأغلاها ثمنا خصوصا عند الصلاة والوقوف بين يدي الله من عمل السلف الصالح ـ عليهم رحمة الله ـ قال ابن القيم ﷺ ـ:((وكان لبعض السلف حلة بمبلغ عظيم من المال. وكان يلبسها وقت الصلاة. ويقول: ربي أحق من تجملت له في صلاتي.

ومعلوم: أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. لاسيما إذا وقف بين يديه. فأحسن ما وقف بين يديه بملابسه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهرا وباطنا))[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ ـ: ((فإنه تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويحب الفرح بذلك؛ لأنه من الشكر، ومن لا يفرح بنعمة المنعم لا يعد شكورا، وهذا يوافقه في حسن الثياب ما في السنن عن ابي الأحوص الجشمي قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي أطمار فقال: « هل لك من

---

352)، حديث (1712).

(١) أخرجه الإمام أحمد (7/ 216) حديث(19954)، والبيهقي في شعب الإيمان (4251)، الحديث حسنه الألباني في مشكاة المصابيح(2/ 1246)، حديث (4350).

(٢) مدارج السالكين (2/ 363).

مال قلت نعم قال من أي المال قلت من كل ما أتى الله من الإبل والشاء قال فَلْتُرَ نعمة الله وكرامته عليك »[١]

وفي السنن أيضا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده »[٢] لكن هذا الظهور لنعمة الله وما في ذلك من شكره والله يحب أن يشكر وذلك لمحبته الجمال...))[٣]

6ـ الصدقة أو صلاة الضحى.

من نعم الله العظيمة على الإنسان العافية في البدن وسلامة الأعضاء، والله ـ سبحانه ـ قرر عباده بها في كتابه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[٤] قال مجاهد رحمه الله ـ:((هذه نعم من الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر))[٥]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (5/ 383)، حديث(15887)، والبغوي في شرح السنة(12/ 47) حديث (3118)، والبيهقي في الشعب (6/ 313)، حديث(4249)

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، (5/ 114)، حديث (2819) قال الترمذي في حكمه على الحديث:(حديث حسن صحيح)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (1/ 383)، حديث(1887).

(٣) الاستقامة 1/ 423ـ 424).

(٤) سورة الانفطار ، الآيات (6ـ 8).

(٥) جامع العلوم والحكم (487).

ومن شكر نعمة الخلق وسلامة الأعضاء ما جاء في قول ﷺ ـ:

«يصبح على كل سُلامَى[١] من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وتهليلة صدقة، وتكبيرة صدقة، وتحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ أحدكم من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى»[٢].

ومعنى هذا الحديث أن تركيب هذه العظام، وسلامتها من الآفات، وبقاءها على الهيئة التي تتم بها منافعها! من أعظم نعم الله على عبده؛ فيحتاج في كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون شكرا لهذه النعمة.

ولما كانت الصلاة مشتملة على الحمد والشكر والثناء لطف به الشارع الحكيم ودله على ما يجمع به شكر جميع عظامه ومفاصله وذلك بأن يصلي ركعتين من الضحى تجمع له شكر كل مفصل من مفاصله وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء[٣]

7ـ سجود الشكر

نعم الله على العباد كثيرة لا حصر لها لكن العلماء يقسمونها إلى قسمين:

---

(١) سلامى: بضم السين وتخفيف اللام، وأصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله، وفي الإنسان (360) مفصلا. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم(6/ 346).

(٢) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافر، باب استحباب صلاة الضحى وأقلها ركعتان، حديث رقم(84)، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (6/ 346).

(٣) انظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم (14/ 105)، وجامع العلوم والحكم (497) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (7/ 229)، الإفصاح عن معاني الصحاح (2/ 179)، و شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن (4/ 1240)، وشرح الأربعين النووية لابن عثيمين (260).

أحدهما: نعم مستمرة دائمة؛ كنعمة الإسلام، والحياة، والعافية، والغنى عن الناس، وشكر هذا النوع يكون بالطاعات والعبادات.

والثاني: نعم متجددة يمن الله ـ عز وجل ـ بها على العباد؛ كانتصار للمسلمين، واندفاع بلية عنهم كرجوع عدو أراد أن يداهم بلدهم، أو انقطاع وباء تفشى في بلاد المسلمين، ونحو ذلك؛ فهذه النعم وأمثالها شرع لها نوع خاص من الشكر وهو سجود الشكر[1].

سجود الشكر من السنن النبوية الثابتة:

قال الإمام البغوي رحمه الله ـ:((سجود الشكر سنة عند حدوث نعمة طالما كان ينتظرها، أو اندفاع بلية ينتظر انكشافها، أو رؤية مبتلى بِعِلَّةٍ أو معصية، ويخفي سجوده عن المعلول، حتى لا يحمله ذلك على الكفران، ويظهر للعاصي لعله يتوب))[2].

وقال ابن قدامة رحمه الله ـ في المغني: ((ويستحب سجود الشكر عند تجدد النعم، واندفاع النقم))[3]

وقال ابن القيم رحمه الله ـ:((وكان من هديه صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه سجود الشكر عند تجدد نعمة تسر، أو اندفاع نقمة))[4]

الأدلة على مشروعية سجدة الشكر:

---

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (2/ 410).
(٢) شرح السنة للإمام البغوي (3/ 316).
(٣) المغني مع الشرح الكبير (1/ 654).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (1/ 360).

ورد فعل سجود الشكر عن النبي ـ ﷺ ـ وعن أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وكثير من سلف الأمة فمن ذلك:

1ـ عن أبي بكرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به، خر ساجدا، شكرا لله تبارك وتعالى » (١)

2ـ عن أنس بن مالك، أن النبي ـ ﷺ ـ «بُشِّرَ بحاجة فخر ساجدا »(٢)

3ـ عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: « لما تاب الله عليه خر ساجدا »(٣)

4ـ جاء عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه سجد حين جاءه خبر فتح اليمامة، و قتل مسيلمة الكذاب (١)

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في سجود الشكر، (3/ 89)، حديث (2774)، و ابن ماجه، كتاب الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر(1/ 446)، حديث رقم(1394). والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (4701).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر(1/ 446)، حديث رقم(1392). والحديث حسنه الألباني وقال في إرواء الغليل في تخريج منار السبيل(2/ 228): (وهذا سند لا بأس به في الشواهد)وذكر شواهده بتمامها .

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر(1/ 446)، حديث رقم(1393)، وعبدالرزاق الصنعاني في مصنفه(357/3)، حديث رقم (5961) قال الألباني في الإرواء(2/ 231):(رواه ابن ماجه (1393) بإسناد صحيح على شرط الشيخين..) وقال فؤاد عبدالباقي في تعليقه على ابن ماجه:(في الزوائد: هذا الحديث موقوف ولكنه صحيح الإسناد ورجاله ثقات..) انظر: سنن ابن ماجه(1/ 446).

5ـ جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ أنه سجد حين وجد ذا الثُدَيَّة(٢) في قتلى الخوارج بعد وقعة النهروان التي وقعت بينه وبينهم(٣).

6ـ وروي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ـ أنها سجدت لما وجدت شيئا فقدته كان أعطاها إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤)

7ـ وروي أن الحسن البصري رحمه الله ـ سجد لما بشر بموت الحجاج بن يوسف وكان مختبئا خوفا منه(٥)

رد ابن القيم رحمه الله ـ على من رد السنة الثابتة الصحيحة في سجود الشكر

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى باب سجود الشكر (519/4)، رقم (3940)، وهو في مصنف عبدالرزاق(5963) ومصنف ابن أبي شيبة رقم (8413)، وفي الإبانة الكبرى لابن بطة (9/ 855)، برقم (264)، وذكره البغوي في شرح السنة (3/ 317)، وضعفه الألباني في الإرواء، وقال:(ورجاله ثقات رجال الشيخين غير الرجل الذي لم يسم). انظر: الإرواء (2/ 230).

(٢) وسبب سجود علي ـ رضي الله عنه ـ أنه عرف أنه على الحق لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم أخبر عن الخوارج أنهم شر الناس وأن سيماهم أن فيهم رجلا ليس له ذراع وعلى رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض. أخرجه الإمام مسلم برقم(1066) انظر: مسلم بشرح النووي (7/ 138ـ 141).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (848، 1254)، رواه الشافعي في الأم (1/ 134)، وعبدالرزاق (5962)، وابن أبي شيبة (2/ 483)، برقم(8416)، ومسند البزار(2/ 186)، ورقم (564)، والبغوي في شرح السنة (3/ 316)، ورقم (772) والخرائطي في فضيلة الشكر(55) ورقم(65)، وهذا الأثر حسنه الألباني في الإرواء انظر: (2/ 230).

(٤) رواه الخرائطي في كتاب فضيلة الشكر لله (55)، وبرقم (64)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (282) أما حكمه فلم أقف عليه.

(٥) الخرائطي في كتاب فضيلة الشكر(56) ورقم (66)، وأبو نعيم في الحلية (2/ 159).

فقد قال بعد ذكره لجملة من أدلة إثبات سجود الشكر: ((... ولا أعلم شيئا يدفع هذه السنن والآثار مع صحتها وكثرتها غير رأي فاسد، وهو أن نعم الله سبحانه وتعالى لا تزال واصلة إلى عبده، فلا معنى لتخصيص بعضها بالسجود.

وهذا من أفسد رأي وأبطله؛ فإن النعم نوعان: مستمرة، ومتجددة، فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات، والمتجددة شرع لها سجود الشكر؛ شكرا لله عليها، وخضوعا له وذلا، في مقابلة فرحة النعم وانبساط النفس لها، وذلك من أكبر أدوائها؛ فإن الله سبحانه لا يحب الفرحين ولا الأشرين؛ فكان دواء هذا الداء الخضوع والذل والانكسار لرب العالمين، وكان في سجود الشكر من تحصيل هذا المقصود ما ليس في غيره...))[1].

من أحكام سجود الشكر[2]:

أولا: أن سجود الشكر من السنن النبوية الثابتة التي هجرها كثير من الناس.

ثانيا: أن سجود الشكر من أعظم ما يشكر به العبد ربه ـ جل وعلا ـ لما فيه من الذل والخضوع ـ لله تعالى ـ والشكر له بالقلب واللسان والجوارح.

ثالثا: أن سجود الشكر يشرع كلما حصلت للمسلمين نعمة عامة أو اندفعت عنهم نقمة، أو حصلت للمسلم نعمة خاصة، أو اندفعت عنه نقمة، كما يشرع عند رؤية مبتلى في دينه أو ماله أو بدنه.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (2/ 409ـ 410).

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية (عدد 308/36) بحث منشور بعنوان(سجود الشكر وأحكامه في الفقه الإسلامي لعبدالله بن عبدالعزيز الجبرين.

رابعا: أن كثيرا من السلف على أنه لا يشترط لسجود الشكر ما يشترط لصلاة النافلة من الطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، وغيرها.

قال ابن القيم رحمه الله -:((وكذلك سجود الشكر مستحب عند تجدد النعم المنتظرة، وقد تظاهرت السنة عن النبي بفعله في مواضع متعددة وكذلك أصحابه مع ورود الخبر السار عليهم بغتة وكانوا يسجدون عقبه ولم يؤمروا بوضوء ولم يخبروا أنه لا يفعل إلا بوضوء، ومعلوم أن هذه الأمور تدهم العبد وهو على غير طهارة فلو تركها لفاتت مصلحتها))[١].

خامسا: أن الصحيح في صفة سجود الشكر، أنه لا يجب فيه تكبير في أوله أو في آخره، أو تشهد أو سلام، وأنه لا يجب فيه ذكر معين، وإنما يقول في سجوده ما يناسب المقام من حمد الله وشكر ودعائه واستغفاره.

سادسا: قال في المغني:((ولا يسجد للشكر وهو في الصلاة؛ فإن فعل بطلت صلاته إلا أن يكون ناسيا أو جاهلا بتحريم سجود الشكر في الصلاة))[٢].

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم تهذيب السنن (1/ 69)

(٢) المغني مع الشرح الكبير (1/ 655).

المطلب الثاني: بيان أقسام أهل الشكر

أهل الشكر قلة في العباد ـ جعلنا الله منهم ـ وقلتهم تدل أنهم من خواص خلق الله؛ لذا أخبر الله أنهم هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده [1]، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2]

وقد دلت النصوص أن أهل الشكر نوعان:

الأول: مقربون سابقون: وهم الذي قاموا بالشكر الواجب والمستحب؛ كما سبق بيانه في حكم عبادة الشكر

والثاني: أبرار أهل يمين: وهم الذين قاموا بالشكر الواجب.

وكل من المقربين والأبرار سعيهم مشكور عند الله سبحانه وتعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ ((...وأهل الشكر نوعان أبرار أهل يمين ومقربون سابقون، وكل مقرب سابق فهو من الأبرار ولا ينعكس؛ فاسم الأبرار والمقربين كاسم الإسلام والإيمان أحدهما أعم من الآخر.

وأيضا فأنه سبحانه أخبر أن هذا جزاء سعيهم المشكور وكل من الابرار والمقربين سعيهم مشكور))[3]

---

(١) انظر: عدة الصابرين (382).

(٢) سورة الأنعام، آية (53).

(٣) جامع الرسائل (2/ 234).

المبحث الخامس: نماذج من شكر الأنبياء والرسل عليهم السلام.

الأنبياء والمرسلون هم أعظم من حقق مراتب الدين والإيمان، وهم أهل الشكر على الحقيقة، وأكمل الخلق شكراً لله ـ تعالى ـ؛ فاستحقوا أن يكونوا قدوة الناس أجمعين في إيمانهم وشكرهم وعبادتهم.

قال ابن القيم رحمه الله ـ: ((بل الشكر سبيل رسل الله وأنبيائه ـ صلى الله عليهم وسلم أجمعين ـ أَخَصِّ خلقه، وأقربهم إليه))[١].

ولذلك ذكر الله لنا في كتابة نماذج من شكرهم ليكونوا لنا أسوة في هذه العبادة الجليلة فمن ذلك:

ما جاء في شأن نوح عليه السلام ـ أول رسول أرسله الله عز وجل ـ أنه قام بالشكر واتصف به يقول الله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[٢] وقد جاء أيضا نوح عليه السلام ـ بهذا الوصف في الحديث الصحيح كما عند البخاري من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ـ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أنا سيد الناس يوم القيامة – بطوله، وفيه –: فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك » وذكر الحديث بكماله[٣].

بيان سبب تسمية نوح عليه السلام ـ بهذا الاسم:

---

(١) مدارج السالكين (2/ 259).

(٢) سورة الإسراء، آية (3).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾، (815 ـ 816)، حديث (4712).

ذكر أهل العلم في ذلك أسبابا منها :1ـ روى الطبري ـ رحمه الله ـ بسنده ...:((إنما سمي نوح عبدا شكورا أنه كان إذا أكل الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أظمأني، وإذا لبس ثوبا قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني، وإذا لبس نعلا قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجة قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه، ولو شاء حبسه))[1].

2ـ ما قاله ابن كثير ـ رحمه الله ـ في سبب التسمية حيث قال:((وقد ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف: أن نوحا، عليه السلام، كان يحمد الله ـ تعالى ـ على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله؛ فلهذا سمي عبدا شكورا.))[2]

3ـ ما قاله ابن حجر في الفتح أيضا فقد قال:((وقد صحح ابن حبان من حديث سلمان الفارسي ((كان نوح إذا طعم، أو لبس حمد الله؛ فسمي عبدا شكورا))[3]

ومما وصف بالشكر وقام به إبراهيم الخليل عليه السلام ـ قال الله تعالى في وصفه:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

---

(١) تفسير الطبري (8/ 19).

(٢) تفسير ابن كثير (3/ 1695ـ 1696).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (8/ 396)، وقال ابن حجر بعده:(وله شاهد عند ابن مردوية من حديث معاذ بن أنس، وآخر من حديث أبي فاطمة.

(٤) سورة النحل، الآيتان (120 ـ 121).

يقول ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في بيان شكر إبراهيم عليه السلام ـ لنعم ربه: ((كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش))[1].

ويقول ابن القيم في بيان شكر النعم:((﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾، والشكر للنعم مبني على ثلاثة أركان: الإقرار بالنعمة وإضافتها إلى المنعم بها، وصرفها في مرضاته، والعمل فيها بما يجب؛ فلا يكون العبد شاكراً إلا بهذه الأشياء الثلاثة))[2].

وممن ذكر الله عز وجل ـ أنه قام بشكره، وأن شكره لربه وموالاه كان سببا في نجاته لو عليه السلام ـ حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ [3]

فهذه الآية تحمل وعدا من الله ـ عز وجل ـ لكل من يشكر نعم الله عليه من هذه الأمة فيؤمن ويطيع الله ـ عز وجل ـ بأن يثيبه الله ويكرمه كما أثاب وأكرم ا عليه السلام ـ وآله بالنجاة والحفظ والحماية[4]

وممن شكر نعمة الله عليه، وكان مقدرا لها نبي الله سلي عليه السلام ـ إذ يقول الله في ذكر شكره لله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن

---

(١) تفسير الطبري (7/ 659).

(٢) مفتاح دار السعادة (1/ 524).

(٣) سورة القمر، الآيتان(34 ـ 35).

(٤) انظر: تفسير الطبري (11/ 563)، واللباب في علوم القرآن(18/ 271).

فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ (١)

الشكر وصف لسيد الأنبياء والمرسلين:

وأما إذا جئنا لحال نبينا محمد ـ ﷺ ـ وكيف هو مع شكر ربه ـ جل وعلا ـ فنجد أن له من هذه العبادة الْقدح الْمُعَلَّى، والنصيب الأوفر، فهو سيد الشاكرين وإمام الخلق أجمعين؛ إذ أقواله وأفعاله ووصاياه تدل على أنه أكمل الخلق شكرا، وأعظمهم اتصافا بشكر الباري ـ جل وعلا ـ

أما أقواله ـ ﷺ ـ فهي كثيرة جدا فمن ذلك دعاؤه الذي يرويه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال:كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «رب أعني، ولا تُعِنْ علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني شَكَّاراً لك، ذكارا لك، رهابا لك، مطواعا لك، مخبتا إليك، أواها منيبا، تقبل توبتي، وأجب دعوتي، واهد قلبي، وثبت حجتي، وَسَدِّدْ لساني، واسْلُلْ سَخِيَمَة قلبي»(٢)

---

(١) سورة النمل، آية (40).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم، (2/ 82ـ 84) حديث 1510، 1511)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ـ ﷺ ـ، (5/ 517) حديث (3551)، والإمام أحمد في المسند (1/ 488)، حديث (1997)، والنسائي في السنن الكبرى(10368)، وابن حبان في صحيحه (948)، والحديث قال عنه الحاكم في المستدرك : هذا حديث صحيح الإسناد. انظر:(1/ 701)، حديث(1910) ، ولم يخرجاه، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (2/ 282)، حديث (944).

وأما أفعاله فقد سبق في حديث عائشة رضي الله عنها ـ لما قام حتى تورمت قدماه فلما قيل له في ذلك قال:« أفلا أكون عبدا شكورا » [1]

وأما وصاياه فكما جاء في وصيته لمعاذ بن جبل حيث قال معاذ رضي الله عنه ـ : أخذ بيدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معاذ» ، قلت: لبيك، قال: «إني أحبك» ، قلت: وأنا والله أحبك، قال: «ألا أعلمك كلمات تقولها في دبر كل صلاتك؟» قلت: نعم، قال: « قل: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك »[2]

الحكمة من ذكر شكر الأنبياء:

الله سبحانه وتعالى حين ذكر في كتابه أن الشكر من صفات أنبيائه ، وأثنى عليهم بها، ففي ذلك حث وترغيب لجميع العباد أن يقتفوا آثارهم، ويتشبهوا بهم في شكرهم لخالقهم، وأن يتذكر العباد آلاء الله عليهم؛ فيقوم بما تستوجبه من الطاعة والإيمان والعمل الصالح[3] .

---

(١) سبق تخريجه ص(371).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (8/ 265)، حديث (22187)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار(2/ 86)، حديث (1522)،وغيرهما، والحديث صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (256) حديث (534)، وفي صحيح الجامع الصغير (2/ 1320) حديث (3063).

(٣) انظر: عدة الصابرين (384)، وتفسير ابن كثير (3/ 1695)، وتفسير السعدي (4/ 260)

المبحث السادس: الشكر والابتلاء بالخيرات.

الابتلاء سنة جارية من سنن الله في خلقة، وما من عبد في هذه الحياة إلا وهو مبتلى بنوع من أنواع الابتلاءات ليظهر الله الصادق من غيره قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[1].

ومن عظيم قدرة الله ـ عز وجل ـ أنه يبتلي عباده بالمصائب والنعم، والشر والخير، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، لتستبين سبيل الشاكرين الصابرين من سبيل الجاحدين القانطين قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[2]

قال ابن كثير رحمه الله ـ في تفسير الآية:((أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:﴿ وَنَبۡلُوكُم ﴾، يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال))[3]

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات (1ـ 3).

(٢) سورة الأنبياء، آية (35).

(٣) تفسير القرآن العظيم (3/ 1899).

وهذا المعنى الذي دلت عليه الآية السابقة دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[3] وإلى غير ذلك من الآيات.

شدة الابتلاء بالخيرات:

يظن كثير من الناس أن الابتلاء لا يكون إلا بالشرور، وأن البلاء بها هو أعظم البلاء وأشده، ولكن الحقيقة على خلاف ذلك؛ فإن الابتلاء بالخيرات أشد وأثقل ولا ينجو منه إلا من وفقه الله وهداه وبيان ذلك من عدة وجوه:

الأول:أن الله حذرنا من الاغترار بزهرة الحياة الدنيا.

وما ذاك إلا أنها محببة للناس، والنفوس تتطلع إليها، وتهواها، يقول الله تعالى:

---

(١) سورة الكهف، آية (7).

(٢) سورة هود، آية (7).

(٣) سورة الفجر، الآيتان (15ـ16).

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[١] .

وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٢].

ويقول النبي ﷺ ـ في حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ:«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[٣]

ثانيا: قلة الناجين من الابتلاء بها.

مما يدل على شدة البلاء بالخيرات كثرة الجاحدين لنعم الله، وقلة الشاكرين الذين سلموا من بلائها قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ

(١) سورة آل عمران، آية (14).
(٢) سورة التغابن، الآيتان (14 ـ 15).
(٣) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (17/ 214)، حديث (2742).

أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾[1] فإذاً بسبب إغواء الشيطان وتزيينه لا يتنبه كثير من الناس إلى الابتلاء بالخيرات، ولا يتنبه إلا من عصمه الله ووفقه كما حصل من نبي الله سليمان عليه السلام ـ حين سمع النملة وهي تحذر قومها منه ومن جنده إذ لم يدخلوا مساكنهم فقال طالبا التوفيق لشكر النعمة والنجاة من الخذلان عند الابتلاء بها : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [2]

ثالثا: أنه لا يصبر على السراء إلا أهل الإيمان والصدق.

ولهذا تعجب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المؤمن وصبره عند الابتلاء بالخيرات وبالشدائد؛ فعن صهيب رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»[3]

وقال ابن القيم رحمه الله ـ : ((ولا يصبر على السراء الا الصديقون، قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان (16ـ 17).

(٢) سورة النمل، آية (19).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب أحاديث متفرقة، حديث (2999)، انظر: مسلم بشرح النووي(18/ 417).

وقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : "ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر"))[١]

رابعا: أن الصبر على السراء مقرون بالقدرة.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((وإنما كان الصبر على السراء شديدا لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره...))[٢]

الحكمة من الابتلاء بالخيرات:

الحكمة من الابتلاء بالنعم من أهم القضايا التي بينها الله ـ سبحانه ـ في كتابه وعلى ألسنة رسله ـ عليهم السلام ـ فإن الله ما أنعم على عباده بنعمة من النعم إلا ابتلاء لهم أيشكرون المنعم بالطاعة والعبادة؟ أم يجحدون ويكفرون؟

وآيات النعم كلها تقريبا نجد أن الله ما ساقها وذكرها في كتابه إلا لكي يُشكر ولا يكفر؛ فهو ـ سبحانه ـ شكور يحب الشاكرين، ومن أسمائه الشكور والشاكر وهو ـ جل وعلا ـ يحب موجب أسمائه وصفاته.

ومن الآيات التي تبين ذلك:

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلاً طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٣]

(١) عدة الصابرين (215ـ 216).

(٢) المصدر نفسه (221).

(٣) سورة النحل، آية (114).

وقوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)

---

(١) سورة النحل، الآيات (3 ـ 14)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - متحدثا عن آية من آيات النعم ويبن الحكمة من إنعام الله بها:((وأما قوله:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾[١] فقد دخل في ذلك نعم الدنيا كلها كالعافية والرزق والنصر وتلك حسنات يبتلي الله العبد بها. كما يبتليه بالمصائب هل شكر أم لا؟ وهل يصبر أم لا؟...))[٢] .

ويقول ابن القيم - رحمه الله -:((إنه سبحانه وتعالى إنما خلق السماوات والأرض وخلق الموت والحياة وزين الأرض بما عليها لابتلاء عباده، وامتحانهم، ليعلم من يريده ويريد ما عنده ممن يريد الدنيا وزينتها))[٣].

ومن ناحية أخرى ففي الابتلاء تمحيص لأهل الإيمان ليظهر فضلهم، وتكمل عبوديتهم لله - سبحانه - يقول ابن القيم - رحمه الله -:((إنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، ... فلله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش والنصب، وأضدادها. فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمة ممتنع))[٤]

أسباب النجاة عند الابتلاء بالخيرات:

أسباب النجاة من البلاء كثيرة، يستطيع المؤمن - ولله الحمد - أن يستنبطها من كتاب ربنا وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - منها أسباب عامة كالشكر، والدعاء،

---

(١) سورة النساء، آية (79).

(٢) مجموع الفتاوى (15/ 62).

(٣) إغاثة اللهفان (2/ 191ـ 192).

(٤) المصدر نفسه (2/ 190).

والمجاهدة، والمراقبة، والمحاسبة، والعلم بحقيقة الدنيا والآخرة، وتفصيل هذه الأمور يطول ولكن أريد أن أذكر الأسباب العملية التي تكون سببا للنجاة عند الابتلاء بالنعمة وهي كالتالي:

أولا: أن لا يركن إليها، ولا يغتر بها، ولا تحمله على البَطَرِ والأَشَرِ والفرح المذموم، الذي لا يحب الله أهله.

ثانيا: أن لا ينهمك في نيالها، ويبالغ في استقصائها؛ فإنها تنقلب إلى أضدادها، فمن بالغ في الأكل والشرب انقلب ذلك ضده وحرم الأكل والشرب.

ثالثا: أن يصبر على أداء حق الله فيها، ولا يُضَيِّعُه فيُسلبها.

رابعا: أن يصبر عن صرفها في الحرام، فلا يُمَكِّن نفسه من كل ما تريده منها؛ فإنها توقعه في الحرام؛ فإن احترز كل الاحتراز أوقعته في المكروه، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون(١).

(١)انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (215).

المبحث السابع: العلاقة بين الشكر والصبر وأيهما أفضل.

يندرج تحت هذا المبحث مسألتان:

الأولى: بيان العلاقة التي بين الشكر والصبر.

والثانية: أيهما أفضل الشكر أم الصبر.

أما الأولى: وهي بيان العلاقة التي بين الشكر والصبر

العلاقة بين الشكر والصبر كبيرة جدا وتظهر من خلال أوجه متعددة وهي كما يلي:

الأول: أن الشكر جزء مسمى الصبر، والصبر جزء مسمى الشكر، وكل منهما حقيقة مركبة من الأمرين معا [١].

يقول ابن القيم رحمه الله :((... فكل من الصبر والشكر داخل فى حقيقة الآخر لا يمكن وجوده إلا به وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه! وإلا فحقيقة الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة والفعل؛ فإن الشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته، والصبر أصل ذلك فالصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر، وإذا كان الصبر مأمورا به فأداؤه هو الشكر))[٢].

(١) انظر: عدة الصابرين (549)، والتنوير شرح الجامع الصغير (3/ 114)

(٢) عدة الصابرين (484).

الثاني: أن الشكر مستلزم للصبر، والصبر مستلزم للشكر لا يتم الواحد منهما إلا بالآخر(١).

قال ابن القيم رحمه الله -:((فالشكر مستلزم للصبر لا يتم إلا به، والصبر مستلزم للشكر لا يتم إلا به؛ فمتى ذهب الشكر ذهب الصبر، ومتى ذهب الصبر ذهب الشكر، وإن كان في بلية ففرضها الصبر والشكر أيضا: أما الصبر فظاهر، وأما الشكر فللقيام بحق الله عليه فى تلك البلية، فإن لله على العبد عبودية في البلاء كما له عليه عبودية في النعماء وعليه أن يقوم بعبوديته فى هذا وهذا؛ فعلم أنه لا انفكاك له عن الصبر، ما دام سائرا إلى الله))(٢).

الثالث: أن كلا منهما مما أوجبه الله وأحبه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -: ((وإذا كان الصبر على الضراء ونحو ذلك مما أوجبه الله وأحبه كما أوجب الشكر على النعماء وأحبه؛ كان كل من الصبر والشكر مما يجب محبته وعمله))(٣).

ويقول ابن القيم رحمه الله -:((وهو أن العبد لا يخلو قط من أن يكون في نعمة أو بلية؛ فإن كان في نعمة ففرضها الشكر والصبر، أما الشكر فهو قيدها وثباتها والكفيل بمزيدها، وأما الصبر فعن مباشرة الأسباب التي تسلبها، وعلى القيام بالأسباب التي تحفظها فهو أحوج إلى الصبر فيها من حاجة المبتلى))(٤)

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (265)، وفتح الباري لابن حجر(11/ 305).
(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (265).
(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (2/ 380).
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (265).

(ومما يوضح هذا أن الله سبحانه امتحن العبد بنفسه وهواه، وأوجب عليه جهادهما في الله؛ فهو في كل وقت في مجاهدة نفسه حتى تأتي بالشكر المأمور به، ويصبر عن الهوى المنهي عن طاعته؛ فلا ينفك العبد عنهما غنيا كان أو فقيرا معافى أو مبتلى)[١]

الرابع: أن الشكر والصبر صفتان للمؤمن الكامل.

فمن رزق الشكر والصبر فقد رزق الخير كله، ويشير إلى هذا ما جاء من الجمع بينهما في نصوص الكتاب والسنة الدالة على كمال إيمان من اتصف بهما.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [٢]

قال البغوي:((الصبار: الكثير الصبر، والشكور: الكثير الشكر، وأراد لكل مؤمن لأن الصبر والشكر من خصال المؤمنين))[٣].

ويقول النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»[٤].

وما سبق ذكره لا يفهم منه أن الشكر والصبر اسمان لمسمى واحد، وأن معناهما متحد؛ فهذا محال!!؛ فإن للشكر معنا مغايرا لمعنى الصبر وهذا بين غاية البيان فلا يمكن إنكاره أو زعم خلافه!!

---

(١) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (484).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (5).

(٣) تفسير البغوي (4/ 336).

(٤) سبق تخريجه ص (389).

وغاية ما في الأوجه السابقة من دلالة: أنها تدل على شدة ما بين الشكر والصبر من تلازم، وأن كل وأحد مهما مفتقر في وجود ماهيته إلى الآخر افتقاراً شديداً؛ فمتى تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه شكرا، وإذا تجرد الصبر عن الشكر بطل كونه صبرا.

ومهما يكن من أمر فإن من المؤكد أن الشكر والصبر حالتان لازمتان للعبد في أمر ربه ونهيه وقضائه وقدره لا يستغني عنهما طرفة عين والله أعلم [١]

والمسألة الثانية: أيهما أفضل الشكر أم الصبر؟.

هذه المسألة هي بعينها مسألة الغني الشاكر، والفقير الصابر أيهما أفضل؟

وهي من المسائل التي طال الحديث عنها في كتب أهل العلم، وتحدث عنها المحققون على اختلاف فنونهم؛ فقد تطرق إليها علماء العقيدة، وعلماء التفسير، وعلماء الحديث [٢]، وغيرهم، وذكروا تنازع الناس فيها، وأقوالهم، وأدلتهم التي استدلوا بها [٣] والصواب ـ والعلم عند الله ـ الذي يتوافق مع نصوص الكتاب والسنة وعليه المحقوقون من أهل العلم أن أفضلهما أتقاهما لله ـ تعالى ـ؛ فإن فُرِضَ استواؤهما في التقوى استويا في الفضل؛ فإن الله ـ سبحانه ـ لم يفضل بالفقر والغنى

---

(١) انظر: عدة الصابرين (484ـ 486).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(11/ 15، 71، 110)، وعدة الصابرين لابن القيم (486)، بدائع الفوائد (2/ 172) وطريق الهجرتين(265)، وشرح الطحاوية(2/ 549)، وفتح الباري لابن حجر (2/ 331)، وشرح صحيح الإمام مسلم للنووي (5/ 243)، وعون المعبود (4/ 260)، وتفسير القاسمي(6/ 43)، أضواء البيان (8/ 563)، والتفسير المنير للزحيلي(5/ 224).

(٣) انظر: شعب الإيمان (6/ 252)، شرح الطحاوية (2/ 549)، تفسير القرطبي (15/ 216)، شرح مسلم للنووي(5/ 92)، وفتح الباري لابن حجر(9/ 589).

كما لم يفضل بالعافية والبلاء وإنما فضل بالتقوى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] وقد قال ﷺ -: « لا فضل لعربي على عجمي ولا فضل لعجمي على عربي إلا بالتقوى ...»[2] والتقوى مبنية على أصلين: الصبر والشكر وكل من الغني والفقير لا بد له منهما فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل[3].

---

(١) سورة الحجرات، آية (13).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (23489)، وأبو نعيم في الحلية (3/ 100)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 132)، رقم (4774). والحديث صححه الألباني وهو في الصحيحة برقم (2700).

(٣) انظر: عدة الصابرين لابن القيم (487ـ 488)، وشرح الطحاوية (2/ 549ـ 550).

المبحث الثامن: قلة الشكر في العباد وأسبابه.

الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذو فضل عظيم على الناس، ونعمه عليهم تترا، وفضائله عليهم متوالية ظاهرة وباطنة ومع كل ذلك الشاكر منهم قليل، وكثير منهم جاحدون لنعمه عليهم؛ فلا يقرون له بالتوحيد، ولا يطيعونه في أمره ونهيه، وهذا مما دلت عليه الآيات، وشهد به الواقع من حال الناس.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾[2] ويقول جل جلاله: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[3] والآيات في هذا المعنى كثيرة كلها تؤكد أن كثيرا من الناس لا يشكرون ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم؛ فإما أنهم لا يقومون بشكرها، أو يستعينون بها على معاصيه،والقليل منهم الشكور الذي يعترف بالنعمة،ويثني بها على المنعم، ويستعين بها على طاعته [4] حتى تحقق فيهم وهم إبليس، وصدق فيهم ظنه حين قال ما ذكره الله عنه: ﴿ ثُمَّ

---

(١) سورة البقرة، آية (243).

(٢) سورة الأعراف، آية (10).

(٣) سورة سبأ، آية (13).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير(1/ 476)، (3/ 2155)، وتفسير السعدي (107، 366).

﴿لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾(١).

المراد بالقليل الشكور:

أخبر المولى ـ جل وعلا ـ أن الشكور في العباد قليل كما في آية سبأ السابقة فيجوز أن يراد به أمران:

الأول: يجوز أن يراد بالشكور القليل هم المؤمنون الموحدون فهم قلة في الناس، وأما أهل الباطل والكفر فهم أكثر بكثير من أهل الإيمان والحق وهذا معلوم أيضا بالشرع والواقع.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٣) وقوله تعالى:﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾(٤)

وفي الحديث الصحيح الذي يرويه عمران بن حصين رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ـ وفيه:« ...ذلك يوم ينادي الله فيه آدم فيناديه ربه فيقول: يا آدم ابعث بعث

---

(١) سورة الأعراف، آية (17).

(٢) سورة يوسف، آية (106).

(٣) سورة الأنعام، آية (116).

(٤) سورة يوسف، آية(103).

النار، فيقول: أي رب، وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد في الجنة »[١].

فعلى هذا يكون الشكور المؤمنين كلهم والموحدين بأجمعهم.

الثاني: ويجوز أن يكون المعنى أن الشكور من المؤمنين قليل.

ووجه هذا: أن الشكور هو المبالغة في صفة الشكر؛ فيكون شاكر وشكّار وشكور؛ فالشكور الذي يشكر في كل حال، ولا يكاد يكفر نعمة ما، ومثل هذا في المؤمنين قليل، وكلهم شاكرون، ولأن الله في الآية قال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[٢] فقال: من عبادي بياء الإضافة، وهذا تخصيص من الله - تعالى - كأنه خصَّ من العباد من أضافه إلى نفسه، وكلهم عباده في حقيقة الأمر[٣].

ومما يستفاد مما سبق: أنه ينبغي للمؤمن أن لا يغتر بما يفعله كثير من الناس؛ فإن الحق لا يعرف بكثرة ولا قلة، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية؛ فما وافق الكتاب والسنة فهو الحق بلا شك، وما خالفهما فهو الباطل.

أسباب قلة الشكر في العباد

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج(5/ 303)، وقال حديث حسن صحيح، حديث رقم (3169)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند(7/ 205)، حديث(19905)، والحاكم في المستدرك، حديث رقم(78) وقال:0 وهو صحيح على شرطهما جميعا ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (1/ 81)

(٢) سورة سبأ، آية (13).

(٣) انظر: بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي (324).

أسباب صرف العباد عن شكر نعم الله عليهم كثيرة ومتعددة والتي من أهمها:

1ـ الشيطان وجنده.

عداوة الشيطان للإنسان، وحرصه على إغواء البشرية، وصرفهم عما خلقوا له أمر لا يخفى، ولما كان الشكر أعلى مقامات الدين، وهو نصف الإيمان أقسم العدو اللدود لربه حين أعطاه المهلة إلى يوم الدين أن يقعد لذرية آدم عليه السلام ـ على طريق الحق وسبيل النجاة، حتى يصرفهم عن شكر ربهم وخالقهم، ولئلا يكونوا من الشاكرين الموحدين قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[1] فوجب على العباد أن يحذروا عدوهم، وأتباعه من شياطين الإنس والجن، الذين يزينون لهم الكفر والجحود والعصيان، وأن يكونوا من حزب الله الشاكرين استجابة لنداءات ربهم المتتالية في القرآن وهو يحذرهم من كيد الشيطان ومكره كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآيات (14ـ 17).

(٢) سورة البقرة، الآيتان (168ـ 169).

2ـ الظلم والجحود.

الشكر من فرائض الإيمان، ومن موانعه الظلم وأعظمه الشرك، والجحود وأكبره الكفر وقد بين الله في كتابه أنه مع كثرة إنعامه وفضائله التي لا تعد ولا تحصى على بني الإنسان إلا أن كثيرا منهم بسبب ظلمهم وجحودهم لم يقوموا بواجب شكر هذه النعم! فهو ينعم عليهم ويغدق عليهم بالنعم ومن البشرية من يشكر غيره بعبادته من دون الله ـ عز وجل ـ وهذا من أعظم الظلم والجحود ونكران الجميل قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[١] (ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره، وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات)[٢] ثم ختمهما ببيان حقيقة هذا الإنسان وطبعه بقوله:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(١) سورة إبراهيم، الآيات (32ـ 34).
(٢) انظر: تفسير السعدي (4/ 144).

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية:((يقول تعالى ذكره: وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها، والقيام بشكرها، إلا بعون الله لكم عليها ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ يقول: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفرا لظلوم: يقول: لشاكر غير من أنعم عليه، فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه، وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم، واستحق عليه إخلاص العبادة له، فعبد غيره، وجعل له أندادا ليضل عن سبيله، وذلك هو ظلمه وقوله: ﴿ كَفَّارٌ﴾ يقول: هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه))[١]

3ـ الجهل بالمنعم ونعمه

الجهل شر الأدواء، وأعظم البلاء، لا سيما الجهل بالله وبما يجب لله ـ عز وجل ـ لأجل ذلك نجد أن الله ـ جل جلاله ـ في القرآن عَرَّفَ عباده بنعمه عليهم ـ الظاهرة والباطنة ـ ليقوموا بحق المنعم، وليعرفوا قدر النعم، ويقروا بها ويصرفوها في مرضاته؛ إذ معرفة ذلك والإقرار به أصل الشكر وأساسه.

يقول الباري ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((... أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلا بها لم

---

(١) تفسير الطبري(7/ 459).

(٢) سورة النحل، آية (53).

يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقرَّ بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه لم يشكرها أيضا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقرَّ بها، وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها.

فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم- وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له- كما في صحيح البخاري عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة»[١] ، فقوله: "أبوء لك بنعمتك علي" يتضمن الإقرار والإنابة إلى الله بعبوديته))[٢]

ولكي يسلم العبد المؤمن من آفة الجهل بنعم الله ـ ﷻ ـ لا بد له من العلم والإقرار بها واستعمالها في طاعة المنعم ـ جل وعلا ـ ومما يعينه على ذلك العلم بأمرين مهمين في هذا الباب وهما :

الأول: علمه بأنواع النعم

وأنواع النعم إجمالا ثلاثة:

1ـ نعمة حاصلة يعلم بها العبد.

(١) سبق تخريجه في (373).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (117ـ 118).

2ـ نعمة منتظرة يرجوها العبد.

3ـ نعمة هو فيها لا يشعر بها.

قال ابن القيم رحمه الله ـ:((...فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرَّفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيداً يقيِّدُها به حتى لا تشرد؛ فإنها تشرد بالمعصية وتقيَّدُ بالشكر، ووفقه لعمل يَستجلب به النعمة المنتظرة، وبَصَّرَهُ بالطرق التي تَسُدُّها وتقطعُ طريقَها ووفقه لاجتنابها وإذا بها قد وافت إليه على أتمِّ الوجوه، وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها.

ويُحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد[1] فقال: أميرَ المؤمنين، ثَبَّتَ اللهُ عليك النعمَ التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وَعَرَّفَكَ النعم التي أنت فيها ولا تَعْرِفُها لتشكرَها. فأعجبه ذلك منه وقال : ما أحسنَ تقسيمَه))[2]

الثاني:علمه برؤوس النعم

رؤوس النعم هي أصولها؛ بل هي النعم الحقيقة التي تدوم إذا زال غيرها[3]:

---

(١) هو أبو جعفر هارون ابن المهدي محمد ابن المنصور أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي العباسي، وكان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذي حج وعبادة وغزو وشجاعة ورأي، وكان محبا للعلماء مقربا لهم، معظما لحرمات الدين، ولد سنة (148هـ)، وتوفي سنة(193هـ)، وعمره(45) سنة، ومدة خلافته 23عاما و شهران وستة عشر يوما. انظر: سير أعلام النبلاء (9/ 286)، وتاريخ بغداد (14/ 6).

(٢) الفوائد لابن القيم (165).

(٣) انظر: كتاب الشكر لابن أبي الدنيا (153)، تفسير السعدي (74)، وتتمة أضواء البيان (9/ 83).

أولها: الإسلام التي لا تتم نعمة إلا به.

فهو أكبر نعمة أنعم الله بها على عباده، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (١).

ويدخل فيها نعمة بعثة النبي ـ ﷺ ـ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٢)؛ فالحمد لله الذي هدانا لدينه، وإتباع رسوا ﷺ ـ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثانيا: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها.

وفي الحديث أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قام على المنبر ثم بكى فقال:

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: «اسألوا الله العفو والعافية، فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية»(٣).وفي رواية: « لم تُؤْتَوْا شيئاً بعد كلمة الإخلاص مثل العافية، فاسألوا الله العافية »(١)

(١) سورة المائدة، آية (3).

(٢) سورة آل عمران، آية (164).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (1/ 18ـ 34) الأحاديث (5، 6، 17، 34، 44، 46، 49،66)، والترمذي في كتاب الدعوات،(5/ 521)، حديث(3558)، والحاكم في المستدرك، حديث (1938)، وقال هذا حديث صحيح

ومثله قو ﷺ :« من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا »[٢] .

ثالثا: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.

وهذه النعمة قد امتن الله بها على نبيه ـ ﷺ ـ في سورة الضحى عند قوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾[٣] قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الآية:((أي: كنت فقيرا ذا عيال، فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي، الفقير الصابر والغني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه))[٤].

4ـ الغفلة.

مما أكد عليه أهل العلم أن من أسباب تقصير الخلق في شكر نعم الله: غفلتهم وجهلهم؛ فإنهم مُنِعُوا بالجهل والغفلة معرفة النعم، ومن غفلتهم أنهم ظنوا

الإسناد ولم يخرجاه انظر: (1/ 711)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(1/ 679)، حديث رقم (3632).

(١) أخرجها الإمام أحمد في المسند (1/ 19) حديث (10) وقال عنه الألباني:صحيح لغيره. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان(2/ 283)، ورقم (946).

(٢) أخرجه ابن ماجه، في كتاب الزهد، باب القناعة(2/ 1387)، حديث(4141)، والترمذي، كتاب الزهد أيضا، (4/ 496)، وحديث(2346)، وهو مصحح في الصحيحة عند الألباني حديث(2318)، وصححه أيضا في صحيح الجامع الصغير (2/ 1044)، حديث(6042).

(٣) سورة الضحى، آية (8).

(٤) تفسير ابن كثير(4/ 3112).

أن شكر النعم إنما يكون باللسان كقول: الحمد لله والشكر لله فقط دون إقرار القلب والعمل[1].

ومن الغفلة عن شكر المنعم أن لا يشكر العباد ربهم ومولاهم على نعمه العامة التي تفضل بها على جميع خلقه، وهي نعم عظيمة قد ملئ بها هذا الكون العظيم كالشمس والقمر والليل والنهار والحرارة والبرودة واستساغة الطعام؛ لكونهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة.

ومن الغفلة أن يكون العبد في نعم الله سنين متتالية وهو ينعم بها ثم لا يعرفها ويشكر الله عليها حتى يُبْتَلى وتسلب منه ثم إذا عادت إليه عَدَّها عند ذلك نعمة وشكر الله عليها. وهذا غاية الجهل إذ صار شكره عليها موقوفا على عودها إليه بعد سلبها.

ومن الغفلة أن يشكر العبد ربه على نعمة خاصة دون غيرها كمن يشكر الله ـ عز وجل ـ على نعمة المال فقط وينسى جميع نعم الله ـ تعالى ـ عليه.

ولو أمعن النظر في أحواله لرأى نعما كثيرة ظاهرة وباطنة، خاصة وعامة ما منعه من شكرها إلا غفلته عنها لحصوله عليها بلا أدنى سبب منه.

فالواجب على العباد أن يشكروا الله تعالى على كل نعمة أنعم بها عليهم عامة أو خاصة، ظاهرة أو باطنة، في قديم أو حديث، وكما يلزمهم أن يسألوا الله أن يعينهم على شكر نعمه، وأن يوزعهم شكرها لينجوا من الغفلة ومن كل آفة تحرمهم شكر نعم الله عليهم[2]

---

(١) انظر: نضرة النعيم(9/ 4327).

(٢) انظر: نضرة النعيم (9/ 4327).

5ـ ملل نعم الله تعالى.

ومن أسباب قلة الشكر في العباد، وهي من الآفات الخفية العامة: ملل نعم الله ـ تعالى ـ وذلك أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه، واختارها له؛ فيملها العبد ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهله أنه خير له منها.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((...وليس على العبد أضر من مَلَلِهِ لنعم الله فإنه لا يراها نعمة، ولا يشكره عليها، ولا يفرح بها بل يسخطها ويشكوها ويعدها مصيبة: هذا وهي من أعظم نعم الله عليه؛ فأكثر الناس أعداء نعم الله عليهم، ولا يشعرون بفتح الله عليهم نعمه وهم مجتهدون في دفعها وردها جهلا وظلما فكم مَنْ سعت إلى أحدهم من نعمة وهو ساع في ردها بجهده، وكم وصلت إليه وهو ساع في دفعها وزوالها بظلمه وجهله. قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]))[2]

6ـ العجز عن شكر نعم الله على عباده.

نعم الله على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون وما يدفع عنهم من النقم لذا هم مهما فعلوا فلن يفوا حقها من الشكر وهذا أخذه العلماء من قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ

(١) سورة الأنفال، آية (53).

(٢) الفوائد(171ـ 172).

ﭐللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[١] يقول ابن كثير رحمه الله -:((ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم، فقال: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي يتجاوز عنكم، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم، ولكنه غفور رحيم، يغفر الكثير ويجازي على اليسير))[٢]

وقال طلق بن حبيب رحمه الله -: ((إن حق الله أثقل من أن تقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين))[٣]

فنسأل أن يتوب علينا وأن يعننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

---

(١) سورة النحل، آية(18).

(٢) تفسير القرآن العظيم(2/ 1626).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره(7/ 459)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 290) برقم (4204)، وابن أبي شيبة في مصنفه (7/ 182) برقم (35158)، وذكره ابن كثير في تفسيره (2/ 1592).

المبحث التاسع: شكر العباد والعلاقة بينه وبين شكر الله .

أولا: ألفاظ الحديث الوارد في هذه المسألة.

دليل هذه المسألة ورد بعدة ألفاظ وهي:

الأول: عن الأشعث بن قيس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول ﷺ ـ:« إن أشكر الناس لله ـ عز وجل ـ أشكرهم للناس »(١).

الثاني: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » (٢).

الثالث: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »(٣).

الرابع: عن أبي هريرة، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال: « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »(٤).

---

(١) سبق تخريجه ص (384).

(٢) سبق تخريجه ص (307).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (17/ 380) برقم (7504)، والترمذي ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم (1955)، وقال أبو عيسى:(هذا حديث حسن صحيح) انظر: سنن الترمذي(4/ 299)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1114)، ورقم(6541).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (3/ 167)، حديث رقم (8025)، وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف(4/ 255)، حديث رقم (4811)، وابن حبان(8/ 199)، حديث (3407)، والإمام البغوي في شرح السنة(13/ 187)، حديث (3610)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (128) وصححه الألباني انظر: الصحيحة رقم(416)، وصحيح الأدب المفرد(99) برقم(160).

الخامس: عن النعمان بن بشير، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر: «من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر الله. التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[1].

ثانيا: توجيه معنى الحديث عند العلماء.

ذكر شراح الأحاديث وغيرهم من أهل العلم في ذلك معنيين[2]:

الأول: إنّ الله لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم، لاتصال أحد الأمرين بالآخر.

الثاني وقيل معناه: إنّ مَنْ كان مِنْ طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم كان من عادته وطبعه كفر نعمة الله وترك الشكر له.

ثالثا: بيان العلاقة بين شكر الله وشكر الناس.

شكر الناس جزاء ما يسره الله على أيديهم من الخير كشكر الوالدين، وشكر صانع المعروف وغيرهما يعد من شكر الله [3]، وليس بينه وبين شكر الله من تعارض؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي أمرنا بشكرهم؛ فمن لم يشكرهم فقد ترك امتثال أمر الله، ومن ترك أمره لم يشكره.

---

(١) سبق تخريجه ص (331).

(٢) انظر: النهاية لابن الأثير (2/ 493)، معالم السنن للخطابي(4/ 112)، تحفة الأحوذي(6/ 75)، التنوير شرح الجامع الصغير (5/ 117).

(٣) ومنه شكر المتعلم لأستاذه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه؛ فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله ولا يجحد حقه ولا ينكر معروفه). انظر مجموع الفتاوى (28/ 13).

لذا فإن كفر إحسان الناس، وعدم شكرهم يعد من باب كفران نعمة الله؛ لأن كل نعمة تصل إلى العبد من الناس تعتبر من نعم الله ـ تعالى ـ فهو الذي أجراها على أيديهم(١).

رابعا: الفرق بين شكر الخالق وشكر المخلوق.

1ـ شكر الخالق ـ جل وعلا ـ عبادة يجب إخلاصها للباري ـ جل وعلا ـ لما فيه من الخضوع والذل والعبودية، وهذا حق لله لا يصرف لغيره.

وأما المخلوق حينما تشكره فليس هذا عبادة له؛ وإنما هو تعبد لله ـ تعالى ـ الذي أمرك بأن تكافئه مقابل معروفه أو تدعو له وتثني عليه.

2ـ أن الله . سبحانه ـ لا ينفعه شكر العباد، وإنما نفع شكرهم عائد إليهم فهم المنتفعون على الحقيقة، وما ذاك إلا لكمال غناه فلا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين.

أما المخلوق صانع المعروف حينما تمتثل أمر النبي ﷺ ـ وتشكره، وتثني عليه وتدعو له فإن ذلك ينفعه ويحمله على أن يزيد من صنائع المعروف، وفعل الخير للناس.

خامسا: ما يجب حذره عند شكر المخلوقين.

أ ـ شكر المخلوق بمعصية الله ـ تعالى ـ، أو طاعته بمعصية الله؛ فليس من حقه وإنعامه أن يشكر بهذا؛ لأن الله هو المنعم بالنعم العظيمة التي لا يقدر عليها مخلوق، ونعمة المخلوق إنما هي منه وحده(١).

---

(١) انظر: الحسنة والسيئة لابن تيمية (98)، والمسالك في شرح موطأ الإمام مالك(3/ 294)، التنوير شرح الجامع الصغير (10/ 429).

ب ـ ومما يحذر في هذا الباب شكر المخلوق وترك شكر الخالق، وهذا مما يبلى به بعض الناس فتجده يعامل الناس المعاملة الحسنة لأي غرض كان!! ولكنه في نفس الأمر لا يقوم بما يجب عليه من حقوق ربه المنعم جل وعلا.

(١) انظر: الحسنة والسيئة (98).

المبحث العاشر: فوائد الشكر وثماره على الفرد والمجتمع وفيه مطلبان:

فوائد الشكر وثماره كثيرة جدا منها ما هو معجل في الدنيا، ومنها ما هو مدخر ليوم أحوج ما يكون الشاكر إليه في الآخرة ومن ذلك ما سأذكره في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: فوائده وثماره الدنيوية.

1ـ حفظ النعم من الزوال.

وهذا من أعظم ثمار الشكر وفوائده الدنيوية؛ إذ به يحفظ الله نعمه على العباد لئلا تزول، والنفس البشرية مجبولة على محبة دوام النعم، وكره زوالها، وقد دلت النصوص والآثار الواردة عن السلف أن الشكر سبب لبقاء النعم، وعدم زوالها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢] (ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب؛ لأنه يجلب النعم المفقودة)[٣].

---

(١) سورة إبراهيم، آية (7).

(٢) سورة الرعد، آية(11).

(٣) من قول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ. انظر: عدة الصابرين (390).

ويشهد لهذا: قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ لجليس له يوما:((اشكر المنعم عليك، وأنعم على الشاكر لك؛ فإنه لا نفاد للنعم إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وآمان من الغِيَر))[١].

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله ـ يقول: ((عليكم بمداومة الشكر على النعم؛ فقلَّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم))[٢].

2ـ زيادة النعم وبركتها.

كل من أنعم الله عليه نعمة من نعمه يرجو بقاءها، ويطمع في زيادتها والله سبحانه ضمن لعبادة ذلك، ووعدهم بزيادة النعم إن هم شكروه، وأطاعوه كما في الآية السابقة: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٣].

(١) أخرجه الخرائطي في كتاب فضيلة الشكر(66)، ورقم (94).

(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (425) ومعنى هذا الأثر جاء مرفوعا وموقوفا لكنه لم يجاوز القنطرة عند أهل العلم بالحديث فحكموا عليه بالضعف فأما المرفوع فقد جاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى كسرة ملقاة فأخذها فمسحها ثم أكلها ، وقال: يا عائشة أكرمى كريمك فإنها ما نفرت عن قوم فعادت إليهم " رواه ابن ماجه، ورواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الشكر له بنحوه (ص 65)ولفظه: " أحسنى جوار نعم الله عليك " انظر في الحكم عليه إرواء الغليل للألباني(7/ 20، 21).

(٣) سورة إبراهيم، آية (7).

وفي هذه الآية إعلام من الله لعباده بوعده لهم بأن يزيدهم من نعمه إن هم شكروا، ولو كفروا نعمه وجحدوها فقد أخبرهم بأن عذابه شديد ومن ذلك معاقبتهم بسلب النعم وزوالها(١).

وفي المأثور ما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ:((إنّ النّعمة موصولة بالشّكر، والشّكر يتعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتّى ينقطع الشّكر من العبد))(٢).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ـ:((من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى:﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾، وإن من شكر النعمة أن يحدث بها))(٣)

ولقد أحسن من قال:

إذا كنت في نعمة فارعها   فإن المعاصي تزيل النعم

وواظب عليها بشكر الإله   فإن الإله شديد النقم(٤).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (2/ 1570).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر(18)، ورقم (73)، والبيهقي في الشعب (4/ 127)، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (390).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر(92)، ورقم (56)، والبيهقي في الشعب (4/ 127)، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (398).

(٤) قيل أن هذا من قول أبي الحسن الكندي القاضي فقد أسندها إليه البيهقي في الشعب الشعب (6/ 308)، وقيل: من قول عبدالله بن المبارك وقد جزم بذلك محمد بن مطر الزهراني ـ رحمه الله ـ في كتابه ـ من أعلام أهل السنة والجماعة عبدالله بن المبارك ـ (40)، وفي بعض كتب الأدب يعزونه إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كما في

3ـ السعادة والطمأنينة.

كل فرد من العباد يسعى في صبحه ومسائه بل وفي حياته كلها ليبحث عن سعادة نفسه، وطمأنينة قلبه ولن يجد بغيته إلا في طاعة الله وشكره ـ سبحانه وتعالى ـ لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] فالقيام بشكر الله وطاعته، هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده؛ فليس للعبد في دنياه وأخراه أنفع له من طاعته وشكره لربه ومولاه، وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة إلا بذلك، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع ذلك [2].

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:((الشاكرون أطيب الناس نفوسا، وأشرحهم صدورا، وأقرهم عيونا؛ فإن قلوبهم ملآنة من حمده والاعتراف بنعمه، والاغتباط بكرمه، والابتهاج بإحسانه، وألسنتهم رطبة في كل وقت بشكره وذكره، وذلك أساس الحياة الطيبة ونعيم الأرواح، وحصول اللذائذ والأفراح، وقلوبهم في كل وقت متطلعة للمزيد، وطمعهم ورجاؤهم في كل وقت بفضل ربهم يقوى ويزيد))[3] .

صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم (378)، ومهما يكن فالأبيات مشهور جدا قديما وحديثا والعلماء كثيرا ما يستشهدون بها كابن القيم ـ رحمه الله ـ فقد ذكرها كثيرا في كتبه فانظر: الجواب الكافي (126)، وطريق الهجرتين (78) والله أعلم

(١) سورة النحل، آية(97).

(٢) انظر: الجواب الكافي (259).

(٣) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن مجموعة

4ـ النجاة من كيد الشيطان وإغوائه.

فإذا شكر العبد ربه وأطاعه سلم من كيد الشيطان ومكره الذي أقسم لربه أن يقعد للعباد بكل طريق، وأن يأتيهم من كل جانب لئلا يكونوا من الشاكرين، وذلك فيما ذكره الله عنه أنه قال: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾[١]

5ـ الشكر يعود الإنسان على رد الجميل، والاعتراف به؛ ويوجه إرادته نحو الخير لنفسه وللناس أجمعين.

6ـ أنه يقوى العلاقة بين الناس.

فالعبد الشكور قريب من الناس حبيب إليهم، يأنسون بقربه، ويدعون له في ظهر الغيب ولذا جاء التوجيه النبوي الكريم في الحث على شكر الناس والدعاء لهم في قوله ﷺ ـ « من صُنِعَ إليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء»[٢]

7ـ أنه خير ما اكتسبه الإنسان في حياته.

وهذا جاء في وصية النبي ﷺ ـ لمعاذ رضي الله عنه ـ حين قال له: « يا معاذ، قلب شاكر، ولسان ذاكر، وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك، ودينك خير، ما اكتنز الناس »[٣].

السعدي (5/ 427).

(١) سورة الأعراف، الآيتان(16، 17).

(٢) سبق تخريجه (ص 385).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (8/ 205)، برقم (2828)، والبيهقي في شعب الإيمان(6/ 247)، برقم (4116)،واللفظ له، وقد صححه الألباني بهذا اللفظ في

المطلب الثاني: فوائده وثماره الأخروية.

1ـ أن الله وعد الشاكرين بأحسن الجزاء.

وذلك أن الله ـ سبحانه ـ قد وقف في كتابه كثيرا من الجزاء على المشيئة فقال تعالى في المغفرة: ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] وقال في التوبة: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[٢] وقال في الرزق: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[٣] أما جزاء الشاكرين فقد أطلقه ولم يقيده بشيء فقال تعالى: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٤] وقال: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٥] قال السعدي رحمه الله ـ في تفسير الآية:((ولم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلةً وكثرةً وحسناً))[٦].

2ـ الفوز برضوان الله ومحبته.

ومن ثمار الشكر وفوائده أن يرضى الله عن عبده، وإذا رضي الله عن العبد أحبه بلا ريب، وبذلك تكون سعادته الأبدية التي لا يوجد فوقها سعادة، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ

صحيح الجامع الصغير وزيادته، (2/ 812)، وبرقم (4409).

(١) سورة المائدة، آية (40).

(٢) سورة التوبة، آية (15).

(٣) سورة البقرة، آية (212).

(٤) سورة آل عمران، آية (144).

(٥) سورة آل عمران، آية (155).

(٦) تفسير السعدي (151).

ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[١] ويقول النبي ﷺ ـ:« إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها»[٢].

أما كون رضوان الله عن العبد هو السعادة الحقيقة، وأنه أكبر نعمة يمن الله بها على العباد في الجنان فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣]

3ـ رفعة الدرجات في الآخرة.

وذلك أن الشكر من الأعمال الصالحة وكلما زاد العبد من شكر الله ـ تعالى ـ باللسان ثناءً، وبالقلب اعترافاً وإقراراً، والجوارح عملاً وإحساناً، زاد إيمانه، وعظم يقينه، وكثرت طاعاته، وبذلك مع إخلاصه ترتفع درجته في الآخرة.

قال كعب[٤]: ((ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة))[٥]

(١) سورة الزمر، آية (7).

(٢) سبق تخريجه(357).

(٣) سورة التوبة، آية (72).

(٤) كأنه كعب الأحبار وهو: ابن ماتع الحميري اليماني، أبو إسحاق، كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في أيام عمر ـ رضي الله عنه ـ فجالس الصحابة وكان يحدث من الإسرائيليات، توفي في حمص في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر: السير (3/ 489).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر(161)، برقم (184)، وأبو نعيم في الحلية (

4ـ الفرح والسرور عند لقاء الله.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ في بيان هذه الثمرة:((...وأما السرور به وإن كان من أجل المقامات فإن العبد إنما يُسر بمن هو أحب الأشياء إليه، وعلى قدر حبه له يكون سروره، وهذا السرور ثمرة الشكر لا أنه نفس الشكر، فكذلك الاستبشار والفرح بلقائه إنما هو ثمرة الشكر وموجبه، وهو كالرضا من التوكل وكالشوق من المحبة، وكالأنس من الذكر، وكالخشية من العلم، وكالطمأنينة من اليقين، فإنها ثمرات لها وآثار وموجبات، فعلى قدر شكره بالأعمال الظاهرة والباطنة وتصحيح العبودية يكون سروره واستبشاره بلقائه، وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ [1] فهذا إنما قاله للشاكرين الذين يقاتلون فى سبيله فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون، ثم وصفهم بعد ذلك بقيامهم بأعمال الشكر فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [2]، فهؤلاء المستبشرون ببيعهم جعلنا الله منهم بمنه وكرمه)) [3]

5ـ الأمن من العذاب.

6/ 342). وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (469).

(١) سورة التوبة، آية (111).

(٢) سورة التوبة، آية (112).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (410).

وهذه ثمرة من أجل ثمار عبادة الشكر، ومنة عظيمة من الله ـ تعالى ـ لأهل الإيمان؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال في كتابه ووعد: أن لا يعذب من كان مؤمنا شاكرا وذلك في قوله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[1] قال قتادة ـ رحمه الله ـ :((إن الله جل ثناؤه لا يعذب شاكرا ولا مؤمنا))[2]

وهذا من كمال غناه ـ جل وعلا ـ وأنه لا حاجة له في تعذيب عباده إن هم آمنوا وشكروا والاستفهام في الآية (بمعنى التقرير ومعناه: أنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فإن تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه)[3].

ووعد الله لكل شاكر بأن ينجيه من العذاب جاء كذلك في سياق ذكر قصة لوط ـ عليه السلام ـ وآله لما نجاهم الله من العذاب الذي حل بقومهم في قوله تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾[4]

قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ:((وقوله:﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ يقول: وكما أثبنا لوطا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا

---

(١) سورة النساء، آية (147).
(٢) تفسير الطبري(4/ 338).
(٣) انظر: تفسير البغوي (2/ 303).
(٤) سورة القمر، الآيات (32ـ 35).

كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا))[1].

(١) تفسير الطبري(11/ 563).

الفصل الثاني

منزلة الشكر من العقيدة ودلالته على أقسام التوحيد الثلاثة و زيادة الإيمان بالله.

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : بيان منزلة الشكر من الإيمان.

المبحث الثاني: دلالة الشكر على وجود الله، وإفراده بالربوبية.

المبحث الثالث: دلالة الشكر على توحيد الأسماء الله والصفات.

المبحث الرابع: دلالة الشكر على توحيد الألوهية.

المبحث الخامس: دلالة الشكر على مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان .

المبحث السادس: بيان أن الشكر يزيد في إيمان العبد.

المبحث الأول : بيان منزلة الشكر من الإيمان.

منزلة الشكر من الإيمان عظيمة، ومكانته رفيعة؛ إذ هو من خصاله وشعبه المتعددة ولقد تحدث العلماء عن منزلة الشكر من الإيمان بأقوال متعددة كلها تدور حول هذا المعنى وبيانها كما يلي:

أولا: أن الشكر من الإيمان.

وهذا مبني على ما هو مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة: أن الإيمان اسم لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة الواجبة والمستحبة وكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في بيان هذا:((اسم " الإيمان " يستعمل مطلقا ويستعمل مقيدا، وإذا استعمل مطلقا فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ويدخل في ذلك ما قد يسمى مقاما وحالا مثل الصبر **والشكر** والخوف والرجاء والتوكل والرضا والخشية والإنابة والإخلاص والتوحيد وغير ذلك، ومن هذا ما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم – أنه قال:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (7/ 115، 126، 338).

« الإيمان بضع وستون – أو بضع وسبعون – شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[1]))[2]

ثانيا: أن الشكر نصف الإيمان.

وهذا جاء عن غير واحد من السلف أن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر[3].

كما أثر عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:((الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر))[4] وعن الشعبي رحمه الله ـ كذلك أنه قال: ((الشكر نصف الإيمان، والصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله))[5]

ولكون الإيمان ينبني على الصبر والشكر جمع الله بينهما في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان انظر: صحيح البخاري(5)، حديث رقم(9)، والإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان شعب الإيمان. انظر: مسلم بشرح النووي(2/ 202)، حديث رقم(57، 58).

(٢) مجموع الفتاوى (7/ 390).

(٣) أخرجه الخرائطي في كتاب فضيلة الشكر يرفعه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ (39)، برقم (18)، وأخرجه أيضا البيهقي في شعب الإيمان (12/ 192)، وبرقم (9264)، ولكن لم يثبت رفعه كما قال ابن حجر في الفتح (1/ 48)، بل قال عنه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ(إنه ضعيف جدا) في ضعيف الجامع الصغير (339)، برقم (2310). وهو في الضعيفة برقم (625).

(٤) ذكره البخاري معلقا في باب الإيمان بلفظ:(اليقين الإيمان كله) وقال ابن حجر عند شرحه له:(هذا التعليق طرف من أثر وصله الطبراني بسند صحيح، وبقيته: والصبر نصف الإيمان) انظر: فتح الباري (1/ 48)،واللفظ الذي أثبته ذكره ابن القيم في عدة الصابرين (395) وغيره .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر(93) ورقم (57).

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[١]

ووجه ابن القيم ـ رحمه الله ـ كون الشكر نصف الإيمان بقوله :((إن الإيمان اسم لمجموع القول والعمل والنية، وهى ترجع إلى شطرين: فعل وترك؛ فالفعل هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر، والترك هو الصبر عن المعصية، والدين كله في هذين الشيئين فعل المأمور، وترك المحظور))[٢].

ولكون الإيمان ينبني على الشكر والصبر جعلهما الله سببا للانتفاع بآيات الله في الآية السابقة يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بيان هذا :((وإنما كان الصبر والشكر سببا لانتفاع صاحبهما بالآيات، لأن الإيمان ينبني على الصبر والشكر فنصفه صبر، ونصفه شكر؛ فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه، وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله وآياته، ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر؛ فإن رأس الشكر التوحيد، ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى، فإذا كان مشركا متبعا هواه لم يكن صابرا ولا شكورا؛ فلا تكون الآيات نافعة له، ولا مؤثرة فيه إيمانا))[٣]

ثالثا:أن الشكر أعلى مقامات الإيمان.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بيان هذه المنزلة:((**ومقام الشكر** جامع لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا وهو يتضمن الصبر من غير عكس، ويتضمن التوكل والإنابة والحب والإخبات والخشوع والرجاء؛ فجميع المقامات مندرجة فيه، لا يستحق صاحبه اسمه على الإطلاق إلا

---

(١) سورة إبراهيم، آية(5)، وفي لقمان آية(31)، وسبأ، آية (19)، والشورى آية(33).
(٢) عدة الصابرين (395).
(٣) الفوائد لابن القيم (129).

باستجماع المقامات له، ولهذا كان الإيمان نصفين: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكرا، والشاكرون هم أقل العباد، كما قال تعالى:﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1]))[2].

وقال أيضا:((ويا عجبا! أي **مقام أرفع من الشكر** الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان، حتى المحبة والرضا، والتوكل وغيرها؟ فإن الشكر لا يصح إلا بعد حصولها. وتالله ليس لخواص أولياء الله، وأهل القرب منه سبيل أرفع من الشكر ولا أعلى))[3].

وقال في موضع ثالث:((إن الرضا يثمر الشكر، الذي هو من **أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان**))[4].

وجعل ابن القيم رحمه الله ـ في موضع رابع: الإيمان ماهية مركبة من صبر وشكر في قوله:((الصبر نصف الإيمان؛ فإنه ماهية مركبة من صبر وشكر، كما قال بعض السلف: الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر))[5]

ومن العلماء من جعل الشكر من أركان الإيمان وممن قال بهذا الشيخ عبدالهادي بن محمد البكري العجيلي[6] رحمه الله ـ فقد قال:((اعلم أن الصبر والشكر من أركان الإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) سورة سبأ، آية (13).
(٢) مدارج السالكين (1/ 153).
(٣) المصدر نفسه (2/ 259).
(٤) المصدر نفسه (2/ 217).
(٥) زاد المعاد (4/ 332)، والطب النبوي (251).
(٦) هو عبدالهادي بن محمد بن عبدالهادي البكري العجيلي، وهو ينتمي إلى أسرة عرفت

« الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر »[1]))[2]

ومما ينبه عليه هنا: أن المقصود من الأقوال السابقة هو بيان أهمية الشكر ، وأنه خصلة من خصال الإيمان؛ حتى من جعل الشكر من ماهية الإيمان، أو من قال: الإيمان هو الصبر والشكر ونحو هذا؛ فمعلوم أنهم لم يقصدوا حقيقة التعريف الاصطلاحي للإيمان، وإنما قصدوا كما سبق بيان أهمية الشكر وأنه داخل في مسمى الإيمان، وأنه من شرائعه وفرائضه[3] والله أعلم.

بالفتوى والقضاء والتعليم والصلاح، وكان مستقرهم بناحية من نواحي زبيد باليمن، وموطنه بلاد عسير في قرية (رجال)، وأما مولده ووفاته فقد ذكر الدكتور حسن بن علي عواجي محقق كتاب المترجم له (تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد) أنه لم يقف على شيء فيما اطلع عليه من مصادر ومخطوطات ولكنه قدَّرَ على غلاف الكتاب أن مولده ووفاته (1162هـ ـ 1262هـ) انظر: مقدمة تحقيق كتاب المترجم له المذكور للشيخ حسن عواجي (1/ 43ـ63).

(١) سبق في ص 429قريبا بيان أن هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ ـوأنه ضعيف جدا

(٢) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (2/ 370).

(٣) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (145).

المبحث الثاني: دلالة الشكر على وجود الله، وإفراده بالربوبية.

الإقرار بوجود الله وربوبيته أمر فطري وضروري في نفوس جميع الناس؛ فكلهم مقر بذلك، حتى من أنكر ذلك ظاهراً بلسانه فهو معترف به باطناً ففطرهم شاهدة بأن الله ـ سبحانه هو الخالق وحده، وهو المالك وحده، وهو المتصرف لما في هذا الكون وحده، وإليه وحده يرجع الأمر كله من التصريف والتدبير يفعل ما يشاء ـ سبحانه ويختار(١).

ومع وضوح ذلك فإن من عظيم لطف الله بعباده، وحكمته البالغة أن نوَّع لهم الأدلة الدالة عليه، والمثبتة لوجوده، وصَرَّفَ الآيات وضرب لهم الأمثال؛ ليقيم عليهم حجته البالغة، ويتم بذلك عليهم نعمه السابغة(٢).

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:((فسبحان من تَعَرَّفَ إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات، ودلهم عليه بأنواع الدلالات وفتح لهم جميع الطرقات))(٣)

لذا فإن من هذه الدلالات الدالة على الله، وعلى كبير حقه على الخلق: دلالة عبادة الشكر على وجوده، وإفراده بالربوبية والتي ستظهر بإذن الله من خلال الوجوه التالية:

الوجه الأول: معرفة النعم سبيل إلى معرفة المنعم.

الله سبحانه وتعالى أنعم على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى، وجعلها من السبل المعرفة به والدالة عليه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (1/ 355، 358)، وطريق الهجرتين(56).
(٢) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (149).
(٣) مدارج السالكين (1/ 230).

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله : ((... والنعم كلها من آياته الدالة على نفسه المقدسة ووحدانيته ونعوته ومعاني أسمائه؛ فهي آلاء آيات[1]، وكل ما كان من آلائه فهو من آياته، وهذا ظاهر؛ وكذلك كل ما كان من آياته فهو من آلائه؛ فإنه يتضمن التعريف والهداية والدلالة على الرب ـ تعالى ـ وقدرته وحكمته ورحمته ودينه، والهدى أفضل النعم))[2].

وعبادة الشكر قائمة على أركان وركنها الأعظم معرفة النعم إذ يستحيل وجود الشكر من غير هذه المعرفة فالعبد إذا عرف نعم الله توصل بمعرفتها إلى معرفة المنعم ـ جل وعلا ـ وعلم يقينا أن من شكر نعم الله الاعتراف، والإقرار بربوبية الله لجميع خلقه الذي رباهم بنعمه الظاهرة والباطنة، والقيام بما يجب له من العبادة والشكر.

ومن هذا المنطلق عرَّف بعض أهل العلم بأن الشكر هو: اسم لمعرفة النعم؛ لأنه السبيل إلى معرفة المنعم جل وعلا[3]

الوجه الثاني: مشروعية الشكر دليل على المشرع سبحانه.

وذلك أن عبادة الشكر من العبادات التي شرعها الله ـ سبحانه ـ وهي من ضمن شريعة الإسلام والإسلام من الشرائع الإلهية، التي يعتبر وجودها دليل قاطع وبرهان بين على وجود الرب سبحانه وتعالى، وعلى كمال علمه، وحكمته، ورحمته؛ لأن هذه الشرائع لا بد لها من مشرع، والمشرع هو الله عز وجل[4].

---

(١) هكذا في الأصل وكأنها والله أعلم (فهي آلاء وآيات)

(٢) الفتاوى (8/ 21).

(٣) انظر: مدارج السالكين (2/ 257).

(٤) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (44).

الوجه الثالث: توفيق العبد وهدايته للشكر وقيامه به هو من تقدير الله وقضائه، والعبد وفعله من خلق الله وتقديره، وكل هذا من أفعال الله وتصرفه في ملكه كيف يشاء ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا كله داخل في ربوبية الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((وأما توحيد الربوبية فيدخل فيه ما قدره الله وقضاه...))[1]

ويقول ابن القيم رحمه الله ـ:((...وأما ما فيه من التوحيد وانتهاء الأمور إلى مشيئة الرب ـ جل جلاله ـ، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن فذلك عقد نظام الإيمان، ومع ذلك فلا يكفي وحده؛ إذ غايته تحقيق توحيد الربوبية الذي لا ينكره عباد الأصنام))[2]

الوجه الرابع: دلالة زيادة النعم عند الشكر على الربوبية.

وهذه من الحوادث التي تنزل لسبب؛ فهي دالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى، وعلى ربوبيته، وذلك أن العبد إذا امتثل أمر ربه وشكره على الوجه الذي يرضيه حقق الله له وعده بالمزيد من الخيرات الذي وعده به في قوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[3]

فحدوث هذه الزيادة دليل على وجود الله وكمال ربوبيته؛ فكل حادث لا بد له من مُحْدِث، ولا محدث إلا الله عز وجل.

---

(١) مجموع الفتاوى (22/ 261).

(٢) مدارج السالكين (3/ 415).

(٣) سورة إبراهيم، آية (7).

كما قال السفاريني ـ رحمه الله ـ في نظمه:

((دلت على وجوده الحوادث سبحانه فهو الحكيم الوارث))(١)

الوجه الخامس: المسلم عند شكره لربه وتعبده باسميه الشكور والشاكر لا شك أنه يعتقد أنه يعبد ويدعو ربا خالقا شاكرا مدبرا منعما جوادا كريما؛ يعلم حاله ويرى مكانه؛ إذ لا يصح مطلقا أن أحدا يتعبد لرب لا يعتقد وجوده، ولا يعتقد روبيته.

وهذا من أوضح الأدلة في تقرير ربوبية الله من خلال عبادة الشكر.

كما أن هذه الحال من العبد تتضمن إثبات جملة من خصائص الربوبية؛ وذلك أنه عند شكره لله يعتقد أنه يعبد ربه الذي خلقه، والذي بيده ملكوت كل شيء، القادر على كل شيء وأنه يعطي لحكمة، ويمنع لحكمة، وأنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، فاعتقاده بتفرد ربه بهذه الخصائص التي لا يجوز أن يوصف بها غيره، وأنه ـ سبحانه ـ لا يماثله شيء من المخلوقات في خصائص روبيته وصفات كماله(٢)، وهذا من أكمل الأمور في تقرير الربوبية والإيمان بها(٣).

---

(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (42).

(٢) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (1/ 461).

(٣) انظر: رسالة المسائل العقدية المتعلقة بصفة الرحمة (371ـ 372).

المبحث الثالث: دلالة الشكر على توحيد الأسماء الله والصفات

شكر الله ـ عز وجل ـ لا يكون إلا بمعرفة تامة بالمنعم ـ سبحانه وتعالى ـ، وأصل معرفة الله معرفة أسمائه الحسنى، وما تشتمل عليه من المعاني العظيمة [١]، ومن خلال تأمل حال الشاكر وتعبده لله وشكره له ـ جل وعلا ـ تظهر حقيقة دلالة هذه العبادة على تحقيق توحيد أسماء الله وصفاته وبيانها كما يلي:

أولا: أن توحيد الله هو رأس الشكر.

سبق أن علمنا أن للشكر أنواعا متعددة، وبينا أن أعظم أنواعه هو تحقيق توحيد الله ـ عز وجل ـ وأن رأس الشكر هو توحيد الله ـ تبارك وتعالى ـ [٢]، وهذا يشمل أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ومما يؤكد هذا ثبوت العلاقة بين أنواع التوحيد؛ فهي متكاملة متلازمة وبمجموعها يتحقق الإيمان بالله ـ تعالى ـ، ولا يكمل التوحيد لأحد إلا باجتماعها؛ وثبوت الواحد منها يقرر ويثبت بقيتها،وباعتبار هذه العلاقة والنظر إليها فإن عبادة الشكر ـ وهي من توحيد العبادة ـ؛ فهي تثبت ما لله من الأسماء والصفات، وذلك لكون توحيد العبادة متضمن لتوحيد الأسماء والصفات؛ فمن أقر بتوحيد الألوهية وتعبد لله بأي نوع من العبادات المشروعة سواء كانت عبادة الشكر أو غيرها فإن هذا يدل ضمنا على أنه يعتقد أن الإله المعبود لا بد أن

---

(١) انظر:فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق، لابن سعدي (24).

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم (129).

يكون له من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أعلاها وأكملها؛ إذ الموصوف بصفات النقص لا يصلح أن يكون إلها وربا يعظم ويعبد[1].

ثانيا: عبادة الشكر أثر من آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته.

من أجل آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته أن نتعبد لله ـ عز وجل ـ بها وبمقتضاها دعاء وتوسلا وتذللا وهذا مما يحبه الله من عباده

وعبادة الشكر إنما هي تعبد باسمين من أسمائه الحسنى وهما الشكور والشاكر، وتعبد بما يدلان عليه من صفة الشكر الثابتة لله تعالى؛ ففيها ـ أي عبادة الشكر ـ إثبات للاسمين وما يدلان عليه من المعاني العظيمة من باب دلالة الأثر على المؤثر؛ فإذا أثبتنا ذلك من خلال عبادة الشكر اقتضى ذلك إثبات كل ما ورد من الأسماء والصفات وبيان ذلك وتفصيله تقدم في الباب الأول عند ذكر دلالات الاسمين الشكور والشاكر[2].

---

(١) انظر في بيان العلاقة بين أنواع التوحيد: درء تعارض العقل والنقل (4/ 391)، و شرح الطحاوية (1/ 140)، و والأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان (35)، و جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح العبادة لشيخي الدكتور أحمد الغنيمان (1/ 134ـ 137)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للدكتور محمد التميمي (41ـ 42)، وأصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة للدكتور سعود الخلف (1/ 89).

(٢) انظر: الصفحات (69ـ 100).

المبحث الرابع: دلالة الشكر على توحيد الألوهية.

تظهر دلالة شكر الله على نعمه على توحيده وإخلاص العبادة له ـ سبحانه من أوجه متعددة فمن ذلك:

أولا: دلالتها من خلال إيمان الشاكر باسمي الجلالة الشكور والشاكر.

الإيمان بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، له آثار عظيمة وفوائد نافعة في اعتقاد العبد وعمله؛ وكلما زاد العبد معرفة بها ازداد إيمانه وقوي يقينه [1]، ومن أعظم آثارها تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لرب العبيد والمنعم عليهم ـ سبحانه وتعالى ـ فمن أثبت لله اسميه الكريمين الشكور والشاكر وتعبد لله بهما وشكره على كل نعمة، وأيقن أن ما به من نعمة إنما هي من الله وحدة لا شريك له!! لا شك أن هذه الحال ستوصله إلى ربه ومولاه، وتملأ قلبه من حبه وإجلاله وتعظيمه، وأن يخلص له في أقواله وأفعاله، وهذه هي حقيقة التوحيد الذي أراده الله من عباده أجمعين.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ((من تعلق بصفة من صفاته أخذته بيده حتى تدخله عليه، ومن سار إليه بأسمائه الحسنى وصل إليه، ومن أحَبَّه أحبَّ أسماءه وصفاته وكانت آثر شيء لديه؛ حياة القلوب في معرفته ومحبته، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته والقيام بخدمته والألسنة بذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته؛ فأهل شكره أهل زيادته، وأهل ذكره أهل مجالسته، وأهل طاعته أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته إن تابوا فهو حبيبهم وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم

---

(١) انظر: مدارج السالكين (3/ 366)، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ضمن مجموعته الكاملة (3/ 108).

يبتليهم بأنواع المصائب ليكفر عنهم الخطايا، ويطهِّرَهم من المعائِبِ انه غفور شكور))[1].

ثانيا: دلالتها من خلال إيمان الشاكر بصفة الشكر

وهذا الوجه سبق أن بيناه بالتفصيل في مبحث أثر الإيمان بصفة الشكر الثابتة لله تعالى وبينا أن إثبات صفات الباري ـ جل وعلا ـ مما يقرر توحيد العبادة، وأن الله ـ تعالى ـ لم يذكر صفاته في كتابه لمجرد تقرير كماله فحسب ، وإنما كذلك لأجل تقرير أن الموصوف بصفات الكمال هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وما سواه من الآلهة الناقصة فهي من أبطل الباطل، وأنها لا تستحق شيئا من العبادة [2]

ثالثا: دلالتها من خلال العلاقة بين أقسام التوحيد

في المبحثين السابقين ظهر تقرير توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات من خلال عبادة الشكر لذا لو نظرنا للعلاقة بين أنواع التوحيد التي تؤكد على أن مَنْ أَقَرَّ بتوحيد الربوبية،وتوحيد الأسماء والصفات فإنه يلزمه الإقرار بتوحيد الألوهية، وأن يخلص في عبادته لمن أقر له بالربوبية، وأنه خالقه والمتفضل عليه بنعمه، وأنه الكامل من جميع الوجوه، وهذا من منهج القرآن في استدلاله على توحيد الألوهية فكثير ما جاء فيه الاستدلال بتفرد الرب ـ جل وعلا ـ بأفعاله وتفرده بأسمائه وصفاته على أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه وذلك

---

(١) عدة الصابرين (826).

(٢) انظر: من هذه الرسالة (156 ـ 157).

لصحة وقوة هذا الدليل؛ فهو من أعظم الأدلة في تقرير الألوهية [١] ولذلك (فإن أول ما يتعلق القلب به هو توحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية)[٢].

يقول ابن القيم. رحمه الله -:((... فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية، ولذلك وقع الاحتجاج به فى القرآن أكثر مما وقع بغيره، لصحة دلالته، وظهورها، وقبول العقول والفطر لها، ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية))[٣]

رابعا: دلالتها من ناحية كونها جزءا من توحيد العبادة

عبادة الشكر من العبادات التي يحبها الله ويرضاها، وأمر عباده أن يخلصوا له فيها كما في قوله: ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٤]، كما وجعل الشكر هو الغاية من خلقه وأمره في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٥]

ولهذا كان تحقيق هذه العبادة من أجل صفات الخُلَّص من عباد الله التي أثنى عليهم بها في القرآن كما قال في إبر عليه السلام -:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

(١) انظر: شرح الطحاوية (1/ 149ـ 150).

(٢) انظر: مدارج السالكين (1/ 443).

(٣) طريق الهجرتين (56).

(٤) سورة البقرة، آية (172).

(٥) سورة النحل، آية (78).

شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [1].

وهي كذلك من أجل صفات سيد المخلصين نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قام حتى تفطرت قدماه ولما كلم في ذلك قال أفلا أكون عبدا شكورا ؛ بل إنه لم يكتفِ بذلك بل دعا ربه أن يجعله شَكَّارا، وذلك فيما صح عنه أنه كان يدعو بقوله: «ربِّ أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، ويسر لي الهدى، وانصرني على من بغى علي. رب اجعلني شَّكَارا لك، ذَكَّارا لك، راهبا لك، مِطْواعا لك، مخبتا لك، أَوَّاها منيبا، تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهدِ قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة[2] قلبي»[3]

وكل ما سبق يعضد دلالة هذه العبادة على توحيد الألوهية إذ دلالتها من دلالة الجزء على الكل؛ فالشكر ثمرة من ثمرات التوحيد، وجزء من أجزائه، بل إنه لا يتحقق إلا بالتوحيد لما فيه من الثناء على الله الذي لا يتم إلا بتوحيده جل في علاه[4].

خامسا: دلالتها من خلال ما تتضمنه من أنواع العبادة

العبد عند شكره للمنعم العظيم ـ جل وعلا ـ فإن هذا الفعل منه يتضمن أنواعا عديدة من أنواع العبادة منها ما يتعلق بقلبه: كإقراره أن ما به من نعمة

(١) سورة النحل، الآيتان(120ـ121).

(٢) السخيمة: الحقد في النفس. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (2/ 351).

(٣) سبق تخريجه ص(384).

(٤) انظر: الفوائد لابن القيم (126).

فهي من الله وحده عند ذلك يخضع لربه، ويذل وينكسر بين يديه؛ فيشعر بشدة حاجته إليه، وأنه لا يستغني عنه طرفة عين، وحين يشهد عظم هذه النعم من الشكور الشاكر ـ جل وعلا ـ وتتابعها وتواليها عليه يخلص له في محبته حتى يكون أحب إليه من كل شيء فالنفوس مجبولة على محبة من أحسان إليها، ولا يوجد في الوجود أعظم إحسانا من الله تبارك وتعالى.

ومن العبادات التي يتضمنها الشكر ما يتعلق باللسان كالثناء والحمد وشكر الله القولي والدعاء باسمي الله الشكور والشاكر، والتوسل إليه بصفة الشكر لا سيما حين يرى المزيد من فضل الله عليه جزاء شكره لربه فإنه عند ذلك لا يفتر لسانه من شكره لربه سبحانه وتعالى، وهو في هذه الحال يسأل الله أن يوزعه شكر نعمه، وأن يجعله ممن يعظم شكر الله تعالى.

ومن العبادات التي يتضمنها الشكر أيضا ما يتعلق بالجوارح وهي كثيرة جدا.

ولذا يقول ابن القيم رحمه الله ـ عنها :((من علم أن الرب شكور تنوع في معاملته))(١)

ويقول أيضا عن عبادة الشكر وما تتضمنه من أنواع جلية من أنواع العبادة:

((وأما عبودية النعم فمعرفتها والاعتراف بها أولا، ثم العياذ به أن يقع في قلبه نسبتها وإضافتها إلى سواه، وإن كان سببا من الأسباب فهو مسببه ومقيمه؛ فالنعمة منه وحده بكل وجه واعتبار، ثم الثناء بها عليه، ومحبته عليها، وشكره بأن يستعملها في طاعته.

---

(١) عدة الصابرين (826).

ومن لطائف التعبد بالنعم أن يكثرَ قليلُها عليه، ويستقلَ كثيرَ شكرِهِ عليها، ويعلم أنها وصلت إليه من سيده من غير ثمن بذله فيها، ولا وسيلة منه توسل بها إليه، ولا استحقاق منه لها، وأنها لله في الحقيقة لا للعبد؛ فلا تزيده النعم إلا انكسارا، وذلا، وتواضعا، ومحبة للمنعم، وكلما جدد له نعمة أحدث لها عبودية ومحبة وخضوعا وذلا، وكلما أحدث له قبضا أحدث له رضا، وكلما أحدث ذنبا أحدث له توبة وانكسارا واعتذارا؛ فهذا هو العبد الكيس والعاجز بمعزل عن ذلك وبالله التوفيق))[1]

وكل ما سبق ذكره مما تتضمنه عبادة الشكر من العبادات يعد من أفراد توحيد العبادة بل منها ما هو من أركان العبادة التي لا تقوم إلا به والله أعلم.

---

(١) الفوائد (113).

المبحث الخامس: دلالة الشكر على مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان .

إن مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة: أن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح[1]، وأن العبد لا يكون مؤمنا إلا إذا اجتمعت فيه هذه الخصال، وقد حكى الإجماع عنهم في ذلك وصرح به غير واحد من أهل العلم:

يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : ((وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر))[2].

ويقول الحافظ ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: ((والصواب لدينا في القول: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وعليه مضى أهل الدين والفضل))[3]

وقال الآجري ـ رحمه الله ـ في كتاب الشريعة:((باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل الجوارح، لا يكون مؤمنا إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث))[4]

وهذه الأقوال منهم وغيرها كثير تدل دلالة واضحة أن العمل داخل في

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي(4/ 849)، ورقم (1590).

(٢) انظر: المصدر نفسه (5/ 887)، ورقم (1593).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(1/ 185).

(٤) الشريعة للآجري (119).

مسمى الإيمان في معتقدهم، وأن الإيمان والعمل قرينان لا يصلح كل واحد منهما إلا مع صاحبه[1]؛ فإذا وجد الإيمان وجد العمل،وإذا عدم العمل عدم الإيمان؛ (بل القرآن والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق)[2]

فبناء على معتقد أهل السنة والجماعة من دخول العمل في مسمى الإيمان يمكن القول أن أدلة الشكر العملي ــ وقد سبق تفصيلها ــ تدل على هذه المسألة؛ لأن الشكر من الإيمان بل هو أعلى مقاماته.

كما أن الشكر تندرج فيه جميع العبادات فكلها شكر لله ـ تعالى ـ وهي من خصال الإيمان وشعبه ودلالتها على كون العمل من الإيمان من أظهر ما يكون.

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4/ 839).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (7/ 85).

المبحث السادس: بيان أن الشكر يزيد في إيمان العبد.

إن مما هو مقرر في معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وأن أهله يتفاضلون فيه تفاضلا عظيما، ويكونون فيه درجات بعضها أعلى من بعض، وذلك بحسب ما في قلوبهم من الإيمان بالله، والمعرفة الصادقة، والإخلاص، واليقين(١).

و إن مما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة أن لزيادة الإيمان (٢) أسبابا كثيرة تزيده وتنميه في قلب العبد إذا فعلها ومن ذلك شكر الله على نعمه فهو من العبادات التي إذا قام بها العبد زاد إيمانه وقوي يقينه، وذلك أن الإيمان كما يقول ابن القيم ﵀ ـ (ينبني على الصبر والشكر؛ فنصفه صبر ونصفه شكر؛ فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه)(٣).

ويؤكد الشيخ السعدي ﵀ ـ على أن الإيمان يزيد بشكر الله ـ تعالى ـ وذلك من خلال تأمل الشاكر كثرة نعم الله وآلائه العامة والخاصة التي لا يخلو منها طرفة عين؛ فإن هذا مما يدعوه إلى الإيمان وزيادته.

ولهذا دعا الله ـ عز وجل ـ الرسول والمؤمنين إلى شكره تعالى فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ

---

(١) انظر: كتاب الإيمان لأبي عبيد (32ـ 35)، والدرر السنية (1/ 207).

(٢) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء (183ـ 243).

(٣) انظر: الفوائد لابن القيم (129).

إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[1]؛ فالإيمان يدعو إلى الشكر، والشكر ينمو به الإيمان فكل منهما ملازم وملزوم للآخر[2]

كما أن الشكر لا يكون إلا عن إيمان وثيق بالله ـ تعالى ـ وعن اعتراف بنعمه ـ سبحانه ، وإقرار بأن ما بالعبد من نعمة فإنما هي من الله وحده؛ ولهذا لم يصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ أحدا من خلقه أنه قام بتحقيق هذه العبادة وكمَّلها إلا خيرة خلقه وأكملهم إيمانا كنوح وإبراهيم ومحمد ـ عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم وقد سبق تفصيل ذلك في ذكر شكر الأنبياء والرسل عليهم السلام[3].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الشكر من أهم أعمال القلوب التي هي محل نظر الباري ـ جل وعلا ـ والتي يتفاوت فيها الناس تفاوتا عظيما؛ فالشكر حين يملأ القلوب يجعلها عامرة بالإيمان والأعمال الصالحة.

---

(١) سورة البقرة، آية (172).

(٢) انظر:التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ضمن المجموعة الكاملة له(3/ 114).

(٣) انظر: مبحث نماذج من شكر الأنبياء والرسل عليهم السلام (406).

الفصل الثالث :

ذكر بعض المخالفات العقدية المتعلقة بشكر الله تعالى

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترك الشكر ونسبة النعم لغير الله، حكمه، وآثاره.

المبحث الثاني: عبارات خاطئة متداولة بين الناس في الشكر.

المبحث الثالث: الرد على من زعم أن مذهب أهل السنة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد.

المبحث الرابع: بطلان عقيدة الرافضة في تأدية صلاة الشكر في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المبحث الأول: ترك الشكر ونسبة النعم لغير الله، حكمه، وآثاره.

من أعظم المخالفات التي بليت بها البشرية قديما وحديثا؛ بل وقع فيها أكثر الناس : ترك الشكر، وكفران نعم الله عليهم وهذا ما بينه الله ـ عز وجل في مواضع من كتابه كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[2]

وهذا الذنب العظيم الذي وقع فيه أكثر الناس له صور كثيرة من أعظمها الإشراك بالله ـ تعالى ـ إذ هو أعظم صور الجحود والنكران فالله ـ تعالى ـ خلق الإنسان وأوجده من العدم، وأغدق عليه نعمه ظاهرة وباطنة ليقوم بحقه تعالى ويعبده حق عبادته؛ ولكن أكثر الناس كما ذكر الله ـ تعالى ـ أعرضوا عن شكر الله وجعلوا له أندادا يعبدونهم كما يعبدون الله ويشكرونهم على ما آتاهم الله!! لذا لما سأل الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه ـ النبي ﷺ ـ أي الذنب أعظم عند الله أجاب بقوله :«أن تجعل لله ندا وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[3]

---

(١) سورة البقرة، آية (243).

(٢) سورة يونس، آية(60).

(٣) أخرجه الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(فلا تجعلوا لله أندادا...)، (761)، حديث رقم (4477).

ومن صور إنكار نعم الله وجحدها: إضافة النعم لغير الله تعالى، واستعمالها في معصيته وهذه من المخالفات التي لا حصر لها لذا جاء في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبيه ﷺ ـ ذمها هذه التحذير منها في كثير نصوص فمن ذلك:

1ـ قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] يقول ابن كثير رحمه الله ـ في تفسير الآية :((أي: يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره)).

أقوال المفسرين في المراد بالنعمة التي أنكرها المشركون بعد معرفتهم إياها:

قال بعضهم: هو النبي ﷺ ـ عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه ولم يصدقوه [2]

وقال محمد الأمين الشنقيط رحمه الله ـ:((وقد بين – جل وعلا –: أن بعثة نبيه – صلى الله عليه وسلم – فيهم من منن الله عليهم. كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[3]، وبين في موضع آخر: أنهم قابلوا هذه النعمة بالكفران، وذلك في قوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾[4]))[5]

---

(١) سورة النحل، آية (83).

(٢) انظر: تفسير الطبري (7/ 629).

(٣) سورة آل عمران، آية (164).

(٤) سورة إبراهيم، آية (28).

(٥) أضواء البيان (3/ 299).

وقال بعضهم: بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة ـ أي سورة النحل ـ من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

وقال بعضهم: إنكارهم إياها، أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا(١)

وقال بعضهم: يعرفون نعمة الله في الشدة، ثم ينكرونها في الرخاء(٢)

ومهما يكن من أمر فإن جميع ما سبق ذكره يدل على أن ترك الشكر، ومقابلة النعم بالجحود والنكران إنما هو من صنيع الكافرين الذين يسترون نعم الله ولا يظهرونها، وينسبونها إلى غيره كذبا وزورا وينسون المنعم جل وعلا؛ولذا عَرَّضَ الله بهم في القرآن وذمهم تحذيرا للمؤمنين لئلا يقعوا في جرمهم العظيم.

2ـ قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى ﴾(٣).

ففي هاتين الآيتين يخبر الله ـ عز وجل ـ عن حال الإنسان وحرصه الشديد على متاع الحياة الدنيا، وأنه لا يمل من طلبها، ودعاء ما فيها من الخيرات، ثم أنه إذا أصابته مصيبة في ماله أو بدنه فإنه عند ذلك يستبعد الفرج من الله ويقع في

---

(١) انظر: تفسير الطبري (7/ 629ـ 630).
(٢) انظر: أضواء البيان (3/ 299).
(٣) سورة فصلت، الآيتان (49ـ 50).

المحذور فيقنط من رحمة ربه وهذا ما ذكره الله في قوله: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ ثم تنتقل الآيات لحال أخرى من أحوال هذا الإنسان حين ينعم الله عليه بنعمه بعد حال الضراء التي كان فيها فإنه ينسى ما كان فيه من شدة وضيق ويتنكر لنعم الله عليه وينسى المنعم ـ جل وعلا ـ وينسب ما هو فيه إلى نفسه وهذا هو المذكور في قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى ﴾.

وهذا معنى قول من قال من السلف إن معنى قوله: ﴿ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى ﴾ أي: هذا بعملي، وأنا محقوق به أو أنه يريد من عندي كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما [١]

3ـ عن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال:« هل تدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب »[٢]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (11/ 124)، وفتح المجيد (485)، وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (2/ 216).

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم،(137)، حديث رقم (846)، والإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء،(2/ 245)، حديث رقم (71).

وفي هذا الحديث ذم لمن نسب نعمة نزول المطر إلى الكوكب؛ لما في ذلك من كفر النعمة وعدم شكرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :((وهذا كثير جدا في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشركه به قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقا))(١).

بيان حكم ترك الشكر ونسبة النعم لغير الله:

دلت النصوص السابقة على وجوب الاعتراف بنعم الله وشكره عليها، وأن ذلك من صميم العقيدة، وأن الإخلال بذلك إخلال بالعبادة والتوحيد خصوصا حين تقابل نعم الله بالكفر والجحود وتنسب إلى غيره من الأسباب أو إلى الأشخاص أو غير ذلك متناسين في ذلك المسبب الحقيقي وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي يسر الأسباب ونفع بها! ولا شك أن من فعل ذلك فقد كفر نعم الله، وأشرك به غيره حين نسبها إلى ذلك الغير، ولهذا قطع العلماء بتحريمه:

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : ((وفي هذا الحديث ـ أي حديث خالد بن زيد ـ: أن نعم الله لا يجوز أن تضاف إلا إليه وحده، وهو الذي يحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد))(٢).

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله :((يجب على الإنسان أن لا يضيف نعم الله إلى غيره، ولا يحمدهم عليها؛ بل يضيفها إلى خالقها ومقدرها الذي أنعم بها على العبد بفضله ورحمته))(١)

---

(١) مجموع الفتاوى (8/ 22).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (351).

ألفاظ نسبة النعم إلى غير الله ـ تعالى ـ وحكمها:

لشدة عناية العلماء بهذا المسألة وبيان الحق فيها فقد حذروا من ألفاظ جارية على ألسنة كثير من الناس يستعملونها في مقابلة النعم، أو في مقابلة اندفاع النقم وهي من الألفاظ الشركية المحرمة لما تتضمنه من التنديد بالله ـ سبحانه ـ في نسبة النعم إلى غيره[٢] فمن ذلك:

أ ـ إضافة الشيء إلى سببه، وهذا أمثلته كثيرة في ألفاظ الناس[٣]:

ـ كقول: لولا فلان لم يكن كذا.

ـ وقول: لولا الطبيب لمات المريض.

ـ وقول: لولا قائد المركبة لهلكنا.

ـ وقول: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا.

وقول: هذا مالي ورثته عن آبائي.

وأما حكم هذه الألفاظ وما كان في معناها مما يجرى على ألسنة الناس ففيه تفصيل:

أولا: فإن كان السبب خفيا لا تأثير له إطلاقا كنسبة ما لا يقدر عليه إلا الله إلى غير الله فهو شرك أكبر لاعتقاده أن من نسب إليه السبب متصرف مع الله في

---

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (2/ 930).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (453).

(٣) انظر: فتح المجيد (452ـ457)، و تيسير العزيز الحميد (2/ 1152)، إعانة المستفيد (2/ 201ـ 205)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (445ـ452).

شيء من خصائص الربوبية كمن ينسب شيئاً من ذلك للأولياء أو الموتى والمقبورين الذين يعظمونهم ويدعونهم من دون الله.

وحالهم هذه مثل حال عباد الأوثان الذين كانوا ينسبون حصول النعم إلى آلتهم بقولهم: (هذا بشفاعة آلهتنا)، وقد يكون حال عباد القبور أشد من حال عباد الأوثان؛ لأن المشركين الأولين ما كانوا يعتقدون أن الأصنام تخلق وترزق، وإنما يعتقدون أنها تشفع لهم عند الله كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

أما عباد القبور اليوم فإنهم يقولون بقول المشركين السابقين ويزيدون عليهم أنهم يجعلون للأولياء المقبورين بزعمهم شيئا من خصائص الربوبية وهذا أقبح وأعظم[2]

ثانيا: أن يضيف حصول النعمة أو اندفاع النقمة إلى سبب ظاهر؛ لكن لم يثبت شرعا ولا حسا أنه سبب كنسبة دفع العين إلى الأوتار والتمائم؛ فهذا شرك أصغر[3].

ثالثا: أن يضيف النعمة أو اندفاع النقمة إلى سبب صحيح ظاهر وثابت شرعا أو حسا أنه سبب لكن مع نسيان المسبب الحقيقي وهو الله ـ جل وعلا ـ فهذا أيضا من الشرك الأصغر لأنه (لا يليق بالـمُنْعَم عليه المطلوب منه الشكر أن

---

(١) سورة يونس، آية (18).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (2/ 921ـ 922)، وإعانة المستفيد (2/ 202ـ 203)،و التمهيد لشرح كتاب التوحيد (450)، والمفيد على كتاب التوحيد (217ـ 218).

(٣) انظر: المفيد على كتاب التوحيد (218).

ينسى من بيده الخير كله،وهو على كل شيء قدير، ويضيف النعم إلى غيره؛ بل يذكرها مضافة منسوبة إلى موليها والمنعم بها سبحانه)[1]

وأما إن قال ذلك ونسب النعمة إلى سبب صحيح وظاهر وقصد مجرد الإخبار مع عدم نسيان المنعم الحقيقي وهو الله ـ عز وجل ـ فهذا جائز[2]

ودليل هذا قول ﷺ ـ في عمه أبي طالب:« لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار »[3].

ب ـ نسبة نزول المطر إلى النجوم والأنواء.

وهذا ما يسمى عند العلماء بالاستسقاء بالأنواء[4]: أي نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء.

كقول: مطرنا بنوء كذا وكذا.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (2/ 1158).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد لا بن عثيمين (2/ 314)، والمفيد على كتاب التوحيد(218).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، (1081)، برقم(6208)، والإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب، (3/ 443)، حديث(209).

(٤) الاستسقاء: أي طلب السقيا. والأنواء: جمع نوء وهي منازل النجوم الثمانية والعشرين التي يقارنها القمر في منازله ينزل كل ليلة منها منزلة، يسقط في الغرب كُلَّ ثلاثَ عَشْرَةَ ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلة لها ذلك الوقت من المشرق؛ فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أم مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها؛ فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءا أي: نهض وطلع. انظر: تيسير العزيز الحميد(2/ 915).

وقول: لقد صدق نوء كذا وكذا.

وهذا من اعتقادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام وحذر منها، ونهى عنها وذمَّها أشدَّ الذم لما فيها من نسبة حصول نعمة نزول المطر إلى غير الله من النجوم والكواكب، وهذا مما ينافي توحيد الخالق ـ جل وعلا ـ على ما يأتي بيانه عند ذكر حكم ذلك ومما يدل على ذلك ما يلي:

1ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾[١].

وأولى ما فُسِّرَ به قوله تعالى: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ كما قال بذلك جمع من أهل العلم أي: تجعلون شكر رزقكم وما أنعم به عليكم من نزول المطر أنكم تكذبون وتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا من أعظم الكذب والافتراء على الله[٢].

---

(١) سورة الواقعة، الآيات (75ـ 82).

(٢) انظر: فتح المجيد (345)، وتيسير العزيز الحميد (2/ 916)، الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان(92).

2ـ عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة »[١]

3ـ عن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: « هل تدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب »[٢] .

حكم الاستسقاء بالأنواء

يقسم العلماء الاستسقاء بالأنواء إلى نوعين[٣]:

الأول: أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم وأنه الموجد له ؛ فهذا شرك وكفر أكبر مخرج من الملة، حيث أشرك بالله في ربوبيته لاعتقاده وجود خالق مع الله يخلق ويعطي ويمنع.

الثاني: أن يعتقد أن النوء سبب لنزول المطر، وأن المنزل له هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ فهذا شرك أصغر لكنه وسيلة إلى الوقوع في الشرك الأكبر،

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (934)، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي(6/ 531).

(٢) سبق تخريجه في(478).

(٣) انظر:تيسير العزيز الحميد(2/ 921)، فتح المجيد(350)، وإعانة المستفيد(2/ 32).

وذلك لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولكونه جعل النوء سببا لنزول المطر والله لم يجعله سببا لذلك.

آثار ترك الشكر ونسبة النعم لغير الله:

مما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة أن كل معصية يقع فيها العبادة، ويصرون عليها من غير توبة أن الله قد يبتليهم بآثارها وعواقبها في الدنيا والآخرة، ومن ذلك معصية ترك الشكر، ومقابلة نعم الله بالجحود والنكران، ومنها إضافة نعم الله إلى غيره؛ فإن لها آثارا سيئة وعواقب وخيمة تؤثر في عقيدة العبد وإيمانه، وعلى ما أنعم الله عليه به في حياته الدنيوية، مع ما ينتظره من عواقب في آخرته إن لم يتداركه الله ـ جل وعلا ـ برحمته.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((وما أُتِيَ مَنْ أتي إلا من قِبَل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ ـ بمشيئة الله وعونه ـ إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء...))[1] ومن هذه الآثار على وجه الاختصار:

أولا: بطلان التوحيد أو نقصانه

من خلال ما سبق في حكم ترك الشكر، ونسبة النعم لغير الله يظهر أثر هذه المخالفات في توحيد العبد وإيمانه لاسيما إذا علمنا أن من فعل ذلك فإنه قد وقع في الشرك من جهتين:

الأولى: وقوعه فيما يناقض التوحيد وينافيه بالكلية وذلك حينما اعتقد أن الأسباب التي أضاف إليها حصول النعم تفعل كفعل الله وهذا شرك أكبر في الربوبية كما سبق بيانه.

---

(١) الفوائد (99).

أما إذا اعتقد أنها أسباب لحصول النعم، والله لم يجعلها كذلك فإن هذا الاعتقاد يؤثر على كمال التوحيد الواجب وهو من الشرك الأصغر.

الثانية: من ناحية ترك القيام بالشكر الذي هو العبادة فهذا إخلال بتوحيد العبادة[1]

ثانيا: الكذب في الاعتقاد.

وذلك أن الله ـ سبحانه ـ سمى جحود نعمه، ونسبة نعمة نزول المطر إلى الأنواء كذبا، وهي عقيدة أهل الجاهلية التي أنكرها الله وذمها في قوله: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[2] فقد كانوا ينسبون نزول المطر إلى الأنواء والمطالع، وهذا كذب في الاعتقاد؛ لأن الله هو الذي ينزل المطر وينعم به، وليس النجم فمن نسبه إليه فقد جحد نعمة الله وكذب على ربه ـ سبحانه ـ وهذا من أشد أنواع الكذب وأقبحه يقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [3]

ثالثا: استدراج الله بالجاحدين.

سنة الله في خلقه أنه ـ سبحانه وتعالى ـ إذا أنعم على عباده بنعمه وآلائه فإنه يبقيها عليهم ويحفظها لهم إذا قاموا بشكرها، أما إذا بدلوا نعمة الله كفرا فإن الله

---

(١) انظر: المفيد على كتاب التوحيد (218).
(٢) سورة الواقعة، الآيتان (81ـ 82).
(٣) سورة الزمر، آية (32).

يعاقبهم مقابل نكرانهم للجميل ومكرهم اللئيم وذلك بأن يغدق عليهم من نعمه ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر وهذا هو الاستدراج الذي توعد الله به الجاحدين لنعمه بقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ [١] وجاء عن علماء التفسير عبارات عدة في بيان معنى استدراج الله للجاحدين وكلها متقاربة في معناها :

يقول ابن جرير الطبري إمام المفسرين ـ رحمه الله ـ :((يقول جل ثناؤه: سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون))[٢].

وقيل :((كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة)).

وقيل: ((نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر))[٣].

حتى قال أهل العلم :((إذا رأيت الله يعطي العبد كل ما أحب، وهو مقيم على معاصيه؛ فإنما ذلك استدراج منه له)) [٤] ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ

(١) سورة الأعراف، الآيتان (182ـ 183).
(٢) تفسير الطبري (12/ 202).
(٣) انظر: تفسير البغوي (3/ 308).
(٤) انظر: كتاب فضيلة الشكر (58)

أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [1]

رابعا: زوال النعم وحلول النقم

من فضل الله وكرمه ـ جل وعلا ـ أنه إذا أنعم على عبد نعمة حفظها عليه، ولا يغيرها عنه حتى يكون العبد هو الساعي في تغييرها عن نفسه يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[2] فإذا غير العباد الشكر والطاعة إلى كفر وجحود وعصيان غَيَّرَ الله ـ سبحانه ـ عليهم ما هم فيه من النعم والخيرات؛ فتتحول النعمة إلى نقمة، والمنحة إلى محنة، والصحة والعافية إلى مرض وشقاء.

يقول ابن القيم رحمه الله ـ:((فما حُفِظَتْ نعمة الله بشيء قط مثل طاعته ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس))[3]

ومن تأمل كتاب الله وما قصَّه الله علينا من أحوال الأمم الذين زالت عنهم النعم وحلت بهم النقم وَجَدَ أن سبب ذلك كلِّه إنما هو الجحود والعصيان، وعدم شكر الواحد الديان ـ سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان (44ـ45).

(٢) سورة الرعد، الآية (11).

(٣) بدائع الفوائد (1/ 445).

ومن القصص التي سيقت في القرآن والسنة من أحوال من سبق لأجل العظة والعبرة ممن جرى عليهم التغير والتبديل ما يلي:

1ـ مثل القرية التي كانت آمنة مطمئنة.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾(١) ذهب جمع من العلماء أن هذا المثل مضروب لأهل مكة؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة، والناس يُتَخَطَّفُون من حولها، كما أن من دخلها كان آمنا، وكان يجبى لها ثمرات كل شيء يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، ولكنهم مع إنعام الله عليهم لما رزقهم الله بأعظم النعم وأجلها ألا وهي بعثة رسول الله ﷺ ـ جحدوا نعم الله واستعصوا على نبي الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبدلوا نعمة الله كفرا عند ذلك جرت عليهم سنة الله في الجاحدين فَبُدِّلَتْ تلك النعم بأضدادها فحل بهم الخوف والهلع بدل الأمن والاطمئنان ومن ذلك خوفهم الشديد من النبي ﷺ ـ وأصحابه رضي الله عنهم ـ بالمدينة فهاهي جيوشهم وسراياهم تهددهم في عُقْر دارهم ـ مكة ـ حتى فتحها الله ـ عز وجل للمؤمنين، ومكنهم من أهل مكة.

وحل بهم الجوع والقحط بدل تلك الأرزاق، ورغد العيش الذي كانوا ينعمون به، وذلك أنهم لما خالفوا النبي ـ ﷺ ـ ولم يجيبوه فيما أراد دعا عليهم بسبع كسبع يوسف ـ عليه السلام ـ فأصابتهم سنة شديدة أذهبت كل شيء حتى أكلوا الجلود، والعظام والميتة من شدة الجوع، وفي هذا أعظم العبر والعظات

---

(١) سورة النحل، آية (112).

لكل صاحب نعمة ليقوم بشكر الله على ما أنعم إن أراد دوام نعم الله عليه وبقاءها(١).

2ـ قصة سبأ يقول سبحانه فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(٢)

3ـ قصة أصحاب الجنة يقول سبحانه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (2/ 1656ـ 1657)، و أضواء البيان (2/ 456).

(٢) سورة سبأ، الآيات (15 ـ 19).

قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

4ـ وفي السنة قصة الأبرص والأقرع والأعمى من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: « إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأُعْطِيَ لونا حسنا وجلدا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل – أو قال البقر، شك إسحاق – إلا أن الأبرص، أو الأقرع، قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملا، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وَوَلَّدَ هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا

(١) سورة القلم، الآيات (17ـ 33).

واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرا، أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصَ يَقْذَرُكَ الناس؟ فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا، فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فو الله لا أجْهَدُكَ اليوم شيئا أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك »[1]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص و أعمى وأقرع في بني إسرائيل (583)، حديث رقم (3464)، والإمام مسلم، كتاب الزهد(18/ 398ـ 399)، حديث رقم (2964).

المبحث الثاني: عبارات خاطئة متداولة بين الناس في الشكر.

لقد حمى الله حمى التوحيد وسد كل باب يؤدي إلى الإخلال به حتى في الألفاظ والعبارات المفضية إلى الشرك، أو فيها إيهام وعدم وضوح ليبقى مصون الحمى بعيدا عن كل ما يبطله، أو ينافي كماله [1] وفيما يلي سأذكر ما وقفت عليه من عبارات الناس في موضوع عبادة الشكر، وما يستعمله الناس في شكر بعضهم لبعض:

1ـ عبارة:(قول العبد للآخر لك خالص شكري وتقديري)

وهذه العبارة ترد كثيرا في نهاية الرسائل والخطابات [2]، وفي مقدمات الرسائل العلمية في موضع الشكر والتقدير [3] فلابد من الوقوف على حكمها، ومعرفة أقوال أهل العلم فيها!! لذا أقول وبالله استعين:

لقد تضاربت الأقوال في هذه العبارة، وتباينت خصوصا من العلماء المعاصرين إذ أني لم أقف على قول من أقوال المتقدمين بخصوصها والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنها عبارة لم يتلفظ بها المتقدمون لذا يمكن القول أن الأقوال فيها انقسمت على قولين:

القول الأول: قول من يرى عدم جواز هذه العبارة وما كان مثلها كقول:

---

(١) انظر: دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس (60).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (18/ 153)، الفتوى رقم (12725)، و (21/ 128)، الفتوى رقم (13604).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الأشعري ـ رسالة لأهل الثغر (13)، و العواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (1/ 140).

(أزجي لك خالص شكري) و(لك خالص تحياتي) و(لك خالص الرجاء والتعظيم) ونحو ذلك من العبارات.

وعللوا عدم الجواز بقولهم:

إن الشكر عبادة لله ـ عز وجل ـ والعبادات من الدين، والدين الخالص لا يكون إلا لله ـ تعالى ـ لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [١] فبناء على ذلك قالوا: لا يجوز أن يقال لأحد: لك خالص شكري لأنَّ خالص الشكر لله سبحانه وتعالى، أو: لك خالص تحياتي. مع خالص تحياتي أو: خالص تقديري. هذه كلها لله – عز وجل –، خالص التحيات وخالص التقدير والقدر والتعظيم، وخالص الرجاء، و كأن يقول: وفيك خالص رجائي، فالرجاء والشكر من العبادات وخالصها لله – عز وجل – ؛فلا يجوز أن يقول القائل مثل ما هو شائع في كثير من الرسائل والمكاتبات : وتقبل خالص شكري وتقدري؛ لأن هذا إنما هو لله – عز وجل – ؛فالشكر الخالص لله تعالى.

وإنما يقال للبشر: ولك عظيم شكري، أو يقال له م: مع عظيم شكري لك، أو مع جزيل شكري، ونحو ذلك[٢].

وذهب إلى هذا القول الشيخ صالح آل الشيخ، والشيخ عبدالله السعد [٣]، والشيخ عبدالكريم الخضير في موقعه لما سئل عن هذه العبارة يؤكد على أن

---

(١) سورة الزمر، الآيتان (2 ـ 3).

(٢) انظر: إتحاف السائل لما في الطحاوية من المسائل للشيخ صالح آل الشيخ (2/ 1036).

(٣) من شريط:(وجوب تعلم التوحيد والدعوة إليه) انظر: موقع شبكة الدفاع عن السنة.

الإخلاص ينبغي أن يكون لله وحده، لكنه استثنى إن أريد بالإخلاص إخلاص نسبي بمعنى: أنه لا يشوبه شيء مما يخالف التحية فقال: الكلام صحيح من هذه الحيثية لكن يبقى الإخلاص ينبغي أن يكون لله وحده[1]

القول الثاني: قول من قال: إنه لا بأس بقول هذه العبارة، وإنه لا شيء فيها.

ومما جاء في تعليل هذا الحكم:

أنهم: قالوا: الذي يظهر أن مراد القائل لك خالص شكري أي الصادق الذي هو ضد المغشوش، أو الزائف، والذي ليس فيه مجاملة، وهذا لا محذور فيه.

وذهب إلى هذا القول جمع من علمائنا المعاصرين على رأسهم الشيخان الجليلان ابن باز وابن عثيمين عليهما ـ رحمة الله تعالى.

وذلك أنه سئل الإمام ابن باز ــ رحمه الله ــ عن عبارة: خالص شكري لك ؟

فأجاب: لا شيء فيها، ولا بأس[2].

وسئل ابن عثيمين رحمه الله ـ أيضا سؤالا نصه: بعض الخطابات في نهايتها يقول: ولكم خالص تحياتي أو خالص شكري، ما حكم هذه الكلمة؟

فأجاب بقوله:((ليس فيها شيء؛ لأن المراد بخالص التحيات: التحيات الخالصة التي لا يشوبها رياء ولا سمعة، والله عز وجل قال: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [3]، ويقول عز وجل: ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً

(١) انظر: موقع الشيخ عبدالكريم الخضير على الشبكة العنكبوتية.
(٢) انظر: مسائل الإمام ابن باز جمع ابن مانع (239).
(٣) سورة النساء، آية (86).

مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[١]، ولا يشك الإنسان إذا قال: لكم خالص تحياتي، أنه يريد التحيات التي لا تصلح إلا لله عز وجل، كما في قوله: (التحيات لله والصلوات والطيبات) هذا لا يطرأ على باله أبداً، والكلمات التي اعتادها الناس ولم يطرأ على بالهم أنها من المحظور وهي بنفسها ليست محظورة لا ينبغي أن نؤولها على الشيء المحظور بل ندع الناس وما عرفوه باصطلاحهم))[٢].

الرأي المختار في هذه المسألة:

الذي أراه ـ والعلم عند الله ـ أنه ينبغي الابتعاد عن الألفاظ التي فيها إيهام أبعد عن الشبهة لاسيما أنا لسنا بملزمين بأمثال هذه العبارات، كما يمكن التعبير بغيرها من الألفاظ التي تعبر عن معناها من غير إيهام كعبارة (لك عظيم شكري)و عبارة (مع جزيل شكري)

2ـ عبارة:(لا شكر على واجب)

هذه العبارة اعتاد كثير من الناس قولها ردا على من يقوم بشكرهم على عمل قاموا به والذي يظهر أن قولها مخالف لما دلت عليه النصوص وذلك من وجهين:

الأول: دلت النصوص الكثيرة جدا أن الله يشكر عباده إذا أحسنوا على فعل الواجب والمستحب فهو الشكور الغفور سبحانه وتعالى.

الثاني: أن قول: لا شكر على واجب معارض لقوله صلى الله عليه وسلم: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » ؛ لأن معنى (لا شكر على واجب) أي أن الذي عمل واجبا لا يستحق الشكر وهذا لا يصح لما دل عليه الحديث.

(١) سورة النور، آية (61).

(٢) لقاء الباب المفتوح (20/ 205).

فبناءً على ذلك فهذه العبارة لا تصح فيجب تركها وإبدالها بما وردت به السنة في حق من دُعِيَ له أو شُكِرَ بأن يؤمن على دعاء الداعي، أو يقول: جزاك الله خيرا فمن قالها فقد أبلغ في الثناء كما ورد في الأحاديث والله أعلم.

المبحث الثالث:الرد على من زعم أن مذهب أهل السنة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد.

ردُّ هذا الزعم وبيان خطأ من حكاه عن أهل السنة والجماعة كفانا إياه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ حيث قال في رده على ابن المرحل[1]:((هذا المذهب المحكي عن أهل السنة خطأ والنقل عن أهل السنة خطأ...))

ثم بين رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بقوله: ((فإن مذهب أهل السنة: أن الشكر يكون بالاعتقاد، والقول والعمل))

ثم ذكر دلالة الكتاب والسنة على أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل فمن ذلك:

1ـ قوله تعالى:﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [2]

2ـ واستدل بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله لما قام حتى تورمت قدماه؛ فقيل له أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:

---

(١) هو محمد بن عمر بن مكي أبو عبدالله صدر الدين ابن المرحل المعروف بابن الوكيل، شاعر ومن العلماء بالفقه، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق سبع سنين، قال ابن حجر: كان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه، وصنف الأشباه والنظائر في الفقه الشافعي، ولد سنة (665)، وتوفي سنة (716). انظر: الأعلام للزركلي(6/ 314)، ومما يقال له: ابن المرحل غيره اثنان مشهوران وهما: عبداللطيف بن عبدالعزيز، ومالك بن عبدالرحمن المالقي.انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة(2/ 390).

(٢) سورة سبأ، آية (13).

« أفلا أكون عبدا شكورا»[١].

ودلالة الآية والحديث ظاهرة وبينة حيث سمي فيهما العمل شكرا مما يدل على أن الشكر يكون بالعمل كما يكون بالقلب والقول وسبق بيان ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة في مبحث أركان الشكر

ثم استدل شيخ الإسلام بما صرح به العلماء المعروفين حيث قال:((قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قلت: وباب سجود الشكر في الفقه أشهر من أن يذكر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن سجدة سورة ص « سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرا »[٢]))[٣] .

وهذا الجواب المفصل من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - يكفي ويشفي من أراد الحق والعمل به وكما يقال: لا هجرة بعد الفتح والله أعلم .

(١) سبق تخريجه ص (345).

(٢) الحديث أخرجه النسائي في السنن، باب سجود القرآن السجود في ص، (1/ 159)، والطبراني في المعجم الكبير(12/ 34)، برقم(12386)، وعبدالرزاق في المصنف(3/ 337)، برقم(5870)، والدارقطني في السنن (2/ 269)، برقم (1516)، والحديث حكم عليه الألباني بالصحة. انظر: صحيح الجامع(1/ 686)، ورقم (3682).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (11/ 80).

المبحث الرابع: بطلان عقيدة الرافضة في تأدية صلاة الشكر في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

من قبائح الرافضة ومن عقائدهم الباطلة التي خالفوا بها الشرع والعقل والفطر المستقيمة موقفهم من الصحابة ـ ﵃ ـ فجعلوا مكان حبهم والثناء عليهم وتوليهم والترضي عنهم البغض والكراهية والسب والشتم؛ بل حتى أنهم غلوا في هذا وجعلوا ما ابتدعوه من قبائح في حق أصحاب النبي ﷺ ـ كاتهام بالخيانة والكفر والردة جعلوا كل ذلك من تمام الاعتقاد بل لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة عندهم إلا بعد التبرؤ من أصحاب النبي ﷺ ـ وخاصة الخلفاء الثلاثة: أبا بكر وعمر وعثمان وأمهات المؤمنين.

ومعتقدهم هذا في الصحابة لا يستحون من الإفصاح عنه وذكره قديما وحديثا وهو مسطور ومثبت في الكتب المعتمدة لديهم [1]، ونقله عنهم العلماء المنصفون من علماء الإسلام المتقدمين والمتأخرين الذين عرفوهم وعلموا حقيقة معتقدهم واطلعوا على أصول مراجعهم وقاموا بالرد عليهم[2].

فليس بمستغرب بعد ذلك أن يكون اليوم الذي قتل فيه عمر الفاروق ـ ﵁ ـ يوم شكر لدى الرافضة يؤدون فيه بزعمهم صلاة الشكر ويحتفلون بمجيئه في كل عام، ويؤكد ذلك ما جاء في مختصر التحفة الاثنى عشرية قوله:((إن الشيعة لم

---

(١) مثل كتاب الكافي لأبي جعفر الكليني، والأنوار النعمانية لنعمة الله الموسوي الجزائري، كشف الأسرار للخميني.

(٢) مثل منهاج السنة النبوية لابن بيمية، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز(467ـ 490)،وكتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني، ورسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

يعتقدوا بدعية صلاة الشكر يوم قتل عمر ـ رضي الله عنه ـ، وهو اليوم التاسع من ربيع الأول))(1)

وبيان بطلان عقيدة الرافضة في ذلك يظهر من خلال الأوجه التالية:

أولا: منزلة قاتل عمر واليوم الذي قتل فيه عندهم.

أما موقفهم من الشقي المجوسي الكافر الذي قتل عمر بن الخطاب ـ رضي الله ـ وهو أبو لؤلؤة المجوسي ـ غلام المغيرة بن شعبة ـ فهو من المواقف التي تبين حقيقة معتقد الرافضة وخبث نواياهم؛ وذلك أنهم يعظمون ذلك الأثيم ويُجِلُّونه، ويرون أنه من أفضل خلق الله، وأنه نال المنزلة العالية بقتله للفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ، ويترحمون عليه، ويسمونه (بابا شجاع الدين)(2).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يعدد بعض حماقات الرافضة:((ومنهم من يعظم أبا لؤلؤة المجوسي الكافر الذي كان غلاما للمغيرة بن شعبة لما قتل عمر، ويقولون: واثارات أبي لؤلؤة؛ فيعظمون كافرا مجوسيا باتفاق المسلمين؛ لكونه قتل عمر رضي الله عنه))(3)

وفي هذا العصر ظهر تعظيمهم له إذ جعلوا له ضريحا في مدينة (كاشان) الإيرانية، وجعلوا له مزارا ومقاما جددوا بناءه عام (1408)(4).

---

(1) مختصر التحفة الاثنى عشرية للألوسي (296).

(2) انظر: الكنى والألقاب للقمي (55/2).

(3) منهاج السنة النبوية (1/ 32).

(4) انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين للشيخ سليمان بن سالم السحيمي (398)، عقائد الشيعة لمحمود العسقلاني (90).

وكل هذا منهم ـ عليهم من الله ما يستحقون ـ يبين صدق ما ذكره العلماء من كونهم (أعظم ذوي الأهواء جهلا وظلما يعادون أولياء الله ـ تعالى ـ بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين)(١).

وأما اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فله مكانة عظيمة أيضا عندهم؛ فقد جعلوه من أعظم أعيادهم، فيسمونه بالعيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى ويوم البركة والتسلية(٢) ويوم البَقْر(٣).

ومن تعظيمهم ليوم مقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ أنهم يجعلون له فضائل وخصائص يتلقفونها من خلال روايات مختلقة مكذوبة يزعمون أن الله أبلغ رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن طريق الوحي أن عمر عدوه وعدو أهل بيته ـ وحاشاه رضي الله عنه أن يكون كذلك ـ سيهلك يوم التاسع من ربيع الأول فليجعل من هذا اليوم عيدا يحتفل به.

---

(١) منهاج السنة النبوية (1/ 13).

(٢) انظر: مختصر التحفة الاثنى عشرية (208)، والسيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة للألوسي (619)، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ـ عرض ونقد ـ (2/ 751)، و الشيعة هم العدو فاحذرهم (30).

(٣) وهذا من نقص عقولهم إذ يسمون ذلك اليوم الذي يعد يوم فاجعة لجميع الأمة بيوم (البَقْر) وذلك أنهم يصنعون حلوى، ويجعلون في جوفها دهنا، ويزعمون أنه عمر رضي الله عنه ـ ثم يبقرون جوفه ويأكلون، وحكي أنه جاء أعرابي وأكل منه وقال : رحم الله عمر ما أطيبه حيا وميتا. انظر: الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة لمحمد الصديقي(331).

ثانيا:ما يعتمد عليه الرافضة في احتفالهم بيوم مقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ:

يعتمد الرافضة في احتفالهم بيوم مقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ برواية يختلقونها عن الإمام العاشر عندهم يرويها ابنه الحسن العسكر جاء فيها بزعمهم أنه قال:

حدثني أبي عليه السلام عن حذيفة بن اليمان أنه دخل في مثل هذا اليوم التاسع من شهر ربيع الأول على رسول الله. قال حذيفة: فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام مع ولده الحسن والحسين عليهما السلام مع رسول صلى الله عليه وسلم وآله يأكلون والرسول صلى الله عليه وسلم يتبسم في وجوههما ويقول كلا هنيئاً مرئياً لكما ببركة هذا اليوم وسعادته فإنه اليوم الذي يقبض الله فيه عدوه وعدو جدكما ويستجيب دعاء أمكما، فانه اليوم الذي يكسر فيه شوكة مبغض جدكما وناصر عدوكما، كلا فإنه اليوم الذي يفقد فيه فرعون أهل بيتي وهامانهم وظالمهم وغاصب حقهما، كلا فانه اليوم الذي يفرح الله فيه قلبكما وقلب أمكما.

قال حذيفة قلت: يا رسول الله في أمتك وأصحابك من يهتك هذا الحرم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، جبت من المنافقين يظلم أهل بيتي ويستعمل في أمتي الرياء، ويدعوهم إلى نفسه، ويتطاول على الأمة من بعدي، ويستجلب أموال الله من غير حلها وينفقها في غير طاعة ويحمل على كتفه درة الخزي، ويضل الناس عن سبيل الله، ويحرف كتابه، ويغير سنتي، ويغصب إرث ولدي وينصب نفسه علَماً، ويكذبني ويكذب أخي ووزيري ووصيي وزوج ابنتي، ويتغلب على ابنتي، ويمنعها حقها وتدعو فيستجاب لها الدعاء في مثل هذا اليوم.

قال حذيفة: قلت يا رسول الله ادع الله ليهلكه في حياتك قال يا حذيفة لا أحب أن اجترئ على الله لما قد سبق في علمه لكني سألت الله عز وجل أن

يجعل لليوم الذي يقبضه فيه إليه فضيلة على سائر الأيام، ويكون ذلك سنة يستن بها أحبائي وشيعة أهل بيتي ومحبوهم.

فأوصى الله عز وجل إليّ فقال يا محمد انه قد سبق في علمي أن يمسك وأهل بيتك محن الدنيا، وبلاؤها، وظلم المنافقين والمعاندين من عبادي، ممن نصحتهم وخانوك.. يا محمد أنا أنتقم من الذي يجترئ علي، ويستترك كلامي ويشرك بي ويبعد الناس عن سبيلي وينصب نفسه عجلاً لأمتك، ويكفر بي إني قد أمرت سكان سبع سموات من شيعتكم ومحبيكم أن يتعيدوا في هذا اليوم الذي أقبضه إليّ فيه، وأمرتهم أن ينصبوا كراسي كرامتي بازاء بيت المعمور، ويثنوا علي ويستغفروا لشيعتكم من ولد آدم، يا محمد وأمرت الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام من أجل ذلك اليوم ولا اكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك ولوصيك.

يا محمد إني جعلت ذلك عيداً لك ولأهل بيتك وللمؤمنين من شيعتك وآليت على نفسي بعزتي وجلالي وعلوي في رفيع مكاني أن من وَسَّع في ذلك اليوم على أهله وأقاربه لأزيدنّ في ماله وعمره، ولأعتقنه من النار ولأجعلنّ سعيه مشكوراً، وذنبه مغفوراً، وأعماله مقبولة.

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فدخل بيت أم سلمة فرجعت عنه وأنا غير شاك في أمر الشيخ الثاني حتى رأيته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وقد فتح الشر، وأعاد الكفر والارتداد عن الدين وحرف القرآن))[1]

---

(١) انظر: الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (1/ 108ـ 111).

ثالثا:بيان بطلان ما يعتقده الرافضة في يوم مقتل عمر رضي الله عنه.

من خلال الرواية الواردة في شكر الرافضة في اليوم الذي قتل فيه عمر - رضي الله عنه - يظهر للمتأمل أدلة كثيرة جدا تدل على بطلان ما يعتمد عليه الرافضة في تعظيمهم ليوم مقتل عمر رضي الله عنه - بل بطلان عقيدتهم من أساسها لا سيما في موقفهم من أصحاب النبي. صلى الله عليه وسلم - ولست بصدد بيان بطلان عقائد الرافضة والرد عليهم في كل ذلك فقد كفاني بذلك علماء أجلاء من علماء أهل السنة والجماعة[1]، وإنما القصد هنا ذكر ما يدل على بطلان عقيدة الرافضة في جعلهم يوم استشهاد عمر رضي الله عنه - يوم شكر وفرح وسرور، وبيان أن كل ما يقومون به في ذلك اليوم باطل ومحدث لا أصل له في شريعة الإسلام والذي سيظهر من خلال الوجوه التالية:

1- أن هذه الرواية التي يستند إليها الرافضة في بدعتهم هذه والتي ساقوها من غير سند رواية مختلقة لا أصل لها يدل على ذلك ركاكة ألفاظها، وبطلان أغراضها؛ فبمجرد أن يتأملها المؤمن يوقن أنها كذب وافتراء جاءت على طريقة الرافضة عند ذكرهم لحججهم الباطلة فهم إما أن يحتجوا بقصص مكذوبة، أو أشعار أو منامات؛إذ لا علم لهم فضلا أن يكون لديهم حجة معتبرة.

---

(١) كالحافظ أبي نعيم الأصبهاني في كتابه الإمامة والرد على الرافضة، وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابيه منهاج السنة والصارم المسلول على شاتم الرسول، ورسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((... ولكن الرافضة غالب حججهم أشعار تليق بجهلهم وظلمهم، وحكايات مكذوبة تليق بجهلهم وكذبهم، وما يُثْبِت أصول الدين بمثل هذه الأشعار إلا من ليس معدودا من أولي الأبصار))[١]

ويقول شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ـ في حكم من اعتقد صحة أمثال هذه الروايات المكذوبة:((ومن اعتقد منهم صحة هذا فقد هلك إذ فيه اتهام المعصوم قطعا... ونقص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كفر))[٢].

2ـ كما أن أمثال هذه الرواية المختلقة فيها كذب على الله ـ عز وجل ـ وكذب على رسوله صلى الله عليه وسلم ـ وهذا من أشد أنواع الكذب قبحا وتحريما لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[٣] ومن استحل ذلك فقد كفر[٤].

3ـ أن ما جاء في رواية الرافضة في فضيلة مقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ يخالف ما جاء من الآيات والأحاديث التي تدل على أفضلية الصحابة وعدالتهم واستقامتهم على الدين كقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ

---

(١) منهاج السنة النبوية (2/ 564).

(٢) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (1605).

(٣) سورة الأنعام، آية (21).

(٤) مرجع سابق (1605).

فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2]

ولاسيما أن عمر رضي الله عنه ـ من العشرة المبشرين بالجنة وثاني الخلفاء الراشدين الذين أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ـ بالتمسك بهديهم، والاقتداء بهم كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[3]، وقول صلى الله عليه وسلم ـ:«اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر،

---

(١) سورة الفتح، آية (29).

(٢) سورة التوبة، آية (100).

(٣) أخرجه ابن ماجه، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (28/1)، حديث(42)، وأبو داود في السنن، كتاب السنة، باب لزوم السنة (4/ 201)، حديث (4607)، والإمام أحمد في المسند من حديث العرباض بن سارية في مسند الشاميين(6/ 83)، حديث رقم (17144)، والحاكم في المستدرك(1/ 174) حديث رقم (329) وقال عنه:(حديث صحيح ليس له علة)، ووافقه الذهبي، وأخرجه البغوي في شرح السنة (1/ 205) حديث رقم(102)، وقال عنه:(هذا حديث حسن)، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع(1/ 499) حديث رقم(1184).

وعمر»[١] واعتقاد ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ الصحيحة المتواترة كفر بالله وتكذيب له ولرسوله صلى الله عليه وسلم[٢].

4ـ أن في رواية الرافضة المكذوبة رميا للنبي ـ ﷺ ـ بالجبن والخور والضعف في الدين؛ فكيف يعلم أن أحدا سيفعل هذه الأفاعيل في أهل بيته بل إنه سيعتدي على أقرب الناس إليه ابنته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ، وأنه سيمنعها حقها حتى أنها تضطر إلى أن تدعو عليه ثم لا يملك لهم، ولا لبنته شيئا، ولا يتمكن بأن يصرح لهم باسمه، ويسلك في ذلك مذهب التقية خوفا من سطوة عمر وبطشه، وحاشاه عليه ـ الصلاة والسلام ـ أن يكون كذلك وهو أشجع الناس وأقوهم، وقبح الله قوما وصفوه نبيهم بغير وصفه الثابت [٣].

5ـ كما يدل على بطلان ما تحتج به الرافضة في رواية يوم مقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ ما جاء فيها(أن الله قد أمر الكرام الكاتبين يوم قتل عمر أن يرفعوا الأقلام ثلاثة أيام عن جميع الخلائق فلا يكتبون ذنبا على أحد) [٤] وقول هذا واعتقاده من سخافات العقول وزيغ القلوب فمثل هذا لم يثبت في يوم مقتل أشد أعداء الله ـ

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما كليهما ـ (5/ 569)، حديث رقم (3662)،وقال عنه أبو عيسى:(هذا حديث حسن، والإمام أحمد في المسند(9/ 74) برقم (23305) من حديث حذيفة بن اليمان، والبغوي في شرح السنة (14/ 101)، حديث (3895)، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع(1/ 254) وحديث (1142).

(٢) انظر: رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب (1608).

(٣) المصدر نفسه (1605).

(٤) انظر: مختصر التحفة الاثنى عشرية(296).

عز وجل ـ كفرعون ومن كان مثله في الطغيان والضلالة فما لهؤلاء القوم لا يفقهون.

ثم أي دين هذا الذي يُسْمَح فيه لأتباعه فترة من الزمن أن يفعلوا ما أراودا من الذنوب والمعاصي حتى لو كانت شركا بالله أو سفكا للدماء أو فسادا في الأرض فهذا لا يقوله إلا أمثال هذه الطائفة [١] المخذولة التي(ليس لها عقل صريح، ولا نقل صحيح، ولا دين مقبول، ولا دنيا منصورة)[٢].

6ـ أنه لم ينقل عن أحد من آل البيت أنه احتفل بذلك اليوم كما تزعمه الرافضة وليس من دين الله اتخاذ موت الأنبياء والخلفاء مأتماً ولا أفراحاً بل كان آل البيت يكنون المحبة لأبي بكر وعمر ويرون أنهما أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وكذلك سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وما هذه الرواية التي أوردها الرافضة في ذلك إلا كذباً وبهتاناً وافتراء على آل البيت وهم جميعاً أبرياء من ذلك كله[٣].

7ـ مما يدل على بطلانه وكذب الرافضة في ذلك هو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن استشهاده في التاسع من ربيع الأول كما تزعم الرافضة، بل كان في ذي الحجة من عام 23 من الهجرة[٤].

وهذا يدل على حقيقة ما ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ وما هم فيه من الكذب والجهل والافتراء إذ قال:((والقوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات، يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء

(١) انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين (404).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/ 352ـ 353).
(٣) مرجع سابق (404).
(٤) المصدر نفسه (405).

بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلا بعد جيل))[1].

8ـ ثم يقال لهم زيادة على ما سبق في مسألة تأديتهم لصلاة الشكر في يوم مقتل عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه لا يوجد في الشرع صلاة تسمى بصلاة الشكر، وهذا من إحداث الرافضة وابتداعهم، وقد يكون هذا فيه مشابهة لصلاة الشكر عند بعض فرق النصارى، أما الشريعة الإسلامية على القول الراجح من أقوال العلماء أنه لا يوجد فيها صلاة تسمى بصلاة الشكر وقد ذكر هذا غير واحد من العلماء المعتبرين من علماء الإسلام:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:((... والسجود المجرد لا يسمى صلاة لا مطلقا ولا مقيدا، ولهذا لا يقال: صلاة التلاوة، ولا صلاة الشكر)) [2] وقوله هذا بناء على أن الوارد في الشكر سجود الشكر، أما صلاة الشكر فلا أصل لها، وأما الصلاة التي صلاها الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فهي صلاة الضحي كما صرحت بذلك أم هانئ [3] في رواية مسلم للحديث [4]، وهي راوية الخبر وأدرى بمأخذه من غيرها.

---

(١) منهاج السنة النبوية (6/1).

(٢) مجموع الفتاوى (21/ 164).

(٣) قال عنها الذهبي (السيدة الفاضلة أم هانئ بنت عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمية، واسمها: قيل فاختة، وقيل: هند ، تأخر إسلامها رضي الله عنها إلى عام الفتح، وعاشت إلى بعد سنة خمسين قال الذهبي: (دخل النبي صلى الله عليه وسلم منزلها يوم الفتح فصلى عندها ثمان ركعات ضحى. انظر: سير أعلام النبلاء(3/ 535) والإصابة في تمييز الصحابة (8/ 256).

(٤) حيث جاء فيه أنها قالت:(ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي(4/ 25) حديث رقم (336).

وجاء في حاشية الشرواني على تحفة المحتاج قوله:((...وأنه ليس لنا صلاة تسمى صلاة الشكر))[١]

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ـ لما سئل عن صفة صلاة الشكر:

((لا أعلم أنه ورد شيء في صلاة الشكر، وإنما الوارد في سجود الشكر))[٢].

وقال في موضع أخر:((ما نعلم في الشرع صلاة يقال لها صلاة الشكر))[٣].

وكذلك هو قول ابن عثيمين رحمه الله ـ لما سئل هل في شريعتنا صلاة تسمى صلاة الشكر أجاب بقوله:((لا أعلم في السنة صلاة تسمى صلاة الشكر ولكن فيها سجوداً يسمى سجود الشكر))[٤].

وبهذه الردود تتضح ـ بإذن الله ـ المحجة، وتستبين سبيل المجرمين، وأن كل ما ذكره الرافضة حول مقتل عمر رضي الله عنه ـ من عقائد أو عبادات، أو أعياد باطل لا أصل له، وليس هو من شريعة الإسلام في شيء، وإنما هو من ابتداعهم، وكيدهم للإسلام وأهله، ومن حقدهم على الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الذي قضى على مملكة المجوس وعباد النيران، وكل هذا والله لا ينزل قدره ومنزلته في قلوب عباد الله فقد كان إسلامه عزا للإسلام والمسلمين، وخلافته نصرا، ووفاته فجيعة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ـ أجمعين، ورضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين والله أعلم.

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج (3/ 456).
(٢) مجموع فتاوى ابن باز (11/ 424).
(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز بترتيب وإشراف محمد الشويعر(10/ 464).
(٤) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (6/ 17)

الخاتمة

وتشتمل على:

أهم النتائج والتوصيات

أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره أن منَّ علي بفضله وتوفيقه بإتمام هذا البحث، وفي أثناء دراستي له توصلت إلى نتائج متعددة خلاصتها ما يلي:

1ـ أن علم الأسماء والصفات هو أجل العلوم وأشرفها فعليه تنبني جميع مطالب الرسالة، وأنه لا يستقيم إيمان العبد، ولا تكمل له عبادة حتى يكون على علم بأسماء الله وصفاته.

2ـ أنه يجب على كل من أراد النجاة لنفسه والسلامة من الضلال أن يتمسك بمذهب أهل السنة والجماعة في جميع مسائل الاعتقاد المبني على الكتاب والسنة، ومن ذلك مذهبهم في أسماء الله وصفاته؛ إذ أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول ﷺ ـ لا يتجاوزن الكتاب والسنة.

3ـ أن من القواعد المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة أن أسماء الله ـ تعالى ـ توقيفية فلا يثبت منها إلا ما دل عليه الكتاب والسنة.

4ـ وجوب الإيمان بالاسمين الكريمين ـ الشكور والشاكر ـ وإثباتهما لله ـ تعالى ـ لدلالة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة عليهما.

5ـ أن أسماء الله كلها حسنى قد بلغت في الحسن غايته، ومن حسنها أنها ليست مترادفة حتى تلك الأسماء التي قد اشتقت من صفة واحدة، وقد تتفق في أصل معناها مثل الشكور والشاكر فإنها لا تعدُّ اسماً واحدا بل كل منهما يعد اسما مستقلا، له ما يختص به عن غيره.

6ـ أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، أنه يجب الإيمان بأسماء الله كلها، وصفاته، والإيمان بأحكام الصفات، فالاسم عند أهل السنة والجماعة لا يتم الإيمان به إلا بإثبات ثلاثة أركان:

1ـ إثبات الاسم.

2ـ إثبات ما دل عليه من معنى وهي الصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

3ـ إثبات الأثر الذي ترتب عليه.

7ـ أن مما توصلت إليه أن الاقتران بين أسماء الله عز وجل وصفاته سبحانه وختم الآيات بها له دلالاته العظيمة وأسراره الجليلة، وأن معرفة ذلك من تدبر آيات الله الذي رغب الله فيه في كتابه، وأن التوفيق له والوقوف عليه هو من رحمة الله بخلقه وجوده وكرمه .

8ـ أن مما قرره أهل السنة والجماعة:أن كل اسم من أسماء الله جل وعلا يتضمن صفة كمال تثبت لله تبارك وتعالى، فإذا اقترن باسم آخر من أسمائه تعالى كان له سبحانه ثناء من كل اسم منهما باعتبار انفراده، وثناء من اجتماعهما، وذلك قدر زائد على مفرديهما، وكذلك الاقتران بين صفات الله عز وجل.

9ـ أن من الفروق بين اسمي الجلالة الشكور والشاكر: أن الشكور أبلغ من الشاكر لأن الشاكر على وزن (فاعل)، والشكور على وزن (فعول) بصيغة المبالغة أي أعظم شكراً وهذا مبني على قول أهل اللغة زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى.

10ـ أن صفة الشكر من الصفات الثابتة لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة، وإجماع أهل الإيمان، ولم ينكر ذلك إلا شواذ الناس من أهل الطوائف.

11ـ أن صفة ال شكر من الصفات التي تكون ذاتية وتكون فعلية، فهي من الصفات التي إذا نظرنا لأصلها فهي صفة ذاتية، وإذا نظرنا لأفرادها فهي صفة فعلية كصفة الكلام والخلق والرَّزق.

12. من المسائل المتعلقة بصفة الشكر وشاء الله الهداية والتوفيق لها ما يلي:

ـ أنه يشرع التوسل بصفة الشكر كما يشرع التوسل بأسمائه وصفاته.

ـ مشروعية القسم بصفة الشكر.

وأن مما لا يشرع:

ـ دعاء صفة الشكر من دون الله كقول: يا شكر الله

ـ وتعبيد الاسم لصفة الشكر مثل : عبد الشكر

13. من الفوائد العظيمة: أن الإيمان بصفات الباري ـ جل وعلا ـ ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها له آثار عظيمة، وفوائد نافعة في اعتقاد العبد وفي أقواله وأفعاله وجميع تصرفاته.

14. من آثار الإيمان بصفة ال شكر أنه يقرر أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا شأن أسماء الله وصفاته فكلما ازداد العبد فعرفة بها ازداد إيمانه وقوي يقينه.

15. من عجيب آثار الإيمان بصفة الشكر أن من تعلق بها أوصلته إلى الله وقادته إلى مولاه، وملأت قلبه بحبه وإجلاله وتعظيمه، فقام له بحقه عليه وأخلص له في عبادته بمنتهى الذل ومنتهى الحب رغبة ورهبة.

16. أن أهل السنة والجماعة هداهم الله للحق المبين، وجعلهم سيفا مسلولا لصدِّ كل من حاد عن الصراط المستقيم فمن المسائل التي رد أهل السنة على من قال فيها بغير الحق:

ـ ردهم على من عطل اسمي الجلالة الشكور والشاكر.

- ردهم على من أوَّلَ الاسمين الشكور والشاكر عن معناهما الحقيقي .

- ردهم على من شبه الله بخلقه في الاسمين الشكور والشاكر.

17- أن الصفات الاختيارية: هي الأمور التي يتصف بها الرب - فتقوم بذاته وقدرته كصفة الشكر وصفة الكلام وغيرهما من الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة.

18- أن أهل السنة والجماعة يقولون بإثبات الصفات الاختيارية لله تعالى كقولهم في سائر صفات الله عز وجل ولهم أدلة كثيرة جدا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء من أقوال سلف الأمة.

19- عند الوقوف على أقوال المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفة الشكر تبين أن المخالفين لهم ليس لهم حجة فيما ذهبوا إليه لا من جهة السمع ولا من جهة العقل، وغاية ما لديهم أنهم تمسكوا بشبهات عقلية ووساوس شيطانية عارضوا بها الوحي المنزل من السماء.

20- ظهر عند بحث صفة الشكر أن المخالفين فيها ينقسمون إلى قسمين:

- منهم المخالفون المثبتون لها.

- ومنهم المخالفون الذين ينفون صفة الشكر .

فأما المخالفون المثبتون لها فهم :

1- الكلابية : وهم من الفرق التي تثبت صفة الشكر ولكن إثباتهم لها يشوبه شيء من البدعة وذلك أنهم جعلوها صفة ذاتية لازمة لذات الباري سبحانه ثابتة له أزلا وأبدا، وأنها لا تتعلق بمشيئته واختياره وإرادته وقدرته.

2ـ الكرامية : وهم يقولون بإثبات صفة الشكر، وأن صفة الشكر قائمة بذاته ولكنهم خالفوا أهل السنة في قولهم أنها حادثة بعد أن لم تكن، بل صارت صفة الشكر ممكنة له بعد أن كانت ممتنعة عليه من غير تجدد شيء أوجب إمكان الشكر والقدرة عليها؛ لامتناع حوادث لا أول لها.

فهم بذلك جعلوا الرب في الأزل معطلا من صفة الشكر غير قادر عليها تعالى عما يقول الظالمون.

3ـ **قدماء الرافضة** : وهم أيضا من جملة الصفاتية الذين يثبتون الصفات، ولكنهم وقعوا في آفة التمثيل فلم يقنعوا بما كان عليه أهل السنة والجماعة في الصفات بل غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل لذا فهم يمثلون صفة الشكر بصفات المخلوقين تعالى الله عما يقولون.

ـ وأما المخالفون الذين ينفون صفة الشكر فهم :

1ـ الفلاسفة: وهم بناءً على أصلهم في نفي الصفات فإنهم لا يثبتون صفة الشكر ولا يثبتون كذلك الأسماء الحسنى الدالة عليها الشكور والشاكر بل يعطلون جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى تعطيلا يستلزم نفي ذاته جل وعلا.

2ـ والجهمية : وهم النفاة لكل صفة وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لذا فهم لا يثبتون صفة الشكر بل ينفونها عن الله سبحانه لجهلهم بالله عز وجل .

3ـ والمعتزلة: فهم على إجماعهم في نفي الصفات وإثبات الأسماء لذا كان من الضلال الذي وقعوا فيه نفيهم لصفة الشكر فوافقوا بذلك الجهمية في هذا السبيل الذي سلكوه فبئس التابع كما بئس المتبوع.

4ـ الأشاعرة: أما الأشاعرة فهم متفقون على موقفهم من صفة الشكر وما كان مثلها من صفات الباري جل وعلا فهم لا يثبتونها على ظاهرها بل يواجهون النصوص الدالة عليها بمعاول هدم ابتدعوها فيقابلونها بالتأويل المذموم لصرفها عن ظاهر معناها كما هو موضح عند ذكر مذهبهم من هذه الرسالة.

21ـ توفيق الله سبحانه وتعالى لأهل السنة والجماعة في سلوك سبيل المرسلين وسلامتهم ما ابتلي به من حاد عن سبيلهم وكان من نتائج ذلك موقفهم في باب الأسماء والصفات حينما أخذوا بما في الكتاب والسنة وترك ما خالف ذلك، ووقوفهم في وجوه هذه الجموع المتلاحقة ممن ضل عن الطريق ومنابذتهم لهم بالحجج البينات والبراهين الساطعات فكان النصر حليفا لهم على كل من خالفهم على مر العصور والأزمان.

22ـ أن عبادة الشكر من العبادات الثابتة بالكتاب والسنة، وأن تحقيقها من آثار الإيمان بصفة الشكر لله تعالى والأسماء الدالة عليها.

23ـ أن حقيقة الشكر في العبودية هو: ظهور أثر نعمة الله على لسان العبد ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة.

24ـ أن من الفروق التي ذكرها أهل العلم بين الشكر والحمد:

ـ أن الشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكر.

ـ أن الشكر يكون عند السراء، والحمد يكون على كل حال.

ـ أن الشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال.

25ـ أن الشكر الواجب: هو أن يأتي العبد بجميع الواجبات ويترك جميع المحرمات، وأن المستحب منه أن يأتي العبد بعد أداء الفرائض واجتناب المحرمات بنوافل الطاعات.

26ـ أن أنواع الشكر شاملة لجميع أنواع العبادة فمنها شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر الجوارح.

27ـ أن من أعظم ما يشكر به العبد ربه هو سجود الشكر لما فيه من الذل والخضوع لله تعالى، وهو من السنن التي هجرها كثير من الناس.

28ـ أن الناس في شكرهم لربهم أقسام فمنهم المقربون السابقون، ومنهم الأبرار أهل اليمين، وأن أعظم الناس شكراً هم الأنبياء والمرسلون ـ عليهم السلام ـ فهم أهل الشكر على الحقيقة.

29ـ أن الابتلاء بالسراء أعظم من الابتلاء بالضراء، وأنه لا ينجو من الابتلاء بها إلا القليل من الناس.

30ـ أن العلاقة بين الشكر والصبر قوية جدا فكل واحد منهما مفتقر في وجوده إلى الآخر افتقارا شديدا.

31ـ أن الراجح في مسألة التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر أن أتقاهما هو الأفضل، فإن استويا في التقوى استويا في الفضل.

32ـ أن الشكر في العباد قليل؛ إذ أكثر الناس لا يشكرون، ومن أسباب ذلك: إغواء الشيطان، وظلم العباد وجحودهم، وجهلهم بالله وبعظيم نعمه عليهم، وغفلتهم ومللهم لنعم الله وغيرها.

33ـ أن من شكر الله تعالى أن تشكر كل من أسدى إليك معروفا، لأمر الله بذلك فهو الذي أجرى النعمة على يديه فمن لم يشكر صانع المعروف لم يشكر الله حقيقة.

34ـ مَن شكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة فاز بخيري الدنيا والآخرة فبالشكر تحفظ النعم من الزوال، وتزيد وتعظم بركتها ، وبه يسعد العباد وتطمئن قلوبهم، وينجوا من كيد الشيطان وإغوائه مع ما يدخره الله لهم في الآخرة من الجزاء الحسن، والفوز بالرضوان والمحبة من الرحمن، ورفعة الدرجات في الجنان والأمن من العذاب في يوم تشيب من هوله الولدان.

35ـ عظم منزلة الشكر في العقيدة الإسلامية فقد ظهر عند دراسة هذه العبادة جملة من المسائل العقدية فمن ذلك:

ـ أن الشكر من خصال الإيمان وشعبه المتعددة؛ بل هو أعلى مقامات الإيمان.

ـ أن عبادة الشكر فيها تقرير لأنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية كما هو مبين في موطنه من هذه الرسالة.

ـ دلالة هذه العبادة على معتقد أهل السنة والجماعة في مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان.

ـ الدلالة على مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، إذ بالشكر يزيد إيمان العبد ويقوى لكونه من الطاعات التي تزيد في الإيمان فمن كثر شكره زاد إيمانه وقوي يقينه ولا بد.

36ـ أن من أعظم المخالفات التي بليت بها البشرية وكانت سببا عظيما في زوال النعم وحلول النقم هو ترك الشكر ومقابلة النعم بالجحود والنكران.

37ـ أن من صور الجحود وعدم الشكر: الإشراك بالله، واقتراف المعاصي على اختلافها، واستعمال نعم الله في غير مرضاته

38ـ أن من الألفاظ المحرمة وهي داخلة في نسبة النعم لغير الله:

ـ لولا فلان لم يكن كذا وكذا.

ـ ولولا الطبيب لمات المريض.

ـ وهذا مالي ورثته عن أبائي وغير ذلك من الألفاظ التي فيها إضافة الشيء إلى سببه ونسيان خالقها ومقدرها سبحانه وتعالى.

39ـ أن الاستسقاء بالأنواء من اعتقادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام وحذر منها لما فيها من نسبة نعمة نزول المطر إلى النجوم والكواكب ومعتقد ذلك إما أن يكون قد وقع في الشرك الأكبر إذا اعتقد أن الكواكب هي التي توجد المطر وتخلقه من دون الله، وإما أن يكون قد وقع في الشرك الأصغر الذي هو وسيلة إلى الأكبر إذا اعتقد أن الكواكب في مطلعها وفي غروبها تكون أسبابا في نزول المطر وكل هذا يوجب الحذر من هذه العقيدة الباطلة.

40ـ أن قول (لك خالص شكري، وخالص تحياتي وتقديري، ولك خالص الرجاء والتعظيم) من العبارات التي ينبغي تركها لما فيها من الإيهام واللبس لاسيما أنه يمكن استعمال عبارات تؤدي الغرض من غير لبس كقول: (لك عظيم شكري أو مع جزيل الشكر ونحو ذلك.

41ـ أن من العبارات التي فيها مخالفة لما دلت عليه النصوص وقد اعتاد قولها كثير من الناس قول(لا شكر على واجب) فوجب تركها واستبدالها بما دلت عليه

السنة من التأمين على الدعاء حينما يشكر الإنسان، أو الدعاء بقول:جزاك الله خيرا ونحو ذلك.

42ـ أن مما دلت عليه النصوص أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، ومن نقل عن أهل السنة خلاف ذلك فقد أخطأ وجانب الصواب.

43ـ أن من قبائح الرافضة وعقائدهم الباطلة التي خالفوا بها الشرع والعقل والفطرة موقفهم من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ جعلوا مكان حبهم والترضي عنهم البغض والكراهية والسب والشم، ومن ذلك موقفهم من اليوم الذي قتل فيه عمر ـ رضي الله عنه ـ وجعلهم من ذلك اليوم يوم فرح وسرور وشكر وكل هذا يدل على سفه عقولهم وفساد عقائدهم وشدة عداوتهم للمسلمين فعليهم من الله ما يستحقون.

وأخيرا : فإن كان لي من وصية فإني أوصي طلبة العلم والباحثين بدراسة أسماء الله وصفاته بدراسات مستقلة يركز عليها بالبحث والدراسة وجمع ما هو منثور من مسائلها في بطون كتب العلم من تراث علماء سلف الأمة وتقديمها للمكتبات في عالمنا الإسلامي تقريرا للعقيدة السلفية الصحيحة وردا على كل ما خالفها من الباطل والله أعلم وهو الهادي الحق المبين وهو حسبي ونعم الوكيل

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس:

1ـ فهرس الآيات القرآنية.

الآية	رقمها	الصفحة
البقرة		
﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾	152	339
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	158	123،125،158،59،62 ،314،178،162،
.﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾	169.168	402
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾	172	340، 441،448،
﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	209	25، 314
﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾	219	286
﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾	212	422
.﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾	231	25
﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	242	286
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾	243	450
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾	255	289، 314

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ	260	73
آل عمران		
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ	14	388
إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ	59	254
وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ	144	422
وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ	145	422
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ	164	407، 451
لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ	181	220
النساء		
مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ	79	392
وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ	86	470
مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ	147	62، 78،115، 116،125، 128،163، 425،

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ	176	292
المائدة		
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ	1	254
ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا	3	407،
فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّـٰهُمۡ	13	195،
وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ	40	422
وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ	64	220
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ	67	208
الأنعام		
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ	21	481
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ	44ـ 45	463
وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ	53	380
قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ	162	142

الأعراف		
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ	11	254
قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ	16ـ 17	389402، 420،
قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ	144	338
وَلله ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا	180	22،65،99، 133، 141، 168،179،196،
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ	183.182	462
الأنفال		
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ	53	410
التوبة		
﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾	15	422
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ	72	423
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ	100	

﴿ فَٱسۡتَبۡشِرُوا بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾	111	424
ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ	112	424
يونس		
وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ	18	456
وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ	60	450
الحجر		
فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ	94	208
الرعد		
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ	11	416،463،
إبراهيم		
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ	5	429،
وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ	7	416،417،441،

يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا	83	451
مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ	97	419
فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا	114	340
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ	112	464
إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا	121،120	383،441،
الإسراء		
إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا	3	104، 381،
قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ	110	65
الكهف		
وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ	39	351، 352،
ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا	46	356

فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا	97ـ 98	350
مريم		
فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ	65	227،145
طه		
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ	5	120،185،
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ	8	65
وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا	110	185،
الأنبياء		
كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ	35	386
الحج		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ	51	339
ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ	60	110
النور		
مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا ...	35	43
فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً	61	471
النمل		

الآية	رقمها	الصفحة
فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ	19	389
قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا	38ـ 40	350، 384،
القصص		
قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ	78	351
العنكبوت		
الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	1ـ 3	386،
الروم		
يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ	19	289
لقمان		
وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ	14	361
سبأ		
وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ	13	104، 332، 335، 364، 401،430،475

لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖ	15ـ19	465
فاطر		
إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ	10	185
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ	29	111
إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ	30	178،111،53،49،
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ	34	55،53،51،50، 111، 113، 125، 128
الصافات		
أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ	86	154
ص		
وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ	29	286
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ	82	138
الزمر		
فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ	2ـ3	469
وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ	7	423،292،
فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ	32	461
بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ	66	338
وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ	67	155

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ	74	354
فصلت		
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا	40	196،
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ	49ـ 50	452
الشورى		
لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ	11	37،185،146،41 ،288،225،218،216 ،291
وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا	23	111،78،53
محمد		
فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ	19	25
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ	28	255
الفتح		
مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ	29	481
الذاريات		
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ	58	314
القمر		

الآية	رقمها	الصفحة
إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ	17ـ33	566
الإنسان		
لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا	9	
المرسلات		
فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ	23	70،84
الانفطار		
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ	6	374
فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ	8	303
الضحى		
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ	11	332،358
العلق		
ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ	3	95
وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ	8	408
الكوثر		
إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ	1ـ2	367
الإخلاص		
قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ	1ـ4	148،228،229،146

2ـ فهرس الأحاديث النبوية.

3ـ فهرس الآثار.

الأثر	قائله	الصفحة
ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر.	عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه	390
إذا ولد فيهم المولود قلت: أخلق سويا.	عائشة رضي الله عنها	371
الاستواء معلوم والكيف مجهول...	الإمام مالك	121،
اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك.	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	417
أنا أومن برب يفعل ما يشاء.	الفضيل بن عياض	
إن حق الله أثقل من تقوم به العباد	طلق بن حبيب	411
إن الرجل إذا قال: الحمد لله فهي كلمة الشكر	عبدالله بن عمرو رضي الله عنه	354
إن أقل ما يجب للمنعم على من أنعم عليه أن لا يجعل ما أنعم عليه سبيلا إلى معصيته	عائشة رضي الله عنها	363
إن أقل ما يجب للمنعم على من أنعم عليه الشكر تقوى الله والعمل الصالح	محمد بن كعب	366
إنما العالم من يخشى الله	الشعبي	330،33
إن النعمة موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	418
إن الله ـ جل ثناؤه ـ لا يعذب شاكرا ولا يعذب مؤمنا	قتادة	425
الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر	ابن مسعود رضي الله عنه	429
تذكروا النعم فإن ذكرها شكر	عمر بن عبدالعزيز رحمه الله	359
حق الطعام أن تقول: بسم الله اللهم بارك لنا فيما	علي بن أبي طالب	356

رزقتنا	رضي الله عنه	
الحمد لله كلمة الشكر	ابن عباس رضي الله عنهما	354
الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق.	الشعبي رحمه الله	138
ذكر النعم شكر	عمر بن عبدالعزيز رحمه الله	332
الشكر تقوى والعمل الصالح	محمد بن كعب القرظي	366
الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله عز وجل شكر.	أبو عبدالرحمن السلمي	333
عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم	الفضيل بن عياض رحمه الله	417
كان المسلمون يرون أن من شكر النعم التحدث بها	أبو نضرة العوقي رحمه الله	359
كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا	ابن مسعود رضي الله عنه	33
كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت بت السنة من صفاته	الأوزاعي رحمه الله	38
لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على العرش بصفاته	المزني رحمه الله	29
لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله	الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله	39
ما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا فشكرها	كعب الأحبار رحمه الله	423
ما من عبد يشرب الماء القراح ... إلا وجب عليه الشكر	عائشة رضي الله عنها	344

4ـ فهرس الأعلام

5ـ فهرس الفرق والطوائف

6. فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة

7ـ فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1ـ آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة: هدى بنت ناصر الشلالي، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1420هـ 2000م

2ـ الإبانة عن أصول الديانة: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ط5، المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية، 1409هـ

3ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: لأبي عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: سيد عمران، القاهرة: دار الحديث، 1427هـ .

4ـ الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء، دراسة تحليلية: أ.د.عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط1، الرياض: دار ابن الأثير، 1423هـ.

5ـ اجتماع الجيوش الإسلامية، للإمام ابن القيم، تحقيق: د/ عواد المعتق، ط1، الرياض: مطابع الفرزدق، 1408هـ.

6ـ إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام:للإمام ابن دقيق العيد، ط.د.بيروت: دار الكتب العلمية، ت .د.

7ـ أحكام القرآن، لأبي بكر المالكي، تخريج وتعليق: محمد عبدالقادر عطا، ط4، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ ـ 2003م،

8ـ أحكام القرآن: للقاضي أبي بكر ابن العربي، تخريج: محمد عبدالقادر عطا، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية،1424هـ.

9ـ الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: سعود بن عبدالعزيز محمد العريفي، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1419هـ

10. **الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين**: للشيخ عبدالرحمن السعدي، ط1، الرياض: مكتبة المعارف، 1402هـ

11. **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**: عبدالقادر بن شيبة الحمد، ط2، المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان، 1426هـ ـ 2005م.

12. **الأذكار**: للإمام النووي، ط.د. تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ، دمشق: مطبعة الملاح، 1391هـ.

13. **الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**: للشيخ صالح الفوزان، ط . د . القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1411هـ ـ 1990م

14. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني،ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1405هـ ـ 1985م.

15. **الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية**: عبدالعزيز المحمد السلمان، ط8، الرياض: مطبعة المدينة ، 1399هـ

16. **أساس البلاغة**: لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ ـ 1998م.

17. **الأسئلة والأجوبة في العقيدة**: صالح بن عبدالرحمن الأطرم، ط1، الرياض: دار الوطن، 1413هـ

18. **الاستقامة،** لابن تيمية، تحقيق: محمد سالم رشاد، ط1، الرياض: دار الفضيلة، 1425هـ ـ 2005م.

19. **الإستغاثة في الرد على البكري**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط3،تحقيق: د/ عبدالله بن دجين السهلي، الرياض: دار المنهاج، 1431هـ

20ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله القرطبي، ط1، تصحيح: عادل مرشد، الأردن: عمان، دار الأعلام، 1423هـ

21ـ **أسرار البلاغة**: لأبي عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط .د.، جدة: دار المدني، 1412هـ

22ـ **أسماء الله الحسنى**: لابن القيم، ط 4، جمع وتعليق: يوسف على بديوي، أيمن الشوّا، مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، 1423هـ ـ 2002م.

23ـ **الأسماء الحسنى**، لأبي الوفاء محمد درويش،ط2، مصر: مؤسسة أنصار السنة، 1416هـ ـ 1995م.

24ـ **أسماء الله الحسنى**، لعبدالله الغصن، ط1، الرياض: دار الوطن، 1417هـ.

25ـ **أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به**، لعمر الأشقر، ط2، عمان: دار النفائس، 1427هـ.

26ـ **الأسماء الحسنى والصفات العلى**: عبدالهادي بن حسن وهبي، ط1، الجبيل: دار الدليل الأثرية،1428هـ 2007م.

27ـ **الأسماء والصفات**: للبيهقي، ط .د. لبنان: دار الكتب العلمية، 1422هـ 2001م.

28ـ **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته**: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عرفان الدمشقي، ط4، القاهرة: المكتبة الحضرية، 1427هـ.

29ـ **اشتقاق أسماء الله**: لأبي القاسم الزجاجي، ط2، تحقيق: عبدالمحسن المبارك، بيروت: الرسالة، 1406هـ 1986م.

30ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط1، دراسة وتحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ .

31ـ الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية،للدكتور عبدالقادر بن محمد عطا، ط2، الرياض: دار أضواء السلف، 1426هـ ـ 2005م.

32ـ أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، للدكتور سعود بن عبدالعزيز الخلف، ط .د.، 1420هـ ـ 1421م.

33ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ـ عرض ونقد، للدكتور ناصر القفاري، ط1، ن . د.، 1414هـ.

34ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ط . د.، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1413هـ .

35ـ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: للشيخ صالح الفوزان، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1429هـ ـ 2008م.

36ـ اعتقاد أهل السنة: للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، طذ، تحقيق: جمال عزون، الإمارات العربية، دار الريان، 1413هـ ـ 1992م

37ـ الأعلام: خير الدين الزركلي، ط7، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م.

38ـ أعلام السنة النشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ط7، الرياض: مكتبة الرشد، 1429هـ ـ 2008م.

39ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم، تعليق: طه عبدالرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل.

40ـ الأعياد وأثرها على المسلمين، للدكتور سليمان بن سالم السحيمي، ط2، المدينة المورة: مطابع الجامعة الإسلامية، 1432هـ.

41ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن القيم ،ط .د. تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، تاريخ .د.

42ـ الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر يحي بن هبيرة، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، الرياض: دار الوطن، 1417هـ.

43ـ أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات: لمرعي بن يوسف الكرمي، ط1، تحقيق: شعيب الأربؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ ـ 1985م.

44ـ الاقتصاد في الاعتقاد: لعبدالغني المقدسي، ط3، تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي، المدين المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1423هـ ـ 2002م

45ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لشيخ الإسلام بن تيمية، ط1، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ ـ 1987م.

46ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لشيخ الإسلام بن تيمية، ط7، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقيل، بيروت: دار عالم الكتاب، 1419هـ.

47ـ أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان: جمع ودراسة وتحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله المبْدل، ط1، الرياض: دار التوحيد، 1424هـ ـ 2003م.

48ـ الإكليل في المتشابه والتأويل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تخريج وتعليق: محمد شحاتة، مصر: الاسكندرية، دار الإيمان.

49ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحي إسماعيل، ط3، مصر: المنصورة، دار الوفاء، 1426هـ ـ 2005م.

50ـ الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: د/ على بن محمد الفقيهي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، [ط1، 1407هـ]، و[ط3، 1419].

51- **إيثار الحق من أصول التوحيد**: لابن الوزير، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ 1987م.

52- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري،ط1، 1407هـ.

53- الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: الشخ محمد بن ناصر الدين الألباني، ط1، الرياض: مكتبة المعارف، 1421هـ.

54- الإيمان: لشيخ الإسلام، ط5، تحقيق: الألباني، لبنان: المكتب الإسلامي، 1416هـ - 1996م.

55- بحر الفوائد الفوائد: لأبي بكر الكلاباذي، تحقيق: محمد إسماعيل وأخر، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1420هـ - 1999م.

56- بحوث عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية منها: ناصر بن عبدالكريم العقل، ط2، الرياض: دار العاصمة، 1419هـ 1998م.

57- بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزية: جمع ومراجعة: يسري السيد محمد و صالح أحمد الشامي، ط2، الدمام: دار ابن الجوزي، 1431هـ

58- بدائع الفوائد: لابن القيم، ط1،تحقيق: بشير محمد عيون،سوريا: دار لبنان، 1415هـ

59- البداية والنهاية: للإمام الحافظ ابن كثير، ط2، تحقيق: عبدالرحمن اللادقي ومحمد غازي، بيروت: دار المعرفة، 1417هـ -1997م.

60- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود: **عبدالله الجميلي**، ط2، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، 1419هـ - 1999م.

61- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط .د.، لبنان: صيدا، المكتبة العصرية، ت .د.

62ـ بيات تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، الأردن: الدار العثمانية، 1429هـ، وطبعة أخرى هي طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ

63ـ بيان فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب الحنبلي، ضمن مجموع رسائله، تحقيق: طلعت الحُلواني، ط2، القاهرة: الفاروق الحديثة، 1329هـ.

64ـ التأويل في غريب الحديث من خلال كتاب النهاية لابن الأثير، لعلي السحيباني، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1430هـ.

65ـ تاريخ ابن معين، ليحي بن معين البغدادي، تحقيق: محمد كامل (الجزء الخاص بالتراجم والطبقات)، ط1، دمشق: مجمع اللغة العربية، 1405هـ.

66ـ تاريخ الإسلام، للذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام، ط1، لبنان: دار الكتاب العربي، 1407هـ.

67ـ تاريخ بغداد: لأبي بكر البغدادي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ.

68ـ تاريخ تدوين العقيدة السلفية: عبدالسلام بن برجس العبدالكريم، ط1، الرياض: دار الصميعي، 1426هـ 2005م.

69ـ تاريخ الثقات، لأبي الحسن أحمد بن عبدالله العجلي، ط1، دار الباز، 1405هـ.

70ـ التاريخ الكبير: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط .د.، حيدر أباد: الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ت .د.

71ـ التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم: لمحمد بن أحمد المقدمي، تحقيق: محمد اللحيدان، ط1، عام 1415هـ ـ 1994م.

72ـ **التبصير في معالم الدين:** لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: علي بن عبدالعزيز الشبل، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1416هـ.

73ـ **التبيان في أقسام القرآن:** لابن القيم، ط1، تحقيق: عصام فارس، محمد إبراهيم، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ ـ 1994م.

74ـ **تجريد أسماء الصحابة:** للحافظ شمس الدين الذهبي، بيروت: دار المعرفة.

75ـ **تحرير الاعتقاد في الأسماء والصفات،** لأحمد منصور آل سالك، ط4، الكتب الإسلامي لإحياء التراث، 1426هـ.

76ـ **التحرير والتنوير:** محمد الطاهر بن عاشور، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

77ـ **تحفة المحتاج في شرح المنهاج:** لابن حجر الهيثمي ومعه حاشية الشرواني، مراجعة وتصحيح: لجنة من العلماء، ط . د.، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1357هـ

78ـ **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية،** لفالح بن مهدي آل مهدي الدوسري، ط3، المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية، 1413هـ.

79ـ **تحفة المودود بأحكام المولود:** لابن القيم، ط1، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الدمام: دار ابن القيم، 1421هـ

80ـ **تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد:** لعبدالهادي بن محمد البكري العجلي، تحقيق: د/ حسن بن علي عواجي، ط1، الرياض: أضواء السلف، 1419هـ.

81**تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات:** فوز بنت عبداللطيف بن كامل الكردي، ط3، الرياض: دار طيبة، 1425هـ ـ 2004م.

82ـ **تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ المقدسي:** د/ عبدالرزاق البدر، ط1، غراس للنشر والتوزيع، 1424هـ

83ـ تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للإمام الحافظ الذهبي، ط1، تحقيق: غنيم عباس غنيم و أيمن سلامة، القاهرة: مطبعة الفاروق الحديثة،1425هـ

84ـ التسعينية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تحقيق: د/ محمد بن إبراهيم العجلان، الرياض: مكتبة المعارف، 1420هـ ـ 1999م

85ـ تشنيف الأسماع في الرد على من خالف الكتاب والسنة والإجماع: أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي، ط1، تحقيق: عبدالعزيز بن إبراهيم الجبرين، الرياض: دار الصميعي، 1425هـ ـ 2004م.

86ـ التعبد بالأسماء والصفات: وليد بن فهد الودعان،ط1، الرياض: كنوز إشبيليا، 1424هـ 2003م.

87ـ التعليق المختصر على القصيدة النونية: للشيخ صالح الفوزان، ط1، سنة 1424هـ ـ 2004م.

88ـ التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: للشيخ الألباني، ط1، المملكة العربية السعودية: دار باوزير، 1424هـ .

89ـ تفسير ابن عثيمين،ط1، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1423هـ .

90ـ تفسير ابن فورك: لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، ط1، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، 1430هـ.

91ـ تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى، وضع حواشيه: عبداللطيف عبدالرحمن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ ـ 1999م

92ـ تفسير أسماء الله الحسنى: لأبي إسحاق الزجاج، ط5، تحقيق: يوسف الدقاق، دمشق: دار المأمون للتراث ، 1406هـ وطبعة 1399هـ

93- تفسير الإمام الشافعي محمد بن إدريس، جمع وتحقيق: أحمد مصطفى الفرآن، ط1، الرياض: دار التدمرية، 1427هـ .

94- التفسير البسيط: لأبي الحسن الواحدي، التحقيق: حقق في 15 رسالة علمية (دكتوراه) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط1، الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ.

95- تفسير البغوي، معالم التنزيل: للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان الحرش، الرياض: دار طيبة، 1409هـ

96- تفسير البيضاوي مع حاشية شيخ زاده: تركيا: مكتبة الحقيقة، 1419هـ - 1998م.

97- تفسير الطبري: المسمى جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط1، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ.

98- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط1، السعودي: الرياض، دار الوطن، 1418هـ.

99- تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار: للسيد محمد رشيد رضا، ط2، القاهرة: دار المنار، 1366هـ 1947م.

100- تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ بن كثير، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ

101- التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ .

102ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة مصطفى الزحيلي، ط3، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418هـ.

103ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1، مصر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1393هـ

104ـ تقريب التدمرية: للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ط2، الرياض: دار الثريا، 1423هـ .

105ـ تلبيس إبليس: لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي، ط1، لبنان: بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ .

106ـ التمهيد في أصول الفقه: لمحفوظ بن أحمد الكلوذاني الحنبلي، تحقيق: محمد بن علي، ط1، جدة: دار المدني، 1406هـ .

107ـ التمهيد في الكلام على التوحيد: جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبدالهادي، ط1، تحقيق: د/ محمد بن عبدالله السمهري الرياض: دار بلنسية، 1417هـ 1997م.

108ـ التمهيد لشرح كتاب التوحيد: للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط1، الرياض: دار التوحيد ، 1423هـ ـ 2002م.

109ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لابن عبدالبر النمري الأندلسي، ط4، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، القاهرة: الفاروق الحديثة، 1429هـ 2008م.

110ـ التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية: للشيخ عبدالعزيز الناصر الرسيد، ط2، الرياض: دار الرشيد 1416هـ ـ 1995م.

111ـ التنوير شرح الجامع الصغير: لمحمد بن إسماعيل الأمير، تحقيق: محمد إسحاق، ط1، الرياض: مكتبة دار السلام، 1432هـ .

112ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ليوسف بن عبدالرحمن المزي، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ.

113ـ التوسل وأنواعه وأحكامه: للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني،ط1، تنسيق: محمد عيد العباسي، الرياض: مكتبة المعارف، 1421هـ ـ 2001م.

114ـ توفيق الرحمن في دروس القرآن: لفيصل بن عبدالعزيز بن فيصل المبارك النجدي، تحقيق: عبدالعزيز عبدالله آل محمد، ط4، الرياض: دار العاصمة، 1416هـ.

115ـ التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية: د/ محمد بن عبدالرحمن الخميس، ط1، الدمام: دار ابن الجوزي، لا1429هـ

116ـ توضيح الأحكام من بلوغ المرام: لعبدالله بن عبدالرحمن البسام، ط1، السعودية: جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1413هـ.

117ـ توضيح بعض المصطلحات العلمية في شرح العقيدة الطحاوية: د/ محمد بن عبدالرحمن الخميس، ط1، الكويت: دار إيلاف، 1420هـ ـ 1999م.

118ـ التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب،ط1، الرياض، 1404هـ.

119ـ توضيح الكافية الشافية: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، 1407هـ ـ 1987م.

120ـ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1406هـ.

121ـ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، 1407هـ ـ 1987م.

122ـالتيسير بشرح الجامع الصغير: للمناوي، ط3، الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، 1408هـ

123ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: للشيخ العلامة سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط2 تحقيق: أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، الرياض: دار الصميعي، 1429هـ ـ 2008م.

124ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ، طبعه مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، 1407هـ وطبعة أخرى في مجلد واحد تحقيق: عبدالرحمن معلا اللويحق، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، 1427هـ .

125ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن : للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ السعدي، طبعه مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، 1407هـ

126ـ الثقات: لمحمد بن حبان البستي، ط1، الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، 1393هـ .

127ـ الثمر المجتنى مختصر أسماء الله الحسنى، لسعيد القحطاني، ط . د.، الرياض: مؤسسة الجريسي، ت .د .

128ـ الجامع ـ أسماء الله الحسنى ـ جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة: ماهر مقدم، ط8، الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، 1432هـ

129ـ جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، ط. د. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الدمام: دار ابن الجوزي، 1414هـ ـ1994م.

130ـ جامع العلوم والحكم: لأبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط2، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1410هـ 1990م.

131ـ جامع اللآلي شرح بدء الأماني في علم العقائد لعلي بن عثمان الأوشي: محمد أحمد كنعان، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1429هـ ـ 2008م.

132ـ الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط1، تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، بيروت: دار الفكر، 1407هـ 1987م.

133ـ الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم، ط1، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1271هـ ـ 1952م.

134ـ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام: لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، ط2، تحقيق: شعيب الأربؤوط، عبدالقادر الأربؤوط، الرياض: مكتبة دار البيان،1413هـ ـ 1992م.

135ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: نعمان بن محمود الآلوسي، مطبعة المدني، 1401هـ.

136ـ جناية التأويل الفاسد على العقيدة: محمد أحمد لوح، ط1، الخبر: دار ابن عفان، 1418.

137ـ الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه: عبدالرزاق طاهر،ط1، الرياض: دار الوطن، 1417هـ 1996م.

138ـ الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات: لنور الحسن محمد صديق حسن خان القنوجي، ط1، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى، 1418هـ 1997م.

139ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط2، تحقيق: علي بن حسن، عبدالعزيز العسكر، حمدان الحمدان، الرياض: دار العاصمة، 1419هـ

140ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم، ط1، تحقيق: أبي حذيفة عبيدالله بن عالية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ

141ـ جهود الإمام ابن قيم الجوزية في تقرير توحيد الأسماء والصفات:للدكتور وليد بن محمد العلي، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1425هـ

142ـ جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في باب أسماء الله الحسنى: د. أرزقي بن محمد سعيدي، ط1، السعودية: الرياض، مكتبة دار المنهاج، 1435هـ .

143ـ جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة: للشيخ الدكتور/ أحمد بن عبدالله الغنيمان، ط1، المدينة: مطابع الجامعة الإسلامية، 1430هـ.

144ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: للسيد أحمد الهاشمي، ط .د. لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ت .د.

145ـ حاشية ابن القيم ـ وهي تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته: وهي مطبوعة مع عون المعبود شرح سنن أبي داود: لابن القيم، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

146ـ الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة: لمحمد بن أسعد الدواني، تحقيق: د. عبدالله حاج، ط1، مكتبة الإمام البخاري، 1420هـ.

147ـ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: للإمام الحافظ قَوَّام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ط1، تحقيق: د/ محمد بن ربيع المدخلي، الرياض: دار الراية، 1411هـ 1990م.

148ـ الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية: للشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي، ط . د. الرياض: مكتبة المعارف، 1406هـ ـ 1986م.

149ـ حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين: عبدالرحيم بن صمايل السلمي، ط1، الرياض:دار المعلمة، 1421هـ 2001م.

150ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ ـ 1988م.

151ـ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد،ط3، السعودية: الرياض: دار أطلس الخضراء، 1430هـ.

152ـ الخطط المقريزية:للإمام المقريزي، ط .د.، القاهرة، مكتبة الآداب، تاريخ .د.

153ـ درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار الفضيلة، 1429هـ

154ـ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: للدكتور/ سعود بن عبدالعزيز الخلف، ط1، الرياض: أضواء السلف، 1418هـ ـ 1997م.

155ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط7، سنة 1425هـ 2004م.

156ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر، بيروت: دار الجيل، 1414هـ ـ 1993م.

157ـ الدر المنثور في التفسير المأثور: للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ط .د.، لبنان: بيروت، دار الفكر، 1429هـ .

158ـ **الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد:** للإمام الشوكاني، ط1، تحقيق: أبو عبدالله الحلبي، دار بن خزيمة 1414هـ

159ـ **الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية:** جيلاني بن خضر العروسي، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1414هـ ـ 1993م.

160ـ **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ عرض ونقد ـ:** د/ عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف، ط1، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، 1427هـ

161ـ **دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية:** للدكتور/ عبدالله بن صالح الغصن، ط1، الدمام: دار ابن الجوزي، 1424هـ.

162ـ **دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات:** محمد بن عبدالله السمهري، ط1، الرياض: دار بلنسية، 1420هـ

163ـ **دعوة التوحيد:** لمحمد خليل هراس، ط1، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1406هـ .

164ـ **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين:** لمحمد بن علي البكري، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ط4، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1425هـ .

165ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لابن فرحون المالكي، ط بدون، تحقيق: أبو النور محمد الأحمدي، القاهرة: دار التراث، تاريخ النشر بدون.

166ـ **ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم:** لأبي الحسن الدارقطني، تحقيق: بوران الضناوي وآخر، ط1،لبنان: بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1406هـ.

167ـ ذم التأويل: لابن قدامة، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، ط1، الإمارات العربية: دار الفتح، 1414هـ ـ 1994م.

168ـ ذم الكلام وأهله: لأبي إسماعيل الهروي عبدالله بن محمد الأنصاري،ط . د.، تخريج وتعليق: عبدالله بن محمد الأنصاري، المدينة المنورة: مكتبة الغرباءالأثرية، ت .د.

169ـ الرد على الرافضة: رسالة للشيخ محمد بن عبالوهاب ضمن مجموع مؤلقاته، تحقيق: رائد بن صبري، ط1، بيروت: مليار للاستثمار، 2010م.

170ـ الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأويله على غير تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل، ط1، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، الدوحة ـ قطر: دار الإمام البخاري، 1429هـ

171ـ الرد على شبهات المستغيثين بغير الله: للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تصحيح: الشيخ عبدالسلام بن برجس بن ناصر، ط.د. سنة1409هـ ـ 1989م.

172ـ الرد الوافر: لمحمد بن عبدالله القيسي، تحقيق: زهير الشاويش، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1393هـ.

173ـ رسائل في العقيدة: للشيخ حماد الأنصاري، ط1، الإمارات العربية، مكتبة الفرقان، 1424هـ .

174ـ رسالة إلى أهل الثغر: لأبي الحسن الأشعري، ط2، تحقيق: عبدالله شاكر الجنيدي، المدين المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1422هـ 2002م.

175ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد: لأبي نصر عبيدالله بن سعيد السجزي، تعليق: عبدالرحمن بن صالح الحجي، ط1، السعودية: الرياض، دار الأمر الأول للنشر، 1433هـ .

176ـ رسالة التوحيد: محمد عبده، ط11، دار إحياء الكتب العربية، 1365هـ

177ـ روائع التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق عوض الله، ط1، المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، 1422هـ

178ـ الروح: للإمام ابن قيم الجوزية، ط1، اعتناء:صالح أحمد الشامي، بيروت: المكتب الإسلامي، 1425هـ ـ 2004م.

179ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة الألوسي البغدادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

180ـ الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية: زيد آل فياض، ط .د. الرياض: دار الوطن، 1414هـ .

181ـ الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، ط .د.، السعودية: عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، 1411هـ

182ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم، ط14، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ 1986م.

183ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط3، الأردن: المكتبة الإسلامية، 1406هـ

184ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط5،بيروت: المكتبة الإسلامية، 1405هـ

185ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: محمد خليل أبو الفضل، ط3، دار البشائر الإسلامية، 1408هـ.

186ـ السنة: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: لجنة من العلماء بإشراف عبدالله بن حسن آل الشيخ، مكة المكرمة: المطبعة السلفية، 1249هـ

187ـ السنة: للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، ط3، تحقيق: باسم بن فيصل الجوابرة، الرياض: دار الصميعي، 1426هـ ـ 2005م.

188ـ سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن زيد القزويني، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية.

189ـ سنن أبي داود: للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

190ـ سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، طبعة دار الفكر.

191ـ سنن النسائي: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، مصر: دار الريان للتراث.

192ـ سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين الذهبي، ط3، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ومأمون الصاغرجي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ ـ 1985م.

193ـ السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان،1416 هـ ـ 1995م.

194ـ السيوف المشرفة ومختصر الصواقع المحرقة: لأبي المعالي محمود الألوسي، تحقيق: مجيد الخليفة، ط.د.، القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، 1429هـ.

195ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف، بيروت: دار الكتاب العربي.

196ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد، ط1، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، محمود الأربؤوط، دمشق: دار ابن كثير، 1414هـ .

197ـ **شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى**: عمر سليمان الأشقر، ط1، عمان: الأردن، دار النفائس، 1428هـ ـ 2008م.

198ـ **شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة**: د/ حصة بنت عبدالعزيز الصغير، ط1، الرياض: دار القاسم، 1420هـ

199ـ **شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة**: سعيد بن علي بن وهف القحطاني،ط1، الرياض: مطبعة سفير، 1399هـ

200ـ **شرح الأصبهانية**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تحقيق: محمد السعوي، الرياض: مكتبة دار المنهاج، 1430هـ

201ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن تبعهم**: للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللآلكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ط 2، الرياض: دار طيبة، 1411هـ .

202ـ **شرح أصول الإيمان**: لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1431هـ ـ 2010م.

203ـ **شرح حديث النزول**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط2، تحقيق:محمد بن عبدالرحمن الخميس، الرياض: دار العاصمة، 1418هـ ـ 1993م.

204ـ **شرح السنة**: للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي، ط 2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ ـ 1983م

205ـ **شرح السنة**: للإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري، ط1، تحقيق: عبدالرحمن الجميزي، الرياض: دار المنهاج، 1426هـ .

206ـ شرح الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي، ط8، حققه جماعة من العلماء، وخرج أحاديثه الشيخ الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ، وطبعة أخرى بتحقيق: د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط. الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1424هـ ـ 2005م.

207ـ شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاسف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، السعودية: مكة، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1417هـ .

208ـ شرح العقيدة السفارينية: لابن عثيمين، ط1، الرياض: مدار الوطن، 1426هـ

209ـ شرح العقيدة الواسطية: محمد خليل هراس، ط1، تعليق:إسماعيل الأنصاري، مكة المكرمة: دار الثقافة، 1412هـ.

210ـ شرح العقيدة الواسطية: للشيخ محمد بن إبراهيم،ط1، تحقيق: عبدالمحسن القاسم، الرياض: دار النشر.د.، 1428هـ

211ـ شرح العقيدة الواسطية: للشيخ محمد الصالح العثيمين، تخريج سعد بن فواز الصميل، ط2، الدمام: دار ابن الجوزي، 1415هـ .

212ـ شرح القصيدة النونية: لمحمد خليل هراس، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ

213ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: للشيخ الدكتور/ عبدالله بن محمد الغنيمان، ط1، مصر: مكتبة لينة،1409هـ

214ـ شرح كشف الشبهات: لابن عثيمين، إعداد: فهد السلمان، ط1، السعودية: الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع، 1416هـ .

215ـ شرح لمعة الاعتقاد: للشيخ ابن عثيمين، ط3، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، الرياض: مكتبة طبرية، 1415هـ ـ 1995م.

216ـ الشريعة: للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ط1، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ

217ـ شعب الإيمان: للبيهقي، ط1، تحقيق: محمد زغلول، بيروت: 1421هـ 2001م.

218ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لابن القيم، القاهرة: مكتبة دار التراث، ت . د.

219ـ الشيعة هم العدو فاحذرهم: لشحاته محمد صقر، ط .د.، مصر: مكتبة دار العلوم، ت .د.

220ـ الصحاح: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ط5، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1430هـ ـ 2009م

221ـ صحيح الأدب المفرد: للشيخ محمد ناصر الألباني، ط2، الجبيل: دار الصديق، 1415هـ ـ 1994م.

222ـ صحيح ابن حبان: ط2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ

223ـ صحيح الإمام مسلم مع شرحه: للإمام النووي، ط1، بيروت: دار الخير، 1414هـ

224ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، ط3،بيروت: المكتب الإسلامي، 1408هـ 1988م.

225ـ صحيح سنن أبي داود: محمد بن ناصر الدين الألباني، ط1، الكويت: مؤسسة غراس، 1423هـ ـ 2002م.

226ـ صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: علوي بن عبدالقادر السقاف، ط3، المملكة العربية السعودية: دار الهجرة،1426هـ ـ 2005م.

227ـ الصفات الإلهية ـ تعريفها ـ وأقسامها: أ. د. محمد بن خليفة التميمي، ط1، الرياض: أضواء السلف، 1422هـ .

228ـ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزية: للدكتور/ محمد أمان بن علي الجامي،ط4، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الفرقان، 1429هـ ـ 2008م.

229ـ الصفدية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تحقيق: محمد رشاد سالم،مصر: دار الهدي النبوي، 1421هـ ـ 2000م.

230ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: للإمام ابن القيم، ط3، تحقيق: د/ علي بن محمد الدخيل الله، الرياض: دار العاصمة، 1418هـ ـ 1998م.

231ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين السخاوي، ط1، بيروت: دار الجيل، 1412هـ

232ـ طبقات الحفاظ: للسيوطي، ط1، بيروت: دار الكتاب، 1403هـ.

233ـ طبقات علماء الحديث: لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي، ط1، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ ـ 1996م.

234ـ الطبقات الكبرى: لابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ.

235ـ طبقات المفسرين: أحمد بن محمد، ط1، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1417هـ ـ 1997م.

236ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن القيم،تخريج واعتناء ناصر النجار، ط1، مصر: مكتبة عباد الرحمن، 1427هـ ـ 2009م.

237ـ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**: الألباني، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1410هـ.

238ـ **العبر في خبر من غبر**: للإمام الذهبي، ط1، تحقيق: محمد السعيد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ

239ـ **عبودية الكائنات لرب العالمين**: فريد إسماعيل التوني، ط1، الإسكندرية: دار الإيمان، 2008م

240ـ **عدة الصابرين وذخرة الشاكرين**: لابن القيم، تحقيق: فواز أحمد وآخر، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1435هـ ـ 2014م.

241ـ **عقائد الشيعة**:لمحمود عبالحميد العسقلاني، ط .د.، الإسكندرية: دار الإيمان، ت .د.

242ـ **العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية**:لفرج الله عبدالباري، طبعة دار الأفاق العربية.

243ـ **العقيدة الإسلامية وتاريخها**: د/ محمد أمان بن علي الجامي، ط1، الرياض: دار المنار.

244ـ **عقيدة الأشاعرة**: دراسة نقدية لمنظومة جوهرة التوحيد لبرهان الدين اللقاني على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، لحسان إبراهيم الرديعان،ط1، الرياض: دار التوحيد للنشر، 1434هـ .

245ـ **عقيدة التوحيد**: للشيخ صالح الفوزان، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1420هـ

246ـ **عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة و أصحاب الحديث والأئمة**: للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني، ط2،تحقيق: د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الرياض: دار العاصمة، 1419هـ .

247ـ العقيدة في الله: للدكتور/ عمر بن سليمان الأشقر، ط5، الكويت: مكتبة الفلاح، 1984م.

248ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون: للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، ط2، الرياض: دار العاصمة، 1419هـ

249ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين محمد بم محمود العيني، ط1، بيروت: دار الفكر، 1426هـ ـ 2005م.

250ـ عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه ومعاشرته مع العباد: لابن السني، تحقيق: كوثر البرني، ط .د.، بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ت .د.

251 ـ العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: لابن الوزير محمد بن إبراهيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1415هـ .

252ـ غريب الحديث: لابن الجوزي، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ .

253ـ الفتاوى السعدية: للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، 1407هـ ـ 1987م.

254ـ الفتاوى العراقية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تحقيق: عبدالله عبدالصمد المفتي، بيروت: المكتب الإسلامي، 1425هـ 2004م

255ـ الفتاوى الكبرى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ 1987م.

256ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش، ط5، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، 1427هـ 2006م.

257ـ فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ترتيب وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، ط1، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، 1428هـ.

258ـ فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وتحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط1، مكة المكرمة: مطبعة الحكومة بمكة، 1399هـ .

259ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط.د. تحقيق: ابن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الفكر.

260ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية:للشيخ ابن عثيمين، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ، ط3، الرياض: دار الثريا، 1423هـ 2002م.

261ـ فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن: لابن سعدي، اعتنى به: الشيخ عبدالرزاق البدر، ط2، الدمام: دار ابن الجوزي، 1422هـ.

262ـ فتح العلي الأعلى بشرح القواعد المثلى: للشيخ عبيد بن عبدالله الجابري، ط1، الإمارات العربية: مكتبة الفرقان، 1424هـ

263ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : للشوكاني، ط .د. بيروت: دار المعرفة، ت .د.

264ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ط1، تحقيق وتعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، دمشق: دار الخير، 1413هـ ـ 1991م.

265ـ فتح المنان شرح مسند الدارمي أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن المسمى بالمسند الجامع، ط1، شرحه وقابله على الأصول: السيد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1419هـ ـ 1999م.

266ـ **الفتوى الحموية الكبرى**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تحقيق: حمد التويجري، الرياض: مطتبة دار المنهاج، 1430هـ .

267ـ **الفرق بين الفرق**: لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة: دار الطلائع.

268ـ **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، دمشق: دار البيان، 1405هـ ـ 1985م .

269ـ **فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية**: لأبي المعالى محمود الألوسي، تقديم وتعليق: علي مخلوف، ط1، سنة 1422هـ.

270ـ **فضيلة الشكر لله على نعمه وما يجب من الشكر للمنعم عليه**: للخرائطي، تحقيق: محمد مطيع، ط1، دمشق: دار الفكر، 1402هـ ـ 1982م.

271ـ **فقه الأسماء الحسنى**: للشيخ الدكتور/ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط1، المدينة المنورة: 1429هـ .

272ـ **الفقه الأكبر**: المنسوب لأبي حنيفة، (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، لمحمد بن عبدالرحمن الخميس، طذ، الإمارات العربية، مكتبة الفرقان، 1419هـ .

273ـ **الفوائد**: للإمام ابن القيم، ط1، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ ـ 1983م. وطبعة أخرى بتحقيق: د/ محمد الإسكندراني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، 1430هـ ـ 2009م

274ـ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط3، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، 1429هـ ـ 2008م.

275ـ **القاموس المحيط**: الفيروز آبادي،ط2، إعداد: محمد المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1424هـ ـ 2003م.

276ـ **قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، للشيخ عبدالمحسن العباد،ضمن مجموع كتب ورسائل الشيخ، ط2، الرياض: دار التوحيد للنشر، 1428هـ.

277ـ **القواعد الحسان لتفسير القرآن**: للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، 1407هـ ـ 1987م.

278ـ **القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف**: لإبراهيم بن محمد البريكان، ط1، الرياض: دار ابن القيم، 1425هـ .

279ـ **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**: للشيخ ابن عثيمين، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ، ط3، الرياض: دار الثريا، 1423هـ 2002م.

280ـ **القول المفيد على كتاب التوحيد**: للشيخ ابن عثيمين، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1415هـ

281ـ **الكافية الشافية ـ متن القصيدة النونية**: لابن القيم: ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1417هـ .

282ـ **الكامل في التاريخ**: لابن الأثير، ط1، تحقيق:أبو الفداء عبدالله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ 1978م.

283ـ **كتاب التعريفات**: الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ .

284ـ **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**: للإمام ابن خزيمة، ط2، تحقيق: عبدالعزيز الشهوان، الرياض: دار الرشد، 1411هـ .

285ـ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد: للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن منده، ط2، تحقيق: على بن محمد بن ناصر الفقيهي، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، 1414هـ .

286ـ كتاب الرد على المنطقيين المسمى نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1،تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ ـ 2005م.

287ـ كتاب الشكر لله عز وجل: للإمام أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: ياسين محمد، وتخريج: عبدالقادر الأرناؤوط، ط2، دمشق: دار ابن كثير، 1407هـ .

288ـ كتاب العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، ط .د . تحقيق: إبراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية: دار الرشيد، 1980م.

289ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، بيروت: دار إحياء التراث العربي

290ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ط2، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ 1998م.

291ـ الكمال الإلهي بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم: للدكتور/ عبدالله بن عيسى الأحمدي، ط1، الكويت: مكتبة أهل الأثر، 1434هـ

292ـ اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية: لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط 1، الرياض: دار العاصمة 1431هـ 2010م .

293ـ لسان العرب: لابن منظور الإفريقي،ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ ـ 1994م.

294ـ **لسان الميزان:** لابن حجر، اعتنى به: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

295ـ **لوائح الأنوار السَّنيَّة ولواقح الأفكار السُّنِّية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية:** للإمام محمد بن أحمد السفاريني، ط1، تحقيق: عبدالله بن محمد البصري، الرياض: مكتبة الرشد، 1421هـ 2000م.

296ـ **المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار:** علي بن عبدالحفيظ الكيلاني،ط1، المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية، 1428هـ .

297ـ **المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى:** كاملة الكواري، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1422هـ ـ 2002م.

298ـ **المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:** جمع وترتيب: فهد بن ناصر السلمان، ط3، الرياض: دار الوطن، 1411هـ

299ـ **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي:** زين الدين عبدالرحمن بن رجب، ط2، دراسة وتحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، القاهرة: الفاروق الحديثة، 1429هـ

300ـ **مجموع الرسائل والمسائل:**لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ ـ 1993م.

ـ **مجموع الفتاوى:** لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط1، تخريج: عامر الجزار و أنور الباز، الرياض: مكتبة العبيكان، 1418هـ .

301ـ **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:** جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلمان، ط2، الرياض: دار الثريا، 1423هـ ـ 2002م.

302ـ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة:** للشيخ عبدالعزيز بن باز، ط2، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، الرياض: مكتبة المعارف ، 1413هـ ـ 1992م.

303ـ **محاسن التأويل:** لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ .

304ـ **محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عيهم:** د/ مريم بنت علي الحوشاني، ط1، مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء، 1427هـ

305ـ **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم:** اختصار محمد بن الموصلي، ط1، تخريج: د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، الرياض: أضواء السلف، 1425هـ .

306**مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية:** لمحمد بن علي البعلي، تحقيق: عبدالمجيد سليم و محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية.

307ـ **مختصر منهاج القاصدين:** لابن قدامة، دمشق: دار البيان، 1398هـ .

308ـ **المخصص:** لابن سيدة، علي بن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية.

309ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** لابن القيم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (تاريخ: بدون)

310ـ **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة:** د/ إبراهيم بن محمد البريكان، ط1، الرياض: دار ابن القيم، 1423هـ ـ 2003م.

311ـ **مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات (عرض ونقد):** أحمد بن عبدالرحمن القاضي، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1416هـ .

312ـ **المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة:** جمع وتحقيق ودراسة د/ عبدالإله بن سليمان الأحمدي، ط3، الرياض: دار طيبة، 1430هـ ـ 2009م.

313ـ **المسالك في شرح موطأ مالك**: لأبي بكر بن العربي المالكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1428هـ .

314ـ **المستدرك على الصحيحين**: للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، بيروت: دار المعرفة.

315ـ **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل، ط1، تحقيق: عبدالله بن محمد الدرويش، ...: دار الفكر، 1411هـ ـ 1991م.

316ـ **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**: لمحمد بن حبان البستي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط1، المنصورة: دار الوفاء للطباعة، 1411هـ.

317ـ **مشكاة المصابيح**: لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، 1399هـ 1979م.

318ـ **مصادرنا في تلقي العقيدة**: الشيخ صالح الفوزان، ط1، الرياض: دار كنوز اشبيليا، 1430هـ ـ 2009 م

319ـ **مصطلحات في كتب العقيدة**: محمد بن إبراهيم الحمد، ط1، الرياض: دار بن خزيمة، 1427هـ .

320ـ **المصنف**: للحافظ أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ ـ 1983م.

321ـ **المطالب العالية من العلم الإلهي**: لفخر الرازي، ط1، ضبط وتخريج: محمد عبدالسلام شاهين، لبنان: دار الكتب العلمية، 1420هـ ـ 1999م.

322ـ **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**: إبراهيم بن يوسف بن قرقول، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق الآثار، ط1، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1433هـ .

323ـ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد)**: تحقيق: عمر بن محمود، ط1، الدمام: دار ابن القيم، 1410هـ .

324ـ **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها**: عواد بن عبدالله المعتق،ط4، الرياض: مكتبة الرشد، 1421هـ ـ 2001م.

325ـ **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**: د. محمد بن خليفة التميمي، ط1، الرياض: دار أضواء السلف، 1419هـ.

326ـ **معجم ألفاظ العقيدة**: عامر بن عبدالله الفالح، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1420هـ .

327ـ **معجم التعريفات والضوابط والتقسيمات والفوائد في مصنفات الاعتقادية للشيخ ابن عثيمين**: ط1، جمع وترتيب: أحمد بن سالم المصري، الإمارات العربية المتحدة: مكتبة ابن تيمية، 1427هـ 2006م.

328ـ **المعجم الكبير**: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية .

329ـ **معجم اللغة العربية المعاصرة**: أحمد مختار، ط1، عالم الكتاب، 1429هـ.

330ـ **معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير**: ط1، القاهرة: دار الأوقاف، 1423هـ ـ 2002م.

331ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: محمد فؤاد عبدالباقي، ط2، القاهرة: دار الحديث 1418هـ 1988م .

332ـ معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، ط.د.، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1429هـ ـ 2008م.

334ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة،ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ ـ 1993م.

335ـ معجم المناهي اللفظية وفوائد الألفاظ: لبكر بن عبدالله ابوزيد، ط3، الرياض: دار العاصمة، 1417هـ .

336ـ المعجم الوسيط: ط4، طبعة مجمع اللغة العربية، مصر: مكتبة الشروق الدولية،1425هـ

337ـ المغني: لابن قدامة، ط.د. لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ت .د.

338ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ عبداللطيف الخطيب، الكويت: طبعة المجلس الوطني للثقافة بالكويت.

339ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة: لابن قيم الجوزية، ط1، تحقيق: علي بن حسن الأثري، الرياض: دار ابن القيم، 1425هـ 2004م.

340ـ المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف (بالراغب) الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار العلم، 1412هـ .

341ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن الأشعري، ط2، تحقيق: محمد محي الدين، القاهرة: النهظة المصرية،1389هـ 1969م.

342ـ مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها: جابر أمير، ط1، الرياض: أضواء السلف،1422هـ .

343ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: لأبي حامد الغزالي، تحقيق: بسام عبدالوهاب، ط1، قبرص: الجفان والجابي، 1407هـ.

344ـ **الملخص الفقهي**: للشيخ صالح الفوزان، ط3، الدمام: دار ابن الجوزي، 1415هـ.

345ـ **الملل والنحل**: لمحمد عبدالكريم الشهرستاني، ط.د. تحقيق: محمد سعيد كيلاني، مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابي، 1406هـ ـ 1986م.

346ـ **مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر**: عبدالرحمن بن زيد، ط1، الرياض: دار إشبيليا، 1418هـ 1998م.

347ـ **من تكلم فيه وهو موثق أو صالح الحديث**: للحافظ الذهبي، ط1، تحقيق: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، سنة 1426هـ 2005م

348ـ **منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز**: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط.د.، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ت.د.

349ـ **المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**: د/ زين محمد شحاتة، ط10، الرياض: دار بلنسية، 1422هـ

350ـ **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، لبنان: مؤسسة الريان.

351ـ **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج المسمى اختصارا شرح صحيح مسلم**: للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، ط1، بيروت: دار الخير، 1414هـ ـ 1994م.

352ـ **مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري**: د/محمد الشيخ ، ط1، الرياض: دار المنهاج 1427هـ .

353ـ **منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى**: مشرف بن علي الحمراني الغامدي، ط1، الدمام: دار ابن الجوزي، 1426هـ ـ 2005م.

354ـ **منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات**: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ط2، جدة: شركة المدينة للطباعة، 1388هـ .

355ـ **المواهب الربانية من الآيات القرآنية**: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة للشيخ، ط .د. عنيزة: مركز صالح الثقافي، 1407هـ ـ 1987م.

356ـ **المواهب المدخرة في خواتيم سورة البقرة**: لابن أبي شريف إبراهيم بن محمد المقدسي، ط1، تحقيق: عبدالستار أبوغدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1421هـ 2000م

357ـ **موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا**: ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1414هـ

358ـ **موسوعة علوم القرآن**: عبدالقادر منصور، ط1، سورية: حلب، دار القلم العربي،1422هـ 2002م.

359ـ **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم**: إعداد مجموعة من المختصين،ط1، جدة: دار الوسيلة، 1418هـ 1998م.

360ـ **الموطأ**: للإمام مالك بن أنس، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

361ـ **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**: د عبدالرحمن بن صالح المحمود، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1415هـ ـ 1995م.

362ـ **موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها**: إعداد د. صالح بن غرم الله الغامدي، ط1، الرياض: مكتبة المعارف، 1424هـ ـ 2003م.

363ـ **موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات**: إ.د. محمد بن خليفة التميمي، ط1، الرياض: أضواء السلف، 1422هـ .

364ـ **موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (عرض ونقد):** لسليمان بن صالح الغصن، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1416هـ .

365ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** للحافظ الذهبي، ط1، تحقيق: على محمد و عادل الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ

366ـ **النبوات:**لشيخ الإسلام ابن تيمية،ط.د.بيروت:دار الكتب العلمية، **1405هـ 1985م**.

367ـ **نظم العقيان في أعيان الأعيان:** عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ط .د.، بيروت: المكتبة العلمية، ت .د.

368ـ **النفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة:** تأليف أبي محمد أرزقي بن محمد، ط2، الرياض: دار المنهاج، 1431هـ .

369ـ **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي** العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد،ط1، تحقيق: د/ رشيد بن حسن الألمعي، الرياض: مكتبة الرشد، 1418هـ

370ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لابن الأثير، ط. د. تحقيق:طاهر الرازي، ومحمود الطناحي ، بيروت: المكتبة العلمية، ت .د.

371ـ **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى:**محمد المحمود النجدي،ط2، الكويت: مكتبة الإمام الذهبي ، 1417هـ .

372ـ **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة:** لابن حجر العسقلاني، ط1، تخريج: الشيخ الألباني، وتحقيق: علي بن حسن الحلبي، الدمام: دار ابن القيم، 1422هـ

373ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب: لابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، ط3، القاهرة: دار الحديث 1999م.

374ـ الوافي بالوفيات:صلاح الدين الصفدي، ط1، تحقيق:أحمد الأرنؤوط،تركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي ، 1420هـ .

375ـ الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة): عبدالله بن عبدالحميد الأثري، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1422هـ

376ـ وسطية أهل السنة بين الفرق: للدكتور/ محمد باكريم محمد باعبدالله، ط1، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم 1429هـ 2008م.

377ـ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: عبدالعزيز ناصر الجليل، ط2،الرياض: دار طيبة، 1429هـ ـ 2008م.

فهرس المجلات والدوريات

378ـ مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج15، ع26، صفر، 1424هـ

بحث منشور فيها بعنوان: آثار المثل الأعلى دراسة عقدية، للدكتور عيسى عبدالله السعدي.

379ـ مجلة البحوث الإسلامية: تصدر عن إدارة البحوث العلمية بالرياض، العدد (36)، عام 1413هـ.

بحث منشور فيها بعنوان: سجود الشكر وأحكامه في الفقه الإسلامي: للدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين.

380ـ مجلة الدراسات الإسلامية:تصدر عن كلية التربية بجامعة الملك سعود ـ دورية علمية محكمة ـ عدد 1، ربيع الأول، عام 1434هـ .

بحث منشور فيها بعنوان: المتعدي واللازم في أفعال الله ـ تعالى ـ بين المفهوم العقدي، والمفهوم النحوي، للدكتور/ سليمان بن محمد الدبيخي.

المواقع الالكترونية:

381ـ موقع جامعة الإيمان باليمن مقال بعنوان: الشكر، جمع وإعداد/ خالد حسن محمد البعداني، بتاريخ 17/ جمادي الثانية/ 1428هـ

382ـ **موقع الشيخ عبدالكريم الخضير** .

8 ـ فهرس الموضوعات: